

النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤

قدم له وعلق عليه
محمد حسين سمير الدين

للجزء الرابع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
صَبَّ: ١١/٩٤٢٤ تلخس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحابه وسلّم

ذكر ولاية كافور^(١) الإخشيدي على مصر

الأستاذ^(٢) أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي، الخادم الأسود الخصي، صاحب مصر والشام والنفوس؛ اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيدي بثمانية عشر ديناراً من الزياتين، وقيل: من بعض رؤساء^(٣) مصر، ورباه وأعتقه؛ ثم رقه حتى جعله من كبار القواد لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير. ولما مات الإخشيدي في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، أقام كافور هذا أبناءه واحداً بعد واحد. وكان الذي ولي أولاً أبا القاسم أنوجور بن الإخشيدي - ومعنى أنوجور بالعربية محمود - وقد تقدّم ذلك كله. فدام أنوجور في الملك إلى أن مات في يوم السبت لثمان خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. ثم بعد موت أنوجور أقام أخاه أبا الحسن

(١) ولاية مصر: ٣١٤، وخطط المقرئ: ٣٣٠/١ و ٢٦/٢، وحسن المحاضرة: ١٤/٢، والمغرب في حل المغرب - قسم مصر - ١٩٩/١، ومعجم زامبور: ١٤٤، وطبقات سلاطين الإسلام: ٦٧، ووفيات الأعيان: ٩٩/٤، وتاريخ دول الإسلام: ٣٧٨/١.

(٢) الأستاذ: من الألقاب العامة التي استعملت منذ العصر العباسي، حيث كان يطلق على الحصيان من الغلمان المعبر عنهم في عصر المماليك بالطواشية. واستمر استعمال هذا اللقب في الدولة الفاطمية، جرياً على عاداتها في اتخاذ التقاليد والألقاب العباسية. ومن الشخصيات البارزة في هذا العصر «الأستاذ برجوان» الذي كان وصياً على الحاكم واستبد بالحكم دونه بعد ابن عمار. أما في العصر التركي فكان هذا اللقب يستعمل ليشير إلى رب النعمة، إذ كان يطلقه المملوك على من جلبه وهو طفل أو تعهده وقام بتربيته أو حرره. وقد أطلق أيضاً على الصانع. ولقب «الاسطى» المعروف في أيامنا والذي يطلق على بعض الصانع الحرفيين ما هو إلا تحريف للأستاذ. (انظر الألقاب الإسلامية لحسن الباشا: ١٤٠).

(٣) ذكر ابن خلكان أن الإخشيدي اشتراه في سنة ٣١٢ هـ بمصر من محمود بن وهب بن عباس. وذكر المقرئ في الخطط: ٢٦/٢: أن الذي جلبه باعه لمحمد بن هاشم - أحد المتقبلين للضياع - فباعه لابن عباس الكاتب. ثم إن ابن عباس الكاتب أرسله يوماً بهدية إلى الأمير محمد بن طغج الإخشيدي، وهو يومئذ أحد قواد تكين، فأخذ كافوراً ورد الهدية.

عليّ بن الإخشيد كما تقدّم ذكر ذلك كلّه في ترجمتهما. وكان كافور هذا هو مدبر ملكهما. ودخل كافور في أيام ولايتهما في ضمان البلاد مع الخليفة، ووفّى بما ضّمّنه.

ولما مات الإخشيد اضطربت أحوال الديار المصريّة، فخرج كافور منها بأبني الإخشيد وتوجّه بهما إلى الخليفة المطيع لله، وأصلح أمرهما معه، والتزم كافور للخليفة بأمر الديار المصريّة، ثم عاد كافور بهما إلى الديار المصريّة. وكان غلبون قد تغلب على مصر بعد موت الإخشيد في غيبة كافور لما توجّه إلى العراق؛ فقدم كافور إلى مصر ونهياً لحرب غلبون المذكور وحاربه وظفّر به وقتله، وأصلح أحوال الديار المصريّة؛ وآسתר مدبرها إلى أن مات أنوجور وتولّى أخوه عليّ؛ ثم مات عليّ أيضاً في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة؛ وأستقل كافور بالأمر وخُطب له على المنابر وتمّ أمره.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في تاريخ الإسلام: كافور الإخشيدى الحبشيّ الأستاذ السلطان أبو المسك أشتره الإخشيد من بعض رؤساء مصر؛ كان أسود بصّاصاً^(١). ثم ساق الذهبيّ نحو ما حكيناه، إلى أن قال: تقدّم عند الإخشيد صاحب مصر لعقله ورأيه وسعده إلى أن صار من كبار القوّاد، وجّهزه الإخشيد في جيش لحرب سيف الدولة بن حمّدان. ثم إنه لما مات أستاذه صار أتابك^(٢) ولده أبي القاسم أنوجور وكان صبيّاً؛ فغلب كافور على الأمر، وبقي الاسم لأبي القاسم والدست^(٣) لكافور، حتّى قال وكيله: خدمتُ كافوراً وراتبه في اليوم ثلاث عشرة

(١) بصّ: ليع وتلألا، فهو بصّاص وهي بصاصة.

(٢) الأتابك: لفظ مؤلف من الكلمتين التركيتين: «أنا» بمعنى الأب، والشيخ المحترم لسنه؛ واللقب التركي «بك» بمعنى الأمير. وهو في الاصطلاح: مربّي الأمير، ومدبر المملكة. ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب «أتابك العساكر». وكان سلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) يطلقون لفظ «أتابك» أو «أطابك» على كبير أمرائهم، يولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير. وكثيراً ما تزوج الأطابك من أم الموصى به، فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبوية. (انظر تاصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ص ١٢، ودائرة المعارف الإسلامية، وصبح الأعشى: ١٨/٤، والألقاب الإسلامية: ص ١٢٢).

(٣) الدست هنا كناية عن السلطة. وهو بهذا المعنى شائع الاستعمال في العصر المملوكي.

جراية، وتوفي وقد بلغت جريته على يدي في كل يوم ثلاثة عشر ألف جراية. قلت: وهو أتابك السلطان أنوجور، أما لما استقل بالملك فكان أكثر من ذلك.

وقال أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: كان كافور شجاعاً مقداماً جواداً يفضل على الفحول. وقصده المتنبّي ومدحه فأعطاه أموالاً كثيرة، ثم فارقه إلى العراق.

وقال أبو الحسن بن آذن^(١) النحوي: حضرت مع أبي مجلس كافور وهو غاص بالناس، فقام رجل فدعا له، وقال في دعائه: أدام الله أيام مولانا (بكسر الميم من أيام) فأنكر كافور والحاضرون ذلك؛ فقام رجل^(٢) من أوساط الناس فقال: [البسيط]

لا غرّو إن لحن الداعي لسيدنا	أو غصّ من دَهَشٍ بالريق ^(٣) أو بهر
ومثل سيدنا حالت مهابته	بين البليغ وبين القول بالحصر ^(٤)
فإن يكن خفض الأيام من غلط	في موضع النصب لا من قلة البصر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا	والفأل مأثورة عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب	وأن أوقاته صفو بلا كدر

فعجب الحاضرون من ذلك، وأمر له كافور بجائزة.

وقال أبو جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة: ما رأيت أكرم من كافور! كنت أسايره يوماً وهو في موكب خفيف يريد التنزه وبين يديه عدة جنائب بمراكب ذهب وفضة وخلفه بغال المراكب، فسقطت مقرعته من يده ولم يرها

(١) كذا بالأصل. وفي طبعة دار الكتب المصرية عن نزهة الألبا لابن الأنباري: «أذين».

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش النجيري اللغوي الأخباري كاتب كافور، كما في ابن خلكان.

(٣) في الأصل: «في الريق». والتصحيح عن ابن خلكان.

(٤) رواية هذا البيت في ابن خلكان:

فتلك هيبته حالت جلالتها بين الأديب وبين القول بالحصر

رُكَّابِيَّتُهُ^(١)، فنزلتُ عن دَابَّتِي وأخذتها من الأرض ودفعتها إليه؛ فقال: أيها الشريف، أعوذ بالله من بلوغ الغاية، ما ظننت أن الزمان يبلغني حتى تفعل بي أنت هذا^(٢)! وكاد يبكي؛ فقلت: أنا صنيعة الأستاذ ووليّه. فلما بلغ باب داره ودّعني؛ فلما سِرْتُ التفتُ فإذا بالجناث والبغال كلّها خلفي؛ فقلت: ما هذا؟ قالوا: أمر الأستاذ أن يُحمل مركبُهُ كلّهُ إليك؛ فأدخلته داري؛ وكانت قيمته تزيد على خمسة عشر ألف دينار. وراوي هذه الحكاية مسلم بن عبيد الله المذكور من صالحِي الأشراف.

ووقع له حكاية غريبة نذكرها في ضمن هذه الترجمة، ثمّ نعود إلى ما نحن فيه من ترجمة كافر؛ وهي^(٣) أنّه كان لمسلم بن عبيد الله المذكور غلام قد ربّاه من أحسن الغلمان، فرآه بعض القوّاد فبعث إليه ألف دينار مع رجل، وقال له: أشرت لي منه هذا الغلام؛ قال الرجل: فوافيته - يعني الشريف مسلم بن عبيد الله - في الحَمَامَ ورأيت الغلام عُرْيَانًا فرأيت منظرًا حسنًا؛ فقلت في نفسي: لا شك أنّ الشريف لا يفوته هذا الغلام، وأديت الرسالة؛ فقال الشريف: مادفع فيه^(٤) هذا الثمن إلّا وهو يريد [أن] يَعَصِيَّ الله فيه، إرجع إليه بماله فلا أبيعه. فعدت إليه وأخبرته ونمت تلك الليلة، فرأيت النبي ﷺ في المنام، فسلمت عليه فما ردّ عليّ، وقال: ظننت في ولدي مسلم الخنا مع الغلام. إمضِ إليه وأسأله أن يجعلك في حلّ. فلما طلع الفجر مضيت إليه وأخبرته وبكيت وقبّلت يديه ورجليه وسألته أن يجعلني في حلّ؛ فبكي وقال: أنت في حلّ، والغلام حرّ لوجه الله تعالى.

وأما كافر فإنّه لما صار قبل سلطنته مدبّر^(٥) الممالك المصرية، وعظّم أمره،

(١) في الأصل: «كاتبه». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان. والركابية: هم الذين يحملون السلاح حول الخليفة أو السلطان عند ركوبه في المواكب، ولهم زي خاص بهم. وكانوا يسمون أيضاً: صبيان الركب الخاص. وعرفوا في عصر المماليك بالسلحادارية والطبردارية. (انظر صبح الأعشى: ٤٨٠/٣).

(٢) في المغرب لابن سعيد، عن القرطبي: فقبل كافر يده شكراً وقال له: نعتت إليّ نفسي، فما بعد أن ناولني ولد رسول الله ﷺ سوطي غاية يتشوّف لها! فمات عن قرب.

(٣) في الأصل: «وهو».

(٤) في الأصل: «في».

(٥) مدبر الممالك، ومدبر الدولة، ومدبر أمور السلطنة، ومدبر الجيوش وغيرها: من ألقاب الوزراء وكتّاب =

أُنف من ذلك خُشْدَاشه^(١) الأمير أبو شجاع فاتك الرومى الإخشيدى المقدم ذكره في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة. وكان فاتك يُعرف بالمجنون، وكان الإخشيد قد اشترى فاتكاً هذا من أستاذه بالرملة كرهاً وأعتقه، وحَظِي عند الإخشيد، وكان رفيقاً لكافور هذا، وهو الأعظم مع طيش وخفة وخُبُورة؛ وكان كافور عاقلاً سَيُوساً؛ فكان كلما تزايد أمر كافور وعظم، يزيد جنونُ فاتك وحسده، فلا يلتفت كافور إليه بل يدُرُّ عليه الإحسان ويراعيه إلى الغاية. وكان الفيوم إقطاع فاتك المجنون، فاستأذن فاتك كافوراً أن يتوجّه إلى إقطاعه بالفيوم ويسكن هناك حتى لا يرى عظمة كافور؛ فأذن له كافور في ذلك وودّعه؛ فخرج فاتك إلى الفيوم، فلم يصحّ مزاجه بها لوخامتها، فعاد بعد مدة مريضاً إلى مصر ليتداوى بها.

وكان المتنبي الشاعر بمصر قد مدح كافوراً بغرر القصائد، فسمع المتنبي بكرم المجنون فأحب أن يمدحه، ولم يجسر خوفاً من كافور. وكان كافور يكره فاتكاً في الباطن ويخافه، وصار فاتك يُراسل المتنبي ويسأل عنه إلى أن اتفق اجتماعهما يوماً بالصحراء وجرت بينهما مفاوضات. فلما رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبي بهدية قيمتها ألف دينار، ثم أتبعها بهدايا أخرى. فاستأذن المتنبي كافوراً في مدح فاتك، فأذن له خوفاً من فاتك، وفي النفس شيء من ذلك؛ فمدحه المتنبي بقصيدته التي أولها: [البيسط]

لا خيل عندك تهديها ولا مالٌ فليُسعِدِ النطقُ إن لم تُسعِدِ الحالُ

= السر وغيرهم في العصر المملوكي. (صبح الأعشى: ٦٩/٦). ولا نعتقد أن استعماله هنا هو بنفس مدلول المصطلح المملوكي، إذ لم يكن معروفاً في العصر الإخشيدى. وإنما استعماله المؤلف بالمعنى العام لكلمة «المدير» وهو المشرف على الأمر والناظر في شؤونه، انطلاقاً من السلطة التي حازها كافور بوصايته على أبناء الإخشيد والتفرد بتسيير أمورهم.

(١) خشداش: (ويقال أيضاً: خوشداهش، وخجداش، وخوجداش) هي في المعجم الفارسي «خواجه تاش» من الكلمة الفارسية «خواجه» ومعناها السيد، ومن المقطع التركي «تاش» - وأصله: داش - ويدل على المشاركة. فمعنى خواجه تاش لغوياً هو الشريك في السيد؛ وتطلق هذه الكلمة بصيغها المختلفة على المملوك ينشأ مع مملوك غيره في خدمة سيد واحد مشترك، فهما مولياه وهما أخوا ولاء له. ولقد كان هؤلاء يتوارثون. ويجمع اللفظ على «خشداشية»، ويقال للمرأة: خشداشة. كما استعمل الجبرتي للجمع صيغة «خشداشين». (انظر تاصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ص ٨٧).

إلى أن قال:

كفأتك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلت وما للشمس أمثال

فقد كافر على المتنبي لذلك، وفطن المتنبي بعدوانه؛ فخرج من مصر هارباً؛ وكان هذا سبباً لهجو المتنبي كافوراً بعد أن كان مدحه بعدة مدائح، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قال الذهبي: وكان كافور يدني الشعراء ويحيزهم، وكان تُقرأ عنده في كل ليلة السَّيْرُ وأخبار الدولة الأموية والعباسية وله ندماء، وكان عظيم الحرمة^(١) وله حجاب يمتنع عن الأمراء وله جوار مغنيات، وله من الغلمان الروم والسود ما يتجاوز الوصف؛ زاد ملكه على ملك مولاة الإخشيد؛ وكان كريماً كثير الخلع والهبات، خبيراً بالسياسة، فطناً ذكياً جيد العقل داهية. كان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس، ويُداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء، وتم له الأمر. وكان وزيره أبو الفضل جعفر بن الفرات راغباً في الخير وأهله. ولم يبلغ أحد من الخدام ما بلغ كافور؛ وكان له نظر في العربية والأدب والعلم. وممن كان في خدمته أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري^(٢) النحوي صاحب الزَّجاج^(٣). وقال إبراهيم بن إسماعيل إمام مسجد الزبير: كان كافور شديد الساعد لا يكاد أحد يمد قوسه، فإذا جاؤوه برام دعا بقوسه [وقال: آرم عليه]^(٤)؛ فإن أظهر الرجل العجز ضحك وقدمه وأثبتته؛ وإن قوي على مدها وأستهان بها عبس وسقطت منزلته من عنده. ثم ذكر له حكايات تدل على أنه كان مغرئ بالرمي. قال: وكان يداوم الجلوس غُدوة وعشيّة لقضاء حوائج الناس، وكان يتهجّد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول: اللهم لا تسلط علي مخلوقاً. انتهى.

قلت: ونذكر حينئذ أحوال المتنبي معه وما مدحه به من القصائد.

(١) في تاريخ الإسلام للذهبي: «وكان عظيم الحمية يمتنع من الأسواق».

(٢) في الأصل: «البخري». وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام ومعجم البلدان. وهذه النسبة

إلى محلة بالبصرة تسمى «نجير».

(٣) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ. كان عالماً بالنحو واللغة.

(٤) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية، عن كنز الدرر.

لما فارق المتنبي سيف الدولة بن حمدان مُغاضباً له، قصد كافوراً الإخشيدي ودخل مصر ومدحه بقصيدته التي منها: [الطويل]

قواصدُ كافور تواركُ غيره ومن ورد^(١) البحر استقل السواقياً
فجاءت بنا إنسانَ عين زمانه وخلت بياضاً خلفها ومآقياً

وهو أول مديح قاله فيه؛ وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وقال ابن خلكان: وأنشده أيضاً في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة قصيدته البائية^(٢) التي يقول فيها: [الطويل]

وأخلاقُ كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تُملِي عليّ فأكتب^(٣)
إذا ترك الإنسان أهلاً وراءه ويمم كافوراً فما يتغرب
ومنها أيضاً:

فإن لم يكن إلا أبو المسك أوهم فإنك أحلى في فؤادي وأعذب
وكلّ أمرئ يولي الجميل مُحَبَّب وكلّ مكان يُنبِت العِزَّ طيَّب

وآخر شيء أنشده في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة - ولم يلقه بعدها - قصيدته البائية: [الطويل]

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً وإن كان قرباً بالبعد يشاب
وهل نفعي أن تُرفع الحُجبُ بيننا ودون الذي أملتُ منك حجاب
أقلّ سلامي حبّ ما خَفَ عنكم وأسكت كما لا يكون جواب
ومنها:

وما أنا بالباغي على الحبِّ رشوةً ضعيفُ هوى يُبغى عليه ثواب
وما شئت ألا أن أدلّ عواذلي على أن رأبي في هواك صواب
وأعلم قوماً خالفوني فشرّقوا وغرّبت أني قد ظفرت وخابوا

(١) الرواية المشهورة: «ومن قصد البحر...».

(٢) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «الثانية».

(٣) كذا في ابن خلكان وديوان المتنبي. وفي الأصل: «وإن لم تشأ عليّ عليك وتكتب».

ومنها:

وإنّ مديح الناس حقّ وباطلٌ ومدحك حقّ ليس فيه كِذابٌ
إذا نلتُ منك الودّ فالمال هينٌ وكلّ الذي فوق التراب ترابٌ
وما كنتُ لولا أنت إلا مهاجراً له كلّ يوم بِلْدَة وصحابٌ
ولكنّك الدنيا إليّ حبيبة فما عنك لي إلا إليك ذهابٌ

وأقام المتنبي بعد إنشاد هذه القصيدة سنة لا يَلْقَى كافوراً غضباً عليه، لكنه يركب في خدمته [خوفاً منه]^(١) ولا يجتمع به؛ وأستعدّ للرحيل في الباطن وجهز جميع ما يحتاج إليه. وقال في يوم عرفة [سنة خمسين وثلاثمائة]^(٢) قبل مفارقتها مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافوراً فيها. وفي آخر هذه القصيدة المذكورة يقول: [البسيط]

مَنْ علّم الأسود المَخْصِيّ مَكْرُمَةً أقسّمه البيض أم آباؤه الصَّيْدُ
أم أذنه في يد النّحاس دامية أم قدره وهو بالفلسّين مردود

ومنها:

وذاك أنّ الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخِصِيّة السُّود

وله فيه أهاج كثيرة تضمّنها ديوان شعره. ورَحَلَ المتنبي من مصر إلى عَضُد الدّولة بن بُويّه [بشيراز]^(٣).

وقال ابن زُولاقي^(٣): أقام كافور الإخشيدي الأستاذ إحدى وعشرين سنةً وشهرين وعشرين يوماً — يعني أقام مدبّر مملكة مصر — من قَبْل ولَدَيّ أستاذَه، وهما أنُوجُور وعليّ أبنا الإخشيذ محمد بن طغج، وأقام هوفيها سنتين وأربعة أشهر وسبعة أيّام مَلِكاً مستقلاً بنفسه. قلت: ونذكر ذلك محرراً بعد ذلك.

(١) زيادة عن ابن خلّكان.

(٢) زيادة عن ابن خلّكان.

(٣) هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولد سليمان بن زولاقي. مؤرخ مصري. ولي المظالم في أيام الفاطميين بمصر، وكان يظهر التشيع لهم. توفي سنة ٣٨٧ هـ. من كتبه «خطط مصر» و«أخبار قضاة مصر» جعله ذيلًا لكتاب الكندي. (الأعلام: ١٧٨/٢).

قال ابن زولاق: وكان كافور ديناً كريماً. وسماطه، على ما ذكره صاحب كنز الدرر^(١)، في اليوم^(٢): مائتا خروف كبار، ومائة خروف رميس، ومائتان وخمسون إوزة، وخمسمائة دجاجة، وألف طير من الحمام، ومائة صحن حلوى كل صحن عشرة أرطال، ومائتان وخمسون قرابة أقسماً^(٣).

قال: ولما توفّي كافور اجتمع الأولياء وتعاهدوا وتعاهدوا ألا يختلفوا، وكتبوا بذلك كتاباً ساعة توفّي كافور، وعقدوا الولاية لأحمد بن عليّ الإخشيد، وكان إذ ذاك صبيّاً ابن إحدى عشرة سنة - وكافور بعد في داره لم يدفن - ودُعي له على المنابر بمصر وأعمالها والشامات والحرمين، ثم من بعده للحسن^(٤) بن عبيد الله [بن طغج]. ثم عُقد للحسن بن عبيد الله المذكور على بنت عمّه فاطمة بنت الإخشيد بوكيل سيّره من الشام؛ وجعل التدبير بمصر فيما يتعلّق بالأموال إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفُرات، وما يتعلّق بالرجال والعساكر لسمول^(٥) الإخشيدي صاحب الحمام بمصر. وكلّ ذلك كان في يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. انتهى كلام ابن زولاق رضي الله عنه.

(١) هو كتاب «كنز الدرر وجامع الغرر» لعبد الله بن أبيك الدواداري المتوفى سنة ٥٧٣٦ هـ.

(٢) عبارة كنز الدرر: «بلغ مما كان يعمل في مطبخ كافور لما قوي سلطانه وكثرت أمواله في كل يوم من اللحم ألفان وسبعمائة رطل، وخمسمائة طائر دجاج، وألف طائر حمام، ومائة طائر إوز، وخمسون خروفاً رميساً، ومائة جدي سمين، وعشرون فرخاً سمكاً، وخمسمائة صحن حلوى في كل صحن عشرون رطلاً، ومائتان وخمسون طبقاً فاكهة، وعشرة أفراد نقل، وخمسمائة كوز فقاع كبير، ومائة قرابة سكر وليمون». انظر أيضاً ما نقله ابن إلياس عن الذهبي باختلاف عما هنا: بدائع الزهور، الجزء الأول، القسم الأول، ص ١٨٤.

(٣) الأقسام: شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون. وقيل هو نقيع الزبيب.

(٤) كذا أيضاً في الكندي، وابن خلكان (ترجمة الحسن بن عبيد الله). وفي ترجمتي جعفر بن حنّابة وجوهر الصقلي ذكره ابن خلكان باسم «الحسين بن عبيد الله». وهو كذلك بالأصل وفي خطط المقرئ وعقد الجمان. وذكره ابن عذاري في البيان المغرب باسم «الحسين بن عبد الله».

(٥) في الأصل: «سمول». وما أثبتناه عن المقرئ وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي ابن خلكان (ترجمة جوهر الصقلي): شمول، بالشين المعجمة.

وأما وفاة كافور المذكور فإنه تُوفي بمصر في جُمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وقيل: سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، والأصح سنة سبع^(١) وخمسين وثلاثمائة، قبل دخول القائد جوهر المُعزّي إلى مصر. وقيل: إنه لما دخل جوهر القائد إلى مصر خرج منها كافور هذا؛ وليس بشيء، والأول أصح. وملّك بعده أحمد بن عليّ بن الإخشيد الآتي ذكره. وعاش كافور بضعا وستين سنة، وكانت إمارته على مصر اثنتين وعشرين سنة، منها استقلالا بالملك سستان وأربعة أشهر، خُطب له فيها على منابر مصر والشام والحجاز والثغور، مثل طرسوس والمصيصة وغيرهما، وحُمِل تابوته إلى القدس فدفن^(٢) به؛ وكُتب على قبره: [البسيط]

ما بال قبرك يا كافور مُنفرداً بالصَّحْصَحِ المَرْتِ^(٣) بعد العسكر اللُجْبِ
يدوس قبرك آحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك في الكُتُبِ

وقال الوليد بن بكر العُمريّ: وجدت على قبر كافور مكتوبا^(٤): [البسيط]

انظر إلى عِبرِ الأيام ما صنعت أفنت أناساً بها كانوا وما فَيِّتَ^(٥)
دنياهُمُ ضجِكتْ أيامَ دولتهمُ حتّى إذا فَيِّتَ ناخت^(٦) لهم وبكت

* * *

السنة الأولى من ولاية كافور الإخشيزي على مصر

وهي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

فيها أقيم المأتم على الحسين رضي الله عنه في يوم عاشوراء ببغداد على العادة.

(١) في ابن خلكان أن الصحيح هو سنة ٣٥٦. وذكر ابن خلكان أن الرواية بوفاته سنة ٣٥٧ هي للقضاعي في كتاب الخطط والفرغاني في تاريخه.

(٢) في ابن خلكان أنه «دفن بالقرافة الصغرى بمصر، وقبته مشهورة هناك».

(٣) في الأصل: «الزن» وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي. والمرت: مفازة لا نبات فيها. والصحصح والصحصاح: الأرض المستوية الواسعة.

(٤) في ابن خلكان أن هذا الشعر كتب على قبره بالقرافة الصغرى، في قبة هناك مشهورة.

(٥) في الأصل: «وما دفنت» والتصحيح عن ابن خلكان.

(٦) في ابن خلكان: «ناخت» بالحاء المهملة.

وفيهما ورد الخبر بأن ركب الشام ومصر والمغرب من الحجاج أخذوا وهلك أكثرهم ووصل الأقل إلى مصر، وتمزق الناس كل ممزق، وأخذتهم بنو سليم؛ وكان ركباً عظيماً نحو عشرين ألف جمل، ومعهم الأمتعة والذهب؛ فمما أخذ لقاضي طرسوس المعروف بالخواتيمي [مائة ألف و]^(١) عشرون ألف دينار.

وفيهما قدم أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الأسر إلى ميفارقين؛ كانت أخت ملك الروم أخذته لتفادي به أخاها، فنقد سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة إلى حصن الهتّاخ^(٢)، فلما شاهد بعضهم بعضاً سرح المسلمون أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة؛ فالتقيا في وسط الطريق وتعانقا، ثم صار كل واحد إلى أصحابه فترجلوا له وقبلوا الأرض؛ واحتفل سيف الدولة بن حمدان لقدم ابن أخيه وعمل الأسمطة الهائلة، وقدم له الخيل والممالك والعُدّ التامة؛ فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم وسيوفهم وخيولهم.

وفيهما جاء الخبر بأن نائب أنطاكية محمد بن موسى الصّليحي أخذ الأموال التي في خزائن أنطاكية وخرج بها كأنه متوجّه إلى سيف الدولة بن حمدان فدخل بلاد الروم مرتدّاً. وقيل: إنه كان عزم على تسليم أنطاكية إلى الروم، فلم يمكنه ذلك لاجتماع أهل البلد على ضبطه، فخشي أن ينمّ خبره إلى سيف الدولة فيتلّفه فهرب بالأموال.

وفيهما قدّم الغزاة الخراسانية من الغزو إلى ميفارقين، فتلّقاهم

(١) زيادة عن البداية والنهاية وعقد الجمان والمنتظم وتجارب الأمم. وذكر ابن الأثير أن السبب في حمل الحجاج لتلك الأموال معهم أن كثيراً منهم، من أهل الشام والثغور، هربوا خوفاً من الروم بأموالهم وأهليهم وقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق.

(٢) في الأصل وتاريخ الإسلام: «الهيّاج». وفي تجارب الأمم: «الهيّاج» بالحاء المهملة؛ وجميعها تصحيف. والتصحيح عن الأعلام الخطيرة لابن شداد: ج ٣، ق ١، ص ٣٠٩. وقلعة الهتّاخ (بالتاء المثناة المفتوحة المشددة وخاء معجمة في آخرها) هي قلعة حصينة في ديار بكر بالقرب من ميفارقين. وقلعة الهتّاخ الشهيرة هي «عتاق» والأن تدعى «ليجة» في ولاية ديار بكر بتركية (شرفنامه: ٢٤٠/١). وجاء في اللؤلؤ المنشور: ص ٥٢٠: أن العامة تسميها: أنطاخ. (حاشية عن الأعلام الخطيرة: ص ٨٤٤).

أبو المعالي^(١) بن سيف الدولة وبالغ في إكرامهم بالأطعمة والعُلُوفات. وكان رئيس الغزاة المذكورين محمد بن عيسى.

وفيه سار طاغية الروم بجموعه إلى الشام، فعاث وأفسد وأقام به نحو خمسين يوماً؛ فبعث سيف الدولة يستنجد أخاه ناصر الدولة لبعده؛ ووقع لسيف الدولة مع الروم حروب ووقائع كثيرة.

وفيهما توفي محمد بن عمر بن محمد بن سالم، أبو بكر [بن]^(٢) الجعابي التميمي البغدادي الحافظ قاضي المَوْصِل سَمِعَ الكثير ورحل وكان حافظ زمانه. صَحِبَ أبا العباس بن عُقْدَةَ^(٣)، وصَنَّفَ الأبواب والشيوخ والتاريخ، وكان يتشيع؛ وروى عنه الدارقطني وأبو حفص بن شاهين والحاكم أبو عبد الله وآخرون آخرهم وفاة^(٤) أبو نعيم الحافظ. ومولده في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين. قال أبو علي^(٥) الحافظ النيسابوري: ما رأيت في المشايخ أحفظ من عَبْدِان^(٦)، ولا رأيت في أصحابنا أحفظ من أبي بكر [بن]^(٢) الجعابي!.

وفيهما توفي محمد بن الحسين بن علي بن الحسن الأنباري الشاعر المشهور؛ كان آتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها في شهر رمضان. وكان من فحول الشعراء. ومن شعره وقد رأيت غيظه: [مخلع البسيط]

أبكي وتبكي الحمام لكن شَتَان ما بينها وبَيْنِي
تبكي بعينٍ بغير دمعٍ وأبكي بدمعٍ بغير عين

ويعجبني في هذا قول أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز: [الوافر]

(١) هو سعد الدولة، أبو المعالي، شريف بن علي بن عبد الله بن حمدان. ملك حص و حلب وما بينهما بعد أبيه. ومات بعلة الفالج بحلب سنة ٣٨١هـ. (الأعلام: ٢٣٨/٨).

(٢) زيادة عن تذكرة الحفاظ وعقد الجمان وابن الأثير.

(٣) هو أحمد بن محمد بن سعيد، ابن عقدة الكوفي، أبو العباس المتوفى سنة ٣٣٢هـ. (الأعلام: ٢٠٧/١).

(٤) في الأصل: «وفاء». والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٥) هو الحسين بن علي بن يزيد بن داود الحافظ المتوفى سنة ٣٤٩هـ.

(٦) هو عبدان بن أحمد بن موسى الجواليقي الأهوازي، أبو محمد الحافظ المتوفى سنة ٣٠٦هـ.

بكت عيني غداة البين حزناً وأخرى بالبكا بَخِلْتُ علينا
 فعاقبتُ التي بخلت بدمع بأن غَمَضْتُها يوم التقينا
 ومما يجيش ببالي أيضاً في هذا المعنى قول القائل، ولم أدر لمن هو غير أنني
 أحفظه قديماً: [المجث]

قالت سعادُ أتبكي بالدمع بعد الدماء
 فقلتُ قد شاب دمي من طول عُمر بكائي

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو الحسن^(١)
 علي بن الحسن بن عَلَّان الحراني الحافظ يوم النحر، وأبو بكر محمد بن عمر بن
 محمد بن سالم التميمي [بن] الجعابي، وأبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قاضي
 الأندلس وعالمها ومفتيها.

أمر النيل في هذه السنة:
 الماء القديم خمس أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً
 وتسع عشرة إصباعاً^(٢).

* * *

السنة الثانية من ولاية كافور الإخشيدي على مصر

وهي سنة ست وخمسين وثلاثمائة.

فيها عملت الرافضة المأتم في يوم عاشوراء ببغداد على العادة.
 وفيها مات السلطان معز الدولة بن بُوَيَّه الآتي ذكره؛ وتولَّى مملكة العراق من
 بعده أبْنُه عز الدولة بَخْتِيَار بن أحمد بن بويه.

وفيها قبض على الملك ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ولده

(١) في الأصل: «أبو الحسين علي بن الحسين» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ
 وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) في «إغاثة الأمة» للمقريزي: «وأصابع». راجع ما نقلناه عن المقريزي في الجزء الثالث، حوادث سنة
 ٣٥٢ هـ عن ارتفاع الأسعار والغلاء في الدولة الإخشيدية.

أبو تغلب^(١)، لأن أخلاقه ساءت وظلم وقتل جماعة وشتم أولاده وتزايد أمره؛ فقبض عليه ولده المذكور بمشورة [رجال] الدولة في جمادى الأولى، وبعثه إلى القلعة^(٢) ورتب له كل ما يحتاج إليه ووسع عليه.

وفيهما توفي السلطان معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي؛ كان أبوه بويه يصطاد السمك وكان ولده هذا ربما أحتطب - وقد تقدم ذكر ذلك كله في محله في هذا الكتاب - قال أمره إلى الملك. وكان قدومه إلى بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان موته بالبطن، فعهد إلى ولده عز الدولة أبي منصور بختيار، وكان الرفض في أيامه ظاهراً ببغداد؛ ويقال: إنه تاب قبل موته وتصدق وأعتق. قلت: وجميع بني بويه على هذا المذهب القبيح غير أنهم لا يفسون ذلك خوفاً على الملك. ومات معز الدولة في سابع عشر شهر ربيع الآخر عن ثلاث وخمسين سنة؛ وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة. وكان قد ردّ الموارث إلى ذوي الأرحام. ويقال: إنه من ذرية سابور^(٣) ذي الأكتاف وهو أخوركن الدولة الحسن، وعماد الدولة علي. وكان معز الدولة يُعرف بالأقطع؛ كان أصابته جراح طارت بيده اليسرى وبعض أصابع اليمنى. وهو عمّ عضد الدولة الآتي ذكره أيضاً.

وفيهما توفي علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم، الإمام العلامة أبو الفرج الأصبهاني الكاتب، مصنف كتاب «الأغاني» وغيره؛ سمع الحديث وتفقه وبرع وأستوطن بغداد من صباه، وكان من أعيان أدبائها؛ كان أخبارياً نساباً شاعراً ظاهراً بالتشيع^(٤). قال أبو علي التنوخي: كان أبو الفرج يحفظ من الشعر والأغاني

(١) هو الأمير عتدة الدولة، فضل الله أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن. قتل سنة ٣٦٩هـ بالرملة. (الأعلام: ١٢٠/٥).

(٢) هي قلعة «أردمشت» كما في الأعلام الخطيرة لابن شداد ووفيات الأعيان. وفي تاريخ الزمان لابن العبري «قلعة كواشي»، وهما اسمان لقلعة واحدة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة على جبل الجودي، تحتها دير الزعفران (مراسد الاطلاع: ٥٤/١ و ١١٨٤/٣). ومن الأسماء التي أطلقت على قلعة أردمشت: قلعة الصوارة وقلعة السلامة.

(٣) في الأصل: «سابور» بالشين المعجمة.

(٤) كان أبو الفرج الأصبهاني، مع كونه من صميم بني أمية، على مذهب الشيعة. فقد قال التنوخي عنه: — ومن المشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني. وقال ابن شاکر في عيون التواريخ عنه: إنه كان =

والأخبار والمُسندات والأنساب ما لم أر قط مثله، ويحفظ سِوى ذلك من علوم آخر، منها: اللغة والنحو والمغازي والسِّير. قلت: وكتاب الأغاني في غاية الحسن. وكان منقطعاً إلى الوزير المهلبى وله فيه غرر مديح، وله فيه من جملة قصيدة يهنته بمولود من سُرّية [رومية^(١)]: [الكامل]

إسعد بمولود أذاك مباركاً كالبدر أشرق جُنحَ ليلٍ مُقْمِرٍ
سعدٌ لوقتِ سعادةٍ جاءت به أم حَصَانُ^(٢) من بنات الأصفرِ
متبجح^(٣) في ذُرْوَتِي شرف العُلا بين^(٤) المهلب متماه وقِصَرِ
شمس الضحى قُرنت إلى بدر الدجى حتى إذا اجتمعاً^(٥) أتت بالمُشْتَرِي
وشعره كثير ومحاسنه مشهورة. ولادته في سنة أربع وثمانين ومائتين، وهي السنة التي مات فيها البُحْترى الشاعر. ومات في يوم الأربعاء رابعَ عشر ذي الحجة.

وفيها توفي سيف الدولة أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن حَمْدان بن حَمْدون بن الحارث بن لُقْمان بن راشد بن المُثنى بن رافع بن الحارث بن عُطيف بن محربة^(٦) بن حارثة بن مالك بن عُبيد بن عَدِيّ بن أَسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو^(٧) بن غَنَم بن ثَعْلَب التغلبى، ومولده في يوم الأحد سابعَ عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل: سنة إحدى وثلاثمائة قال أبو منصور الثعالبي: «كان بنو حَمْدان ملوكاً، و[أمراء]^(٨)؛ أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة،

= ظاهر التشيع. وقال ابن الأثير في تاريخه: وكان أبو الفرج شيعياً، وهذا من العجب. (الأغاني: ٣٤/١، المقدمة، طبعة الهيئة المصرية).

(١) زيادة عن المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢) الحَصَان: العفيفة.

(٣) أي متمكن. وفي الأصل: «متبجح». والتصحيح عن المرجع السابق.

(٤) في الأصل: «شرف الوزير ابن المهلب...» وما أثبتته عن المرجع السابق.

(٥) في الأصل: «اجتمعت». وما أثبتته عن المرجع السابق.

(٦) كذا في ابن خلكان وعقد الجمان. وفي الأصل: «محربة بن جارية».

(٧) في الأصل: «عمر بن غنم» وما أثبتته عما سبق.

(٨) زيادة عن يتيمة الدهر: ١٥/١.

وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرّجاحة؛ وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قِلاَدَتهم^(١). وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود؛ وقبلة الآمال، ومحط الرحال؛ وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء. وكان سيف الدولة ملكاً شجاعاً مقداماً كريماً شاعراً فصيحاً ممدحاً. وقصده الشعراء من الآفاق، ومدحه المتنبي بغرر المدائح. ومن شعر سيف الدولة في قوس قزح: [الطويل]

وساق صبيح للصُّبوح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقُض علينا ومنقُض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجودُكناً والخواشي على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأصفر على أحمر في أخضر إثر^(٢) مبيض
كأذيال خوذ أقبلت في غلائل مُصبغة والبعض أقصر من بعض

قال ابن خلّكان: وهذا من التشبيهات الملوكيّة التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة. ويحكى أنّ ابن عمّه أبا فراس الأمير الشاعر كان يوماً بين يدي سيف الدولة في نفر من ندمائه؛ فقال لهم سيف الدولة: أيكم يُجيز قلبي؟ وليس له إلا سيدي (يعني ابن عمّه أبا فراس المذكور) وقال: [مجزوء الخفيف]

لك جسمي تُعلّه فدمي لم تُجلّه
فأرتجل أبو فراس وقال:

[قال]^(٣) إن كنت مالِكاً فلي الأمر كله
فاستحسنه وأعطاه ضيعة بأعمال منبج تغل ألفي دينار في كل سنة. ومن شعر

سيف الدولة أيضاً: [الطويل]

تجنّي عليّ الذنب والذنب ذنبه وعاتبني ظلماً وفي شقه العتب
وأعرض لما صار قلبي بكفه فهلاً جفاني حين كان لي القلب
إذا برم المولى بخدمة عبده تجنّي له ذنباً وإن لم يكن ذنب
وله: [مجزوء الوافر]

(١) ترك المؤلف بعد هذا حوالي خمسة أسطر لم ينقلها عن اليتيمة.

(٢) في ابن خلّكان وبيتمة الدهر: «تحت مبيض».

(٣) في الأصل: «أنا». والتصحيح عن ابن خلّكان.

أُقْبِلْهُ عَلَى جَزَعٍ كَشْرَبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ
رَأَى مَاءً فَأَاطَمَعَهُ وَخَافَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ
فَصَادَفَ خُلْسَةً فَذَنَّا وَلَمْ يَلْتَذْ بِالْجُرْعِ

وأما ما قيل في سيف الدولة من المديح فكثير يضيق هذا المحل عن ذكر شيء منه. وكانت وفاته يوم الجمعة في ثالث ساعة، وقيل: رابع ساعة، لخمس بَقَيْنَ من صفر بحلب. ونُقِلَ إلى مَيَّافَارِقِينَ ودُفِنَ في تربة أمه وهي داخل البلد. وكان مرضه بعُسْرِ البول. وكان قد جَمَعَ من نَفْضِ الْغُبَارِ الذي يجتمع عليه في غَزَوَاتِهِ شيئاً، وجعله لَبَنَةً بقدر الكَفِّ، وأَوْصَى أن يُوضَعَ خَلْهُ عليها في لَحْدِهِ، فَنُقِذَتْ وَصِيَّتُهُ في ذلك. وكان مَلِكُ حَلَبِ في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة؛ انترعها من يد أحمد بن سعيد الكَلَابِيِّ صَاحِبِ الإخشيد، وكان قبل ذلك ملك واسط وتلك النواحي.

وفيهما تُوفِّيَ جعفر بن محمد بن الحارث الشيخ أبو محمد المراغي المحدث المشهور؛ كان فاضلاً راوية للشعر. قال: أنشدني منصور بن إسماعيل الفقيه: [مجزوء الكامل]

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَدُ نَمَّ وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلَةٌ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقْوَى لَ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلُهُ
أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة اثنتا عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية كافور الإخشيزي على مصر

وهي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وهي التي مات فيها كافور المذكور حسب ما تقدّم ذكره.

فيها عملت الرافضة مَأْتَمُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي بَغْدَادِ عَلَى الْعَادَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ.

وفيها لم يحجّ أحد من الشام ولا من مصر.

وفيها في ذي القعدة أقبل تقفور عظيم الروم بجيوشه إلى الشام فخرج من درْبَنْد^(١) ونازل أنطاكية فلم يلتفتوا إليه؛ فقال: أرْحَلْ وأخرب الشام ثم أعود إليكم من الساحل؛ ورحل ونازل مَعْرَةَ مَصْرِينَ^(٢) فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف وستمئة نَسْمَة. ثم نزل على مَعْرَةَ النُّعْمَانِ^(٣) فأحرق جامعها؛ وكان الناس قد هربوا في كل وجه إلى الحصون والبراري والجبال. ثم سار إلى كَفَرْطَاب^(٤) وشِيزَر^(٥)، ثم إلى حَمَاة وَحِمَص وخرج من بقي بها فأمنهم ودخلها وصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا، وأحرق الجامع. ثم سار إلى عِرْقَة^(٦) فأفتتحها، ثم سار إلى طَرَابُلُس فأخذ رِبَضَهَا. وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع؛ فأرضاه أهل أنطاكية بمال عظيم.

وفيها تزوّج عزّ الدولة بِخَيْتَار بن معزّ الدولة أحمد بن بُويّه بأبنة عسكر الروميّ الكرديّ على صداق مائة ألف دينار.

وفيها قُتِلَ أبو فراس [الحارث]^(٧) بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبيّ العدويّ، الأمير الشاعر الفصيح؛ تقدّم بقية نسبه في ترجمة أبْنِ عَمّه سيف الدولة بن حَمْدان؛ ومولده بِمَنْبِج في سنة عشرين وثلاثمائة؛ وكان يتنقل في بلاد الشام في دولة أبْنِ عَمّه سيف الدولة بن حَمْدان؛ وكان من الشُّجْعَان والشُعْرَاء الْمُفْلِحِينَ؛ وديوان شعره موجود. ومن شعره قصيدة: [الوافر]

(١) الدربَنْد أو باب الأبواب؛ وفي النصوص القديمة «الباب والأبواب»، وكثيراً ما يشار إليه باسم «الباب» فحسب. وهو الاسم العربي الذي يطلق على عمر وحصن في الطرف الشرقي من القوقاز. ويقال له «دربند» بالفارسية، وقد تحول الاسم تحت التأثير التركي إلى «الباب الحديدي». ويقال أيضاً: الدربندات؛ وهي أفعام وديان شرقي القوقاز. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٥/٥١٢).

(٢) مَعْرَةَ مَصْرِينَ: بلدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها، بينها نحو خمسة فراسخ. (معجم البلدان).

(٣) معرة النعمان: مدينة قديمة مشهورة من أعمال حمص، بين حلب وحماة. (معجم البلدان).

(٤) كفرطاب: بلدة بين المعرة وحلب. (المرجع السابق).

(٥) شيزر: قلعة قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم. (المرجع السابق).

(٦) عرقَة (بكسر العين): بلدة شرقي طرابلس الشام. وهي آخر عمل دمشق في سفح جبل. (المرجع

السابق).

(٧) زيادة عن ابن خلكان.

رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ فَقُلْتُ أَهْلًا وَوَدَّعْتُ الْغَوَايَةَ وَالشَّبَابَا
وَمَا إِنْ ثَبُتَ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ لَقِيتُ مِنَ الْأَحْبَةِ مَا أَشَابَا
وَلَهُ أَيْضًا: [السريع]

مَنْ يَتَمَنَّ الْعَمَرَ فَلْيَدْرُغْ صَبْرًا عَلَى فَقْدِ أَجْبَائِهِ
وَمَنْ يُؤْجَلُ يَرِ فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لِأَعْدَائِهِ
وفيهما توفي حمزة بن محمد بن علي بن العباس، الحافظ أبو القاسم الكِنَانِي المِصْرِي؛ سَمِعَ الْكَثِيرَ وَرَحَلَ وَطَوَّفَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ مَنْدَهٍ وَالدَّارَقُطْنِي وَالْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ [بْنُ سَعِيدٍ الْأَزْدِي] (١) وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَهٍ: سَمِعْتُ حَمْزَةَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْحَافِظَ يَقُولُ: كُنْتُ أَكْتُبُ الْحَدِيثَ فَلَا أَكْتُبُ «وَسَلَّمَ»؛ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ [لِي] (١): «أَمَا تَخْتُمُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ فِي كِتَابِكَ»!

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، قَالَ: وَفِيهَا تَوَفَّى أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ (٢) بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عُتْبَةَ الرَّازِيِّ بِمِصْرَ، وَأَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ رُمَيْحٍ (٣) النَّسَوِيُّ، وَحَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْقَاسِمِ الْكِنَانِيِّ بِمِصْرَ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ النَّضْرِي (٤) الْمَرْوَزِيُّ فِي شُعْبَانَ عَنْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَعُمَرُ بْنُ جَعْفَرٍ الْبَصْرِيُّ الْحَافِظُ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُخْرِمٍ الْمُحْتَسِبِ، وَأَبُو سَلِيمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَرَانِي، وَأَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ [بْنُ] مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ إِسْحَاقَ (٥) بْنِ آدَمَ الْفَزَارِيِّ.

أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ:

الْمَاءُ الْقَدِيمُ ذِرَاعٌ وَاحِدَةً وَإِحْدَى وَعِشْرُونَ إصْبَعًا. مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ إصْبَعًا.

(١) زيادة عن تذكرة الحفاظ.

(٢) في شذرات الذهب: «أحمد بن الحسين».

(٣) في الأصل: «أحمد بن محمد بن سعيد بن رميح» وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ والذهبي والشذرات.

(٤) في الأصل: «البصري» وهو تصحيف. والتصحيح عن الذهبي وشذرات الذهب.

(٥) زيادة عن الذهبي وشذرات الذهب.

ذكر ولاية أحمد^(١) بن علي بن الإخشيد على مصر

هو أحمد بن علي بن الإخشيد محمد بن طُغْج بن جُفّ، الأمير أبو الحسن^(٢) التُّرْكِيّ الْفَرْغَانِيّ الْمَصْرِيّ. ولي سلطنة مصر بعد موت مولى جَدّه كافور الإخشيدِيّ في العشرين من جُمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وهو يوم مات^(٣) كافور، وسنّه يوم وليّ إحدى عشرة^(٤) سنة؛ وصار الحسن^(٥) بن عبيد الله بن طُغْج - أعني ابن عمّ أبيه - [خليفته]^(٦)، وأبو الفضل جعفر بن الْفَرَات [وزيرَه]^(٦)، ومعهما أيضاً سمول^(٧) الإخشيدِيّ مدبّر العساكر. فأساء أبو الفضل جعفر بن الفرات السيرة وقبض على جماعة وصادرهم، منهم يعقوب بن كِلْس^(٨) الآتي ذكره؛ فهِرَبَ يعقوب بن كِلْس المذكور إلى المغرب، وهو من^(٩) أكبر أسباب حركة المعزّ، وإرسال جوهر القائد إلى الديار المصرية. ولما زاد أمر آبن الفرات آختلف عليه الجند وأضطربت أمور الديار المصرية على ما سنذكره بعد أن نذكر مقالة آبن خلكان إن شاء الله تعالى.

(١) ولاية مصر: ٣١٥، وخطط المقرئزي: ٣٣٠/١، وحسن المحاضرة: ١٥/٢، والمغرب - قسم مصر:

١٩٩/١، ومعجم زامباور: ١٤٤، وطبقات سلاطين الإسلام: ٦٧.

(٢) في الكندي والمقرئزي وحسن المحاضرة: «أبو الفوارس» وهو الصحيح. وأبو الحسن هو والده، كما جاء

في المغرب لابن سعيد، قسم مصر، ص ١٤٩.

(٣) في الأصل: «وهو يوم مات فيه كافور».

(٤) كذا أيضاً في المقرئزي وابن خلكان. وفي حسن المحاضرة: «اثنان وعشرون سنة».

(٥) راجع ص ١١، حاشية (٤).

(٦) زيادة عن المقرئزي وعقد الجمان.

(٧) راجع ص ١١، حاشية (٥).

(٨) ترجمته في الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي: ص ١٩.

(٩) في الأصل: «هو أحد أكبر».

قال ابن خلّكان: «وكان عُمَرُ أَبِي الفوارس أحمد بن عليّ بن الإخشيد يوم وليّ إحدى عشرة سنة، وجعل الجند^(١) خليفته في تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طُغْج بن جَفّ، وهو ابن عمّ أبيه، وكان صاحب الرملة من بلاد الشام، وهو الذي مدحه الممتنّبي بقصيدته التي أولها: [الطويل]:

أنا^(٢) لائمي إن كنت وقت اللوائم عَلِمْتُ بما بي بين تلك المَعَالِمِ

وقال في مخلصها:

إذا صُلْتُ لم أترك مَصَالاً^(٣) لفاتك وإن قلت لم أترك مقالاً لعالم
ولاً فخانتي القوافي وعافني عن ابن عبيد الله ضَعُفُ العزائم

ومنها:

أرى دون ما بين الفُراتِ وبُرْقَةٍ ضراباً يُمَشِّي الخيلَ فوق الجَمَاجِمِ
وطعن غَطَاريفٍ كأنّ أكفهم عرفن الرُذَيْنِيَّاتِ قبل المعاصِمِ
حَمَتُهُ على الأعداء من كل جانب سيوف بني طُغْج بن جَفّ القماقمِ
هم المحسنون الكَرّ في حومة الوغى وأحسنُ منه كَرُّهم في المكارمِ
وهم يُحسنون العفو عن كلّ مذنبٍ ويحتملون الغُرم عن كلّ غارِمِ

قال: ولَمَّا تَقَرَّرَ الأمر على هذه القاعدة تزوج الحسن بن عبيد الله فاطمة ابنة عمّه الإخشيد، ودعوا له على المنابر بعد أبي الفوارس أحمد بن عليّ صاحب الترجمة. قال: والحسن بالشام. وأستمرّ الحال على ذلك إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ودخل إلى مصر رايات المغاربة الواصلين صُحْبَةَ القائد جوهر المُعِزِّي، وأنقرضت الدولة الإخشيدية من مصر. وكانت مدّتها أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً. وكان قد قَدِمَ الحسن بن عبيد الله من الشام منهزماً من القَرَامِطَةِ لَمَّا آسَتَوْا على الشام.

(١) في الأصل: «وجعلوا الجند».

(٢) في الأصل: «أيا لائمي». والتصحيح عن ابن خلّكان.

(٣) في الأصل: «محالاً» وهو تحريف. والتصحيح عن ابن خلّكان.

ودخل الحسن على ابنة عمه التي تزوجها وحكم بمصر وتصرف وقبض على الوزير جعفر بن الفرات وصادره وعذبه؛ ثم سار إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. ولما سير القائد جوهر جعفر بن فلاح إلى الشام وملك البلاد أسر ابن فلاح المذكور أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وسيّره إلى مصر مع جماعة من الأمراء إلى جوهر القائد، ودخلوا إلى مصر في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. وكان الحسن بن عبيد الله قد أساء إلى أهل مصر في مدة ولايته عليهم، فلما وصلوا إلى مصر تركوهم وقوفاً مشهورين^(١) مقدار خمس^(٢) ساعات، والناس ينظرون إليهم، وشتت بهم من في نفسه منهم شيء؛ ثم أنزلوا إلى مضرب القائد جوهر وجعلوا مع المعتقلين من آل الإخشيد. ثم في السابع عشر من جمادى الأولى أرسل القائد جوهر ولده جعفر إلى مولاة المعز ومعه هدايا عظيمة تجلّ عن الوصف، وأرسل معه المأسورين الواصلين من الشام، وفيهم الحسن بن عبيد الله، وحملوا في مركب بالنيل وجوهر ينظرهم، وأنقلب المركب، فصاح الحسن بن عبيد الله على القائد جوهر: يا أبا الحسن، أتريد أن تغرقنا! فاعتذر إليه وأظهر له التوجّع، ثم نقلوا إلى مركب آخر. انتهى كلام ابن خلكان بأختصار. ولم يذكر ابن خلكان أمر أحمد بن علي بن الإخشيد - أعني صاحب الترجمة - وأظن ذلك لصغر سنّه.

وقال غير ابن خلكان في أمر أنقراض دولة بني الإخشيد وجهاً آخر، وهو أن الجند لما اختلفوا على الوزير أبي الفضل بن الفرات وطلب منه الأتراك الإخشيدية والكافورية ما لا قدرة له به من المال، ولم تحمل إليه أموال الضمانات^(٣)، قاتلوه ونهب داره ودور جماعة من حواشيه. ثم كتب جماعة منهم إلى المعز العبيدي بالمغرب يستدعونه ويطلبون منه إنفاذ العساكر إلى مصر؛ وفي أثناء ذلك قديم الحسن بن عبيد الله بن طغج من الشام منهزماً من القرامطة، ودخل على ابنة عمه،

(١) وصف من الشهرة، وهي الفضيحة.

(٢) في ابن خلكان: «سبع ساعات».

(٣) في الأصل: «ومنعه طلب الحقوق التي في وجهه الضمان». وما أثبتناه عبارة ابن خلكان.

وقبض على الوزير أبي الفضل جعفر بن الفُرات لسوء سيرته ولشكوى الجند منه^(١)؛ فعذبه وصادره؛ وتولى الحسن بن عُبَيد الله تدبير مصر بنفسه ثلاثة أشهر، وأستوزر كاتبه الحسن بن جابر الرِّياحي^(٢)؛ ثم أطلق الوزير جعفر بن الفرات من محبسه بواسطة الشريف أبي [جعفر]^(٣) مسلم الحسيني، وفوض إليه أمر مصر ثانياً؛ كل ذلك وأحمد بن علي صاحب الترجمة ليس له من الأمر إلا مجرد الاسم فقط. ثم سافر الحسن بن عبيد الله بن طُغج من مصر إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وبعد مسيره بمدة يسيرة في جُمادى الآخرة من السنة وصل الخبر بمسير عسكر المعزّ صُحبة جوهر القائد الروميّ إلى مصر؛ فجمع الوزير جعفر بن الفرات [أنصاره]^(٤) وأستشارهم فيما يعتمد^(٥)؛ فاتفق الرأي على أمر فلم يتم. وقدم جوهر القائد إلى الديار المصرية بعد أمور نذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى؛ وزالت دولة بني الإخشيد من مصر وأنقطع الدعاء منها لبني العباس. وكانت مدة دولة الإخشيد وبنيه بمصر أربعاً وثلاثين سنة وأربعة وعشرين يوماً^(٦)؛ منها دولة أحمد بن عليّ هذا - أعني أيام سلطته بمصر - سنة واحدة وثلاثة أشهر إلا ثلاثة أيام. وكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدأت دولة بني العباس إلى أن قدم القائد جوهر المعزّي وخطب باسم مولاة المعزّ مَعَدَّ العُبَيْديّ الفاطميّ مائتي سنة وخمساً وعشرين سنة. ومنذ^(٧) أفتحت مصر إلى أن أنتقل كرسي الإمارة منها إلى القائد جوهر ثلاثمائة سنة وتسعاً وثلاثين سنة. أنهت ترجمة أحمد بن عليّ ابن الإخشيد.

* * *

(١) في الأصل: «عليه».

(٢) في الأصل: «الزنجاني» وما أثبتناه عن ابن خلكان.

(٣) زيادة عن ابن خلكان.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل: «يعتمد».

(٦) تقدم للمؤلف نقلاً عن ابن خلكان أن مدة الدولة الإخشيدية كانت أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.

(٧) في الأصل: «ومن منذ».

السنة التي حكم في بعضها أحمد بن علي بن الإخشيد على مصر

وكانت ولايته في جُمادى الأولى من السنة الماضية، غير أننا ذكرنا تلك السنة في ترجمة كافور، ونذكر هذه السنة في ولاية أحمد هذا، على أن القائد جوهرًا حكم في آخرها؛ وليس مانحن فيه من ذكر السنين على التحرير، وإنما المقصود ذكر الحوادث على أي وجه كان. وهذه السنة هي ثمان وخمسين وثلاثمائة.

فيها عملت الرافضة المأتم في يوم عاشوراء ببغداد وزادوا في النُوح وتعليق المُسوح، ثم عَيَدُوا يوم الغدير^(١).

وفيها كان القحط ببغداد وأبيع الكرّ بتسعين ديناراً.

وفيها ملّك جوهر القائد العُبَيْدِيّ مَصْرَ وخطب لبني عُبيد المغاربة، وانقطع الدعاء لبني العباس من مصر، حسب ما ذكرناه في ترجمة أحمد بن علي ابن الإخشيد هذا.

وفيها حجّ بالناس من العراق الشريف أبو أحمد^(٢) المُوسَوِيّ والد الرضي والمرتضى.

وفيها ولي إمرة دِمَشق الحسن بن عبيد الله بن طُغْج [أَبْن] ^(٣) أخِي الإخشيد،

(١) عيد الغدير في ليلة الثامن عشر من ذي الحجة. والغدير هو غدير خم بين مكة والمدينة. لما رجع النبي ﷺ من مكة عام حجة الوداع ووصل إلى هذا المكان خطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع، وأخى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: «عليّ مني كهaron من موسى. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...» وللشيعة تعلق كبير بهذا اليوم، ويعتبرونه عيداً من الأعياد الإسلامية. (ابن خلكان: ٢٣٠/٥). وقد ابتدأ الاحتفال بعيد الغدير منذ العام ٣٥٢هـ. قال ابن الأثير (حوادث سنة ٣٥٢هـ): وفيها في ثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد، وأشعلت النيران بمجلس الشرطة، وأظهر الفرح، وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد، فعل ذلك فرحاً بعيد الغدير، وضربت الدبابد والبوقات، وكان يوماً مشهوداً. انظر أيضاً المقرئ: ٣٨٨/١، والخطط التوفيقية: ٩٦/٢.

(٢) هو الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم، كما في وفيات الأعيان. (٣) زيادة يقتضيها السياق.

فأقام بها شهوراً ثم رحل في شعبان، وأستتاب بها سمول الكافوري؛ ثم سار الحسن إلى الرملة فالتقى مع ابن فلاح مقدّمة جوهر القائد في ذي الحجة بالرملة؛ فانهزم جيشه. وأخذ أسيراً وحمل إلى المغرب، حسب ما ذكرناه في ترجمة أحمد بن علي الإخشيد صاحب الترجمة.

وفيهما عصي جُند حَلَب على ابن سيف الدولة، فجاء من مَيّافارقين ونازل حَلَب، وبقي القتال عليها مدّة.

وفيهما استولى الرُعَيْلِي على أنطاكية، وهورجل غير أمير وإنما هو من الشُّطَار، وانضم عليه جماعة فقوي أمره بهم؛ فجاءت الروم ونزلوا على أنطاكية وأخذوها في ليلة واحدة؛ وهرب الرُعَيْلِي من باب^(١) البحر هو وخمسة آلاف إنسان ونجّوا إلى الشام؛ وكان أخذها في ذي الحجة من هذه السنة، وأسر الروم أهلها وقتلوا جماعة كثيرة.

وفيهما جاء القائد جعفر^(٢) بن فلاح مقدّمة القائد جوهر العبّيدي المعزّي إلى الشام؛ فحاربه أميرها الشريف ابن أبي يعلّى، فانهزم الشريف وأسر جعفر بن فلاح وتملّك دِمَشق.

وفيهما توفي ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيثجاء عبد الله بن حَمْدان — تقدّم بقية نسبه في ترجمة أخيه سيف الدولة — كان ناصر الدولة صاحب الموصّل

(١) باب البحر: أحد أبواب أنطاكية الخمسة. ومن أبوابها: باب فارس، وباب مسلم. (انظر معجم البلدان: ٢٦٨/١).

(٢) هو جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق الكتامي، أبو علي — وقيل أبو الفضل — أحد قواد المعز الفاطمي المشهورين. وهو من زعماء الكتامين ورجلهم الذين شادوا بناء الدولة الفاطمية. وكان ابنه أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح من كبار وزراء الدولة الفاطمية بعد ذلك، وكان يلقب بوزير الوزراء ذي الرياستين الأمر المظفر قطب الدولة. قتل بظاهر دمشق عند نهر يزيد في مواجهة مع الحسن الأعصم القرمطي في ذي القعدة سنة ٣٦٠ هـ. (وفيات الأعيان: ٣٦١/١، واتعاظ الحنفا: ص ١٥٥، حاشية: ٥، والإشارة إلى من نال الوزارة لابن منجب الصيرفي: ص ٣٠-٣٢، والبيان المغرب: ٢٢١/١، والحلة السيرة: ٣٠٤/١).

ونواحيها، وكان أخوه سيف الدولة يتأدب معه، وكان هو أيضاً شديداً المحبة لسيف الدولة. فلما مات سيف الدولة تغيّرت أحواله لحزنه عليه، وساءت أخلاقه وضعف عقله؛ فقبض عليه أبوتغلب الغضنفر بمشورة الأمراء وحبسه مكرماً - حسب ما ذكرناه - فلم يزل محبوساً إلى أن مات في شهر ربيع الأول. وقيل: إن ناصر الدولة هذا كان وقع بينه وبين أخيه سيف الدولة وحشة؛ فكتب إليه سيف الدولة، وكان هو الأصغر وناصر الدولة الأكبر، يقول: [الطويل]

رَضِيتُ لَكَ الْعُلْيَا وَقَدْ كُنْتُ أَهْلُهَا وَقُلْتُ لَهُمْ: بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَرْقٌ
وَلَمْ يَكْ بِي عَنْهَا نُكُولٌ وَإِنَّمَا تَجَافَيْتُ عَنْ حَقِّي فَتَمَّ لَكَ الْحَقُّ
وَلَا بَدَ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مُصَلِّياً إِذَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ السَّبْقُ

وفيهما توفي سabor بن أبي طاهر القرمطي في ذي الحجة؛ كان طالب قبل موته عمومته بتسليم الأمر إليه فحبسوه، فأقام في الحبس أياماً ثم خرج من الحبس؛ وعمل في ذي الحجة ببغداد «غدير خَم» على ما جرت به العادة، ثم مات بعد مدة يسيرة.

وفيهما توفي أحمد بن الرازي بالله بعد أن طالت علته بمرض البواسير.

وفيهما توفي محمد بن أحمد بن جعفر الشيخ أبو بكر البيهقي؛ كان من كبار مشايخ نيسابور في زمانه. سئل عن الفتوة، فقال: هي حُسن الخلق وبذل المعروف.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي صاحب الموصل وكان أسن من سيف الدولة، والحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان الحربي، وأبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال الكوفي، ومحمد بن معاوية الأموي القرطبي في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وثلاث عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

ذكر ولاية جوهر^(١) القائد الرومي المعزّي على مصر

هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزّي المعروف بالكاتب، مولى المعزّ لدين الله أبي تميم مَعَدَّ العُبَيْدِيّ الفاطميّ. كان خَصِيصاً عند أستاذه المعزّ، وكان من كبار قَوّاده^(٢)؛ ثم جهّزه أستاذه المعزّ إلى أخذ مصر بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي؛ وأرسل معه العساكر وهو المقدم على الجميع؛ وكان رحيله من إفريقية في يوم السبت رابعَ عشرَ شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة؛ وتسلم مصر في يوم الثلاثاء ثامنَ عشرَ شعبان من السنة. على ما سنحكيه.

ولما دخل مصر صعد المنبر يوم الجمعة خطيباً وخطب ودعا لمولاه المعزّ بإفريقية؛ وذلك في نصف^(٣) شهر رمضان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة المذكورة. وكان المعزّ لما ندب جوهرأ هذا إلى التوجّه إلى الديار المصرية أصحبه من الأموال والخزائن ما لا يُحصى، وأطلق يده في جميع ذلك، وأفرغ الذهب في صور^(٤) الأرحاء، وحملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس. وقال في رحيله من

(١) ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان: ٣٧٥/١، وخطط المقرئزي: ٣٧٧/١، وخطط علي مبارك: ١٩٢/٣، واتعاط الحنفا بأخبار الخلفاء للمقرئزي، وتهذيب ابن عساكر: ٤١٦/٣، وابن الأثير وابن خلدون وغيرها.

(٢) عظم محل جوهر عند سيده منذ عام ٣٤٧هـ، وصار في رتبة الوزارة، ثم صيّر قائداً لجيوشه. (خطط المقرئزي، وخطط علي مبارك).

(٣) في ابن خلكان: «يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان» ومثله في البيان المغرب، وفيه: «وكان الخطيب أبو محمد الشمشاطي».

(٤) عبارة المقرئزي: «في هيئة الأرحية».

القَيَّرَوَانُ شاعرُ الأندلس محمد^(١) بن هانيء قصيدته المشهورة في جوهر، وهي:
[الطويل]

رأيتُ بعيني فوق ما كنتُ أسمعُ	وقد راعني يومٌ من الحَشْرِ أَرْوَعُ
غداةَ كأنَّ الأفقَ سُدَّ بمثله ^(٢)	فعادَ غُرُوبُ الشمسِ من حيثَ تَطْلُعُ
فلم أدر إذ ^(٣) ودَعْتُ كيفَ أودَعُ	ولم أدرِ إذ شَيَّعتَ كيفَ أَشَيَّعُ
ألا إنَّ هذا حَشْدٌ من لم يَدُقْ له	غِرَارَ الكَرَى جَفْنٌ ولا باتَ يَهْجَعُ
إذا حلَّ في أرضِ بناها مدائنُ	وإن سارَ عن أرضِ غدت ^(٤) وهي بَلْقَعُ
تَحُلَّ بيوتُ المالِ حيثُ محلُّه	وجُمُ العَطَايا والرِّواقُ المُرْفَعُ
وكَبُرَتِ الفُرسانُ لله إذ بدا	وظلُّ السلاحِ المتَنَضِّي يتَقَعَقُعُ
وعَبَّ عُبَابُ المَوِكبِ الفخمِ حَوْلَه	وزَفَّ ^(٥) كما زَفَّ الصِّباحُ المُلَمَّعُ
رحلتُ إلى الفُسطاطِ أوَّلَ رحلةٍ	بأَيِّمِنِ فالٍ في الذي أنتَ تَجْمَعُ ^(٦)
فإن يكُ في مصرٍ ظمَاءٌ لِمُورِدٍ	فقد جاءَهم نَيْلٌ سِوَى النَّيلِ يَهْرَعُ ^(٧)
ويَمَمُّهم من لا يَغَارُ بنعمةٍ	فيسلُبُهم لكن يزيدُ فيوسِعُ

ولما آستولَى على مصر أرسل جوهرُ هذا يُهنئُ مولاه المعزَّ بذلك؛ فقال
أبن هانيء المذكور أيضاً في ذلك: [الطويل]

-
- (١) سترجم له في حوادث سنة ٣٦٢ هـ.
(٢) كذا في المقرئ وديوانه. وفي الأصل: «لمثله» وفي قوله: «فعاد غروب الشمس من حيث تطلع» إشارة إلى كثرة الجند بحيث أظلمت الدنيا بسبب تحركهم نحو الشرق. وفي ضخامة تلك الحملة يروي المقرئ (اتعاظ الخنفا: ٧١) على لسان أحد المصريين الذي قال فيها إنها «مثل جمع عرفات كثرة وعدة».
(٣) في الأصل: «إن» وما أثبتناه عن المقرئ وديوانه.
(٤) في ديوانه: «ثوت».
(٥) كذا في ديوانه. وفي الأصل: «ورف كما رف». وفي خطط المقرئ: «ورق كما رق». وزف: لمع.
(٦) كذا في الأصل والمقرئ. ورواية الديوان:
رحلت إلى الفسطاط أيمن رحلة
بأيمن فال بالذي أنت مجمع
(٧) كذا في ديوانه والمقرئ. وفي الأصل: «مشرع».

يقول بنو العباس هل^(١) فُتِحَت مصرُ فقل لبني العباس قد قُضِيَ الأمرُ
وقد جاوز الإسكندرية جوهرُ نصاحبه^(٢) البُشْرَى ويقدمه النصرُ

ذكر دخول جوهر إلى الديار المصرية وكيف ملكها

قال غير واحد: كان قد آنحرم نظام مصر بعد موت كافور الإخشيدي لما قام على مصر أحمد بن علي بن الإخشيد وهو صغير، فصار ينوب عنه ابن عم أبيه الحسن بن عبيد الله بن طغج، والوزير يومئذ جعفر بن الفُرات؛ فقلّت الأموال على الجند، فكتب جماعة منهم إلى المعزّ لدين الله معذّ وهو بالمغرب يطلبون منه عسكرياً ليسلموا إليه مصر؛ فجهّز المعزّ جوهرأ هذا بالجيش والسلاح في نحو ألف فارس أو أكثر، فسار جوهر حتى نزل بجيوشه إلى تروجة^(٣) بقرب الإسكندرية، وأرسل إلى أهل مصر فأجابوه بطلب الأمان وتقرير أملاكهم لهم؛ فأجابهم جوهر إلى ذلك وكتب لهم العهد^(٤). فعلم الإخشيدية بذلك، فتأهبوا لقتال جوهر المذكور؛ فجاءتهم من عند جوهر الكتب والعهود بالأمان؛ فأختلفت كلمتهم؛ ثم اجتمعوا على قتاله وأمرؤا عليهم ابن الشوزاني^(٥)، وتوجّهوا لقتاله نحو الجيزة وحفظوا الجسور؛ فوصل جوهر إلى الجيزة، ووقع بينهم القتال في حادي عشر شعبان ودام القتال

(١) كذا في ديوانه. وفي الأصل والمقريزي وابن خلكان وعلي مبارك: «قد فتحت».

(٢) كذا أيضاً في خطط المقريزي. وفي الديوان وابن خلكان: «تطالعه». وفي هذا البيت إشارة إلى الترحاب الذي لاقى به أهل الإسكندرية العساكر الفاطمية. وقد كان جوهر ومولاه المعزّ يعلمان مدى تعلق المصريين بهم في تلك الفترة، ويدل على ذلك أن دعاة المعز وجواسيسه بمصر - حين أرسلوا إليه بأن المصريين على هواه - أنفذ إليهم أعلاماً وقال: «فرقوها على من يبايع من الجند. وأمرهم إذا قربت العساكر المعزية أن ينشروها، فلما قربت العساكر من الإسكندرية فعلوا ذلك. (انظر اتعاظ الحنفا: ٦٦، وكتاب المعز لدين الله الحسن إبراهيم حسن وطه شرف: ص ٨٤).

(٣) هذه القرية كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجري، حيث وردت في كتاب التحفة السنية لابن الجيعان ص ١٢٤ طبع بولاق، وقد درست مساكنها. وعملها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضي ناحية زاوية صقر بمركز أبي المطاير بمديرية البحيرة (م. رمزي).

(٤) نصّ كتاب العهد أورده المقريزي في اتعاظ الحنفا: ص ٦٧ - ٧٠؛ ثم إن جوهرأ أكد هذا العهد بعهد آخر أرسله إلى الشريف أبي جعفر مسلم بن محمد، نفس المصدر، ص ٧٢. وذكره ابن خلكان باسم: الشريف أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني.

(٥) في ابن خلكان: «نحرير الشوزاني». وفي مخطوطة أخرى من الوفيات: «الشونيزاني».

بينهم مدة، ثم سار جوهر إلى مئية الصيادين^(١) وأخذ مخاضة منية شلقان^(٢)؛ ووصل إلى جوهر طائفة من العسكر في مراكب، فقال جوهر للأمير جعفر بن فلاح: لهذا اليوم أراك^(٣) المعز لدين الله! فعبر عريانا في سراويل وهو في مركب^(٤) ومعه الرجال خوفاً، وألتقى مع المصريين^(٥) ووقع القتال بينهم وثبت كل من الفريقين، فقتل كثير من الإخشيدية وأنهزم الباقون بعد قتال شديد. ثم أرسلوا يطلبون الأمان من جوهر فأمنهم، وحضر رسوله ومعه بند وطاف بالأمان ومنع من النهب؛ فسكن الناس وفتحت الأسواق ودخل جوهر من الغد إلى مصر في طوله وبنوده وعليه ثوب ديباج مذهب، ونزل بالمناخ، وهو موضع القاهرة اليوم؛ واختطها وحفر أساس^(٦) القصر في الليلة، وبات المصريون في أمن؛ فلما أصبحوا حضروا لهناؤه^(٧) فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل، وكان فيه زورات غير معتدلة؛ فلما شاهد ذلك جوهر لم يعجبه؛ ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة [فلا أغيره]^(٨)، ثم تركه.

(١) ذكر ابن الجيعان في كتابه: التحفة السنية (ص ١٤٦، طبع بولاق) أنها من صفقة «بشتيل» - إحدى قرى مركز امبابة - وتسمى اليوم «ميت النصارى»، وهي مشتركة في السكن من ناحيتي أمبوبة ووراق الحضر بمركز امبابة. (م. رمزي).

(٢) مئية شلقان: هي التي تعرف اليوم باسم شلقان، وهي قرية واقعة شرقي القناطر الخيرية بمركز قليب. (م. رمزي).

(٣) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «حباك».

(٤) في طبعة دار الكتب: «موكب» وهو تحريف.

(٥) الواقع أن المواجهة العسكرية لم تكن بين المصريين وجيش الفاطميين، وإنما كانت بين هؤلاء وجماعة من الجنود الإخشيدية والكافورية الذين عزّ عليهم أن يستولي جوهر على مصر بهذه السهولة وأن يزول نفوذهم بين عشية وضحاها بدخول الجيوش الشيعية المغربية هذه البلاد. ولما كانت الجندية مصدر رزقهم ونفوذهم وهيتهم، عولوا على الوقوف في وجه الفاطميين وامتنعوا عن الالتزام بما جاء في عهد جوهر. وهذا يدل على أن الذين قاوموا الحكم الفاطمي لم يكونوا من المصريين الذين حنقوا على الكافورية والإخشيدية وأفتوا بقتالهم وقتلهم على لسان أبي الطاهر قاضي مصر السني. (انظر المعز لدين الله: ص ٨٩، واتعاض الحنفا: ص ٧١).

(٦) في الأصل: «وحفر أساسها من القصر». وما أثبتناه عبارة المقرئ في خطه.

(٧) كذا بالأصل. وفي خطط علي مبارك وصبح الأعشى: «للهناء» وفي ابن خلكان: «لللهناء».

(٨) زيادة عن ابن خلكان.

ثم كتب جوهر إلى مولاه المعزّ يبشره بالفتح، ويحث إليه برؤوس القتلى؛ وقطع خطبة بني العباس ولبس السواد، ولبس الخطباء البياض؛ وأمر أن يقال في الخطبة: «اللهم صلّ على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى؛ و[على]»^(١) فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول؛ [الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً]^(٢). وصلّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين، المعزّ لدين الله. ففعل ذلك؛ وأنقطعت دعوة بني العباس في هذه السنة من مصر والحجاز واليمن والشام. ولم تزل الدعوة لبني عبّيد في هذه الأقطار من هذه السنة إلى سنة خمس وستين وخمسائة، مائتي سنة وثمانين سنين، على ما يأتي ذكره في خلافة المستضيء العباسي.

وكان الخليفة في هذه الأيام عند أنقطاع خطبة بني العباس من مصر المطيع لله الفضل. ومات المطيع ومن بعده سبعة خلفاء من بني العباس ببغداد حتى انقرضت دولة بني عبّيد من مصر على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، والخليفة يوم ذاك المستضيء العباسي، على ما يأتي ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

ثم في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة أذنوا بمصر بـ «حيّ على خير العمل»^(٣). واستمر ذلك.

ثم شرع جوهر في بناء جامعہ بالقاهرة المعروف بجامع الأزهر، وهو أول جامع بنته الرافضة بمصر؛ وفرغ من بنائه في شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة بعد أن كان أبتى القاهرة؛ كما سيأتي ذكر بنائها في هذه الترجمة أيضاً.

(١) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب.

(٢) قال ابن خلكان: «... وخطب عبد السمیع بن عمر العباسي الخطيب، وذكر أهل البيت وفضائلهم، ودعا للقائد، وجهر القراءة بيسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة، وأذن بحي على خير العمل، وهو أول من أذن به بمصر، وقت الخطيب في صلاة الجمعة - كل ذلك في جامع ابن طولون. وفي جمادى الأولى من السنة أذنوا في جامع مصر العتيق بحي على غير العمل. ولما دعا الخطيب على المنبر للقائد جوهر أنكر عليه ذلك وقال: ليس هذا رسم موالينا».

ولمّا ملك جوهر مصر كان الحسن بن عبّيد الله بن الإخشيد المقدّم ذكره بالشام وهو بيده إلى الرملة؛ فبعث إليه جوهر بالقائد جعفر بن فلاح المقدّم ذكره أيضاً، فقاتل ابن فلاح حسناً المذكور بالرملة حتى ظفّر به، وبعث به إلى مصر، حسب ما تقدّم ذكره، وبعثه القائد جوهر إلى المغرب؛ فكان ذلك آخر العهد به^(١). ثم سار جعفر بن فلاح إلى دمشق وملّكها بعد أمور، وخطّب بها للمعزّ في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. ثم عاد ابن فلاح إلى الرملة؛ فقام الشريف أبو القاسم إسماعيل بن أبي يعلى بدمشق وقام معه العوامّ وليّس السّواد^(٢) ودعا للمطيع، وأخرج إقبالاً أمير دمشق الذي كان من قبل جوهر القائد، فعاد جعفر بن فلاح إلى دمشق في ذي الحجة ونازلها، فقاتله أهلها، فطاولهم حتى ظفّر بهم؛ وهرب الشريف أبو القاسم إلى بغداد على البرّة. فقال ابن فلاح: من أتى به فله مائة ألف درهم، فلقيه ابن غلبان العدويّ في البرّة فقبض عليه وجاء به إلى ابن فلاح؛ فشهره على جمل وعلى رأسه قلنسوة من لُبود، وفي لحيته ريش مغرور ومن ورائه رجل من المغاربة يُوقع به، ثم حبسه؛ ثم طلبه ابن فلاح ليلاً وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ وسأله من ندبه إلى ذلك؛ فقال: ما حدّثني به أحد إنّما هو أمرٌ قدّر؛ فرّق له جعفر بن فلاح ووعدّه أنه يكتب فيه القائد جوهرًا، وأسترجع المائة ألف درهم من الذين أتوا به، وقال لهم: لا جزاكم الله خيراً! غدرتم بالرجل. وكان ابن فلاح يحبّ العلويّين، فأحسن إليه وأكرمه.

وأستمرّ جوهر حاكم الديار المصريّة إلى أن قَدِم إليها مولاه المعزّ لدين الله معَدّ في يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة؛ فصُرف جوهر عن الديار المصريّة بأستاذه المعزّ، وصار من عظماء القوّاد في دولة المعزّ وغيره. ولا زال جوهر على ذلك إلى أن مات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ورثاه الشعراء. وكان جوهر حسن السيرة في الرّعية عادلاً عاقلاً شجاعاً مدبّراً.

(١) ... وفي المغرب بايع الحسن بن عبيد الله للمعزّ الفاطمي؛ ثم أعيد إلى مصر فأقام إلى أن توفي سنة

٣٧١ هـ. (الأعلام: ١٩٨/٢).

(٢) وهو شعار العباسيين.

قال ابن خلّكان (رضي الله عنه): تُوفّي يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. وكان ولده الحسين بن جوهر قائد القوّاد للحاكم صاحب مصر، ثم نقم عليه فقتله في سنة إحدى وأربعمئة؛ وكان الحسين قد خاف على نفسه من الحاكم، فهرب هو وولده وصهره القاضي عبد العزيز بن [محمد بن] ^(١) النعمان، وكان زوج أخته؛ فأرسل الحاكم من ردهم وطيب قلوبهم وأنسهم مدة. ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة، فتقدّم الحاكم إلى راشد وكان سيف النّعمة، فاستصحب عشرة من الغلمان الأتراك، فقتلوا الحسين بن جوهر وصهره القاضي وأحضروا رأسيهما إلى بين يدي الحاكم. وقد ذكرنا الحسين هنا حتى يعرف بذكره أن جوهرًا المذكور فعل غير خَصِيٍّ، بخلاف الخادم بهاء الدين قراقوش والأستاذ كافور الإخشيدي والخادم ريدان ^(٢) وغيرهم.

ذكر بناء جوهر القائد القاهرة وحاراتها

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ^(٣) في كتابه «الروضة [البهية]» ^(٤) الزاهرة، في الخطط المعزّية القاهرة؛ قال: «أختطّ جوهر القصر وحفّر أساسه في أوّل ليلة نزوله القاهرة، وأدخل فيه دَيْرَ العظام، وهو المكان المعروف الآن بالركن ^(٥) المخلّق قبالة حوض جامع الأقمر، قريب من بئر العظام، والمصريون يسمونها بئر

(١) زيادة عن شذرات الذهب ومعجم البلدان.

(٢) هو أبو الفضل ريدان الصقلبي صاحب المظلة.

(٣) هو القاضي عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي، محيي الدين المتوفى سنة ٦٩٢ هـ. كان صاحب ديوان الإنشاء بمصر لكل من الملك الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل من ملوك الممالك البحرية، وكان له شأن إبان حكم هؤلاء الملوك جميعاً. (انظر الدراسة الوافية عنه في مقدمة كتابه: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور - بتحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار، الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦١).

(٤) زيادة عن كشف الظنون والمقريزي.

(٥) الركن المخلّق: يطلق هذا الاسم على الزاوية التي كان يتلاقى فيها الحائط البحري للقصر الكبير بالحائط الغربي له. وهذا الركن موضعه اليوم الزاوية البحرية الغربية للمنزل رقم (١١) بشارع التبكشية تجاه دورة مياه الجامع الأقمر، وبأسفل هذا المنزل مسجد قديم يعرف بمعبد موسى. (م. رمزي).

العظمة، ويزعمون أن طاسة وقعت من شخص في بئر زمزم وعليها اسمه، فطلعت من هذه البئر. ونقل جوهر القائد العظام^(١) التي كانت في الدير المذكور والرسم إلى دير في^(٢) الخندق فدفنها؛ لأنه يقال: إنها عظام جماعة من الحواريين، وبنى مكانها مسجداً^(٣) من داخل السور، وأدخل أيضاً قصر الشوك في القصر المذكور، وكان منزلاً تنزله^(٤) بنو عذرة، وجعل للقصر أبواباً: أحدها باب العيد^(٥) وإليه تنسب رحبة باب العيد؛ وإلى جانبه باب يُعرف بباب الزمرذ^(٦)؛ وباب آخر^(٧) قبالة دار الحديث

(١) في الأصل: «ونقل جوهر القائد بئر العظام».

(٢) كذا بالأصل. وفي المقرئ: «دير الخندق». وهذا الدير كان بظاهر القاهرة من بحرها، عمره القائد جوهر عوضاً عن دير هدمه كان بالقرب من الجامع الأحمر حيث البئر التي تعرف ببئر العظمة. وقد هدم دير الخندق في سنة ٦٧٨هـ في أيام المنصور قلاوون ثم جدد بدله كنيسة، إحداها أقيمت في محل الدير الأصلي، وهي التي تعرف اليوم باسم كنيسة «أنبارويس» ببجانة الأقباط بشارع الملكة نازلي بجهة الدمرداش. والثانية واقعة بالجهة البحرية من الأولى، وتعرف اليوم باسم «دير الملك البحري» غربي محطة الدمرداش. (م. رمزي). وانظر خطط المقرئ: ٥٠٧/٢، ٥١١.

(٣) هذا المسجد هو الذي يعرف اليوم باسم «معبد موسى» بجوار الركن المخلق الواقع تجاه دورة مياه الجامع الأحمر. ولم تزل آثار هذا المعبد باقية تحت المنزل رقم (١١) بشارع التنبكشية. (م. رمزي). وانظر المقرئ: ٤١٢/٢.

(٤) كذا في الخطط التوفيقية: ٣١/١. وعبارة علي مبارك: «وكان بهذه الرملة (يعني مكان القاهرة) أيضاً موضع يعرف بقصر الشوك (بصبغة التصغير) تنزله بنو عذرة في الجاهلية، وصار عند بناء القاهرة خطأ يعرف بقصر الشوك».

(٥) باب العيد: هو من الأبواب الشرقية للقصر الكبير داخل درب السلامي بخط رحبة باب العيد، وسمي بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه في يومي العيد إلى المصلى التي كانت بظاهر باب النصر. (المقرئ: ٤٣٥/١، وخطط علي مبارك: ٩٤/٢) وموضع هذا الباب اليوم حوش الوكالة وقف الست نفيسة رقم ٢٠ بشارع قصر الشوك الشهيرة بوكالة عبده. (م. رمزي).

(٦) من الأبواب الشرقية للقصر الكبير. سمي بذلك لأنه كان يتوصل منه إلى قصر الزمرد. وكان واقعاً في مكان المدرسة الحجازية. (المقرئ: ٤٣٥/١، وعلي مبارك: ٩٤/٢) وموضعه اليوم محراب جامع الحجازية بغطفة القفاصين بشارع حبس الرحبة بالجمالية. (م. رمزي).

(٧) وهو باب البحر، من أبواب القصر الغربية. سمي بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه عندما يقصد التوجه إلى شاطئ النيل بالمقصر. وموضع باب البحر يعرف بباب قصر بشتاك قبالة المدرسة الكاملة، وهو من إنشاء الحاكم بأمر الله. (المقرئ وعلي مبارك). قال محمد رمزي: وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضي تجاه جامع الملك الكامل بشارع بين القصرين.

(يعني المدرسة الكاملة)؛ وباب آخر قُبالة القُطَيْبَةِ وهي البيمارستان الآن، يُعرف الباب المذكور بباب الذهب^(١)؛ وباب الزُهومة^(٢)؛ وباب آخر^(٣) من ناحية قصر الشوك؛ وباب آخر من عند مشهد الحسين، ويُعرف بباب التربة^(٤)؛ وباب آخر يُعرف بباب الديلم^(٥)، وهو باب مشهد الحسين الآن قُبالة دار الفِطْرَةِ^(٦). قال: وأما أبواب القاهرة التي استقر عليها الحال الآن فيأتي ذكرها^(٧).

(١) كذا في المقرئزي والخطط التوفيقية وصبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٥٠). وفي الأصل: «باب الزهري»، وهو خطأ. وهو من أبواب القصر الغربية، ومن أعظم الأبواب وأجلها، كانت تدخل منه المواكب وجميع أهل الدولة، وكان تجاه البيمارستان المنصوري. ومحل محراب المدرسة الظاهرية الواقعة بعطفة جامع طاهر على يمين الداخل بشارع بيت القاضي من جهة شارع بين القصرين (م. رمزي).

(٢) باب الزهومة: هو من الأبواب الغربية للقصر الكبير؛ سمي بذلك لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل إلى مطبخ القصر كان يدخل بها من هذا الباب، وكان من داخل الزقاق المشهور الآن بخان الخليلي الذي تجاه وكالة الجوهريّة. وموضعه اليوم الدكاكين الواقعة في أول شارع خان الخليلي على يسار داخله من جهة شارع القمصانجية من شارع بين القصرين. والزهومة: الزفر (م. رمزي).

(٣) لم يذكر المؤلف اسم هذا الباب، وسماه المقرئزي: باب قصر الشوك. وهو ثالث الأبواب الشرقية للقصر الكبير، كان يتوصل منه إلى قصر الشوك. وموضعه اليوم مدخل عطفة القزازين بدرب القزازين (م. رمزي).

(٤) في الأصل: «باب السرية»، وصوابه: «باب التربة» الذي يعرف بباب تربة الزعفران، كما هو وارد في الخطط المقرئزية: ٤٣٥/١. وهو من أبواب القصر الكبير القبلية، كان يتوصل منه إلى مقابر الخلفاء التي كانت بداخل القصر حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية. وقال علي مبارك المتوفى سنة ١٣١١هـ: ومحل الآن الباب المعقود الذي يسلك منه إلى البادستان تجاه خان النحاس المسمى في بعض حجج الأملاك المحررة في القرن العاشر بخان الفسقية. وقبل ذلك كان يسمى بخان المعجم. وموضع هذا الباب اليوم مدخل وكالة القطن بسكة البادستان بخان الخليلي (م. رمزي).

(٥) باب الديلم، قال المقرئزي: «إنه كان يدخل منه إلى المشهد الحسيني، وإنه كان تجاه دار الفطرة التي أصلها من إصطبل الطارمة». وموضع هذا الباب اليوم بَوَابة أثرية قديمة يعلوها مثذنة قديمة من عهد الدولة الأيوبية واقعة على مدخل شارع الباب الأخضر الموصل إلى الباب الأخضر الشرقي لمسجد سيدنا الحسين (م. رمزي).

(٦) دار الفطرة، قال المقرئزي: ٤٢٥/١: دار الفطرة كانت خارج القصر قبالة باب الديلم ومشهد الحسين، بناها العزيز بالله وقرر فيها ما يعمل مما يحمل من الفطرة إلى الناس في العيد. ومحلها اليوم الدور الواقعة في أول شارع فريد على يمين الداخل-فيه من جهة الميدان القبلي لجامع سيدنا الحسين تجاه بَوَابة شارع الباب الأخضر (م. رمزي).

(٧) وقد أغفل المؤلف الباب التاسع للقصر الكبير هو بابه البحري الوحيد المسمى باب الريح. قال =

قال [أي ابن عبد الظاهر]: وَإِنَّ حَدَّ^(١) القاهرة من مصر من السبع سقايات^(٢) إلى تلك الناحية عرضاً. قال: وَلَمَّا نَزَلَ جوهر القائد أَخْتَطَّتْ كُلَّ قَبِيلَةٍ خِطَّةً عُرِفَتْ بها، فزويلة^(٣) بَنَتْ البابين المعروفين ببابي زويلة، وهما البابان اللذان عند مسجد آبن البناء^(٤) وعند الحجَّارين^(٥)، وهما بابا^(٦) القاهرة. ومسجد آبن البناء المذكور بناه الحاكم. وذكر آبن القِفْطِي أَنَّ المعزَّ لَمَّا وَصَلَ مصر دخل إلى القاهرة من

= المقرزي: وكان هذا الباب تجاه سور خانقاه سعيد السعداء على مئة السالك من الركن المخلق إلى رجة باب العيد. ومكانه اليوم باب وكالة سالم وسعيد بازرة الحضارمة رقم ٢٥ بشارع التمبكشية بجوار جامع جمال الدين (الجامع المعلق) تجاه الجانب القبلي للجامع سعيد السعداء. (م. رمزي). وقال القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ: ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رجة الأيدمرى طولاً، ومن السبع خوخ إلى رجة باب العيد عرضاً. والحدَّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضي إلى السبع خوخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رجة الأيدمرى، ثم إلى الركن المخلق، ثم إلى بين القصرين حتى تأتي إلى باب المدرسة الصالحية من حيث ابتدأت. فما كان على يسارك في جميع دورتك فهو موضع القصر. (صبح الأعشى: ٣/٣٩٤، طبعة دار الكتب العلمية).

(١) قال المقرزي عند الكلام على الحد الفاصل بين القاهرة وبين مصر (الفسطاط): إنه كان من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رقية. ولعل المؤلف يقصد بعبارة إلى تلك الناحية عرضاً أي إلى الجهة الشرقية حيث مشهد السيدة رقية الذي لم يزل موجوداً في النهاية الجنوبية لشارع الخليفة بقسم الخليفة. (م. رمزي). وأضاف القلقشندي - نقلاً عن ابن عبد الظاهر - بعد قوله: «إلى مشهد السيدة رقية عرضاً» أضاف: «وكان قبل ذلك من المجنونة».

(٢) قال المقرزي: السبع سقايات كانت خطأ من أخطا القاهرة على الخليج بجوار قناطر السباع، وسمي الخط بذلك نسبة إلى السبع سقايات، وهي عبارة عن سبعة أحواض كانت مخصصة للشرب. وكان موقعها على يمين السالك اليوم في شارع السدِّ الجَوَانِي تجاه مسجد السيدة زينب في الجهة الغربية. (م. رمزي).

(٣) زويلة: اسم قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائد من المغرب. وسيأتي للمؤلف عند ذكر حارة زويلة أنها اسم امرأة ويحتمل أن تكون القبيلة سميت بها. وفي القاموس: «زويلة كجهينة». ونقل شارحه عن المقرزي ومعجم ياقوت «زويلة كسفية».

(٤) مسجد ابن البناء، هو الذي يعرف اليوم باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المناخلة، وتسميها العامة زاوية سام بن نوح؛ وأما ابن البناء فهو محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعي المقرئ. مات سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. راجع المقرزي (ج ٢ ص ٤٠٩).

(٥) الحجَّارين: المقصود بالحجَّارين هو سوق الحجَّارين. وموضعه اليوم شارع المنجدين (م. رمزي).

(٦) بابا القاهرة: قد زال هذان البابان، وبني أمير الجيوش بدر الجمالي بدلها باب زويلة الكبير القائم إلى اليوم، وتسمية العامة بَوَّابة المتولي، حيث كان يجلس في مدخله متولي حصة القاهرة. (م. رمزي).

الباب الأيمن، فالناس إلى اليوم يزدهمون فيه، وقليل من يدخل من الباب الأيسر، لأنه أشيع في الناس أن من دخله لم تُقَصَّ له حاجة، وهو الذي عند دكاكين الحجارين [و] الذي يتوصّل منه إلى المحمودية^(١). قلت: وقد دثر رسوم هذا الباب الثاني المذكور، وهو مكان يمرّ منه الآن من باب سر الجامع المؤيدي إلى الأنماطين^(٢).

قال: والباب الآخر من أبواب القاهرة القوس^(٣) الذي هو قريب من باب النصر، الذي يُخرج منه إلى الرحبة^(٤)، وهو عند باب سعيد السعداء، [و]^(٥) دكاكين العطارين الآن. وباب آخر يعرف بالقوس^(٦) أيضاً وهو الذي يُخرج

(١) المحمودية: هي إحدى حارات القاهرة القديمة، وكانت تشغل المنطقة التي يتوسطها اليوم شارع الإشرافية والنصف الشرقي من شارع النبوية يقسم الدرب الأحمر (م. رمزي).

(٢) كذا في صبح الأعشى والخطط التوفيقية. وفي الأصل: «الماطين»، وهو تحريف. والأنماطين والحدادين والحجارين يطلق على كل ذلك اسم شارع المنجدين الآن (راجع الخطة التوفيقية ج ٣ ص ١٧٧). ويقصد المؤلف بعبارة: «إلى الأنماطين» أي إلى سوق الأنماطين وهو الذي تباع فيه الأنماط، وهي الستور التي توضع على الموادج فوق الجمال أثناء السفر وأغطية السروج (م. رمزي).

(٣) باب القوس: يظهر من عبارة المؤلف أنه يقصد بهذا الباب باب النصر القديم. قال المقرئ: كان باب النصر أولاً دون موضعه اليوم. وقد أدرك قطعة من أحد جانبيه، كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي بحيث تكون الرحبة التي فيها بين المدرسة القاصدية وبين بابي جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة، ولما تقلد أمير الجيوش بدر الجمالي وزارة المستنصر نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن. وموضع هذا الباب اليوم تجاه زاوية القاصد الواقعة بشارع باب النصر بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء (م. رمزي) — قارن أيضاً بصبح الأعشى: ٣٩٧/٣.

(٤) الرحبة، يقصد بذلك رحبة باب العيد وسيأتي الكلام عليها في ص ٥٣.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) باب آخر يعرف بالقوس: يظهر من عبارة المؤلف أنه يقصد بهذا الباب باب الفتوح القديم. وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فإنه من وضع أمير الجيوش بدر الجمالي. وكان الباب القديم قائماً بشارع باب الفتوح على رأس شارع بين السيارج من الجهة القبليّة. (م. رمزي) — قلت: ولعل ما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى: ٣٩٧/٣: يقدم صورة أوضح، قال: حين اختط القائد جوهر القاهرة جعل لها أربعة أبواب: بابين متقاربين، وبابين متباعدين. فالتقاربان بابا زويلة. . . والبايان المتباعدان هما القوس الذي داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين، وقوس آخر كان على حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن، فهدم، ثم ابنتي أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ٨٤٨٠ هـ سوراً من لبن دائراً على القاهرة، وبعضه باق إلى زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق؛ ثم ابنتي الأفضل ابن أمير الجيوش باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره ابن عبد الظاهر في خطه.

منه إلى السوق الذي [هو] ^(١) قريب [من] ^(٢) حارة بهاء الدين قراقوش ^(٣)، على يسرة باب الجامع الحاكمي من ناحية الحوض، وتعرف قديماً بالريحانية. وكل هذه الأبواب والسور كانت باللين.

وأما باب زويلة الآن وباب النصر وباب الفتوح فبناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش، وكتب على باب زويلة تاريخه وأسمه، وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة ^(٤). وقالت المهندسون: إن في باب زويلة عيباً لكونه ليست له باشورة ^(٥) قدّامه ولا خلفه على عادة الأبواب. وأما باب ^(٥) القنطرة فبناه القائد جوهر المذكور.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) حارة بهاء الدين: كانت تسمى قديماً حارة الريحانية، نسبة إلى طائفة من عسكر الخلفاء الفاطميين نزلوا بها وقت إنشاء القاهرة فعرفت بهم. وفي عهد الدولة الأيوبية سكنها بهاء الدين قراقوش أحد وزراء السلطان صلاح الدين فعرفت به. وموضعها المنطقة التي تحد اليوم من الشرق بشارع باب الفتوح، ومن الغرب بشارع الخليج المصري، ويتوسطها شارع بين السيارج من الشرق إلى الغرب. (م. رمزي). وقال علي مبارك (المخطوط التوفيقية: ١٢١/٣): وشارع بين السيارج هو الذي سماه المقرئ بحارة بهاء الدين. وكانت هذه الحارة تعرف أيضاً بحارة الريحانية والوزيرية — وهما طائفتان من طوائف عساكر الفاطميين — وقيل لها أيضاً: بين الحارتين.

(٣) ثمانين وأربعمائة: هذه العبارة تخالف الواقع، لأن الوزير الأفضل تولى الحكم بعد وفاة والده في سنة ٤٨٧ هـ. فكيف إنه بنى هذه الأبواب وكتب اسمه على باب زويلة سنة ٤٨٠ هـ! والصواب أن الذي بنى هذه الأبواب هو أمير الجيوش بدر الجمالي، يؤيد ذلك ما يوجد اليوم من النقش على بابي الفتوح والنصر وما قرره المقرئ بعد معاينته باب زويلة (م. رمزي) — وقد قرّر المقرئ أن بناء باب زويلة الكبير كان في سنة ٤٨٥ هـ على يد أمير الجيوش بدر الجمالي.

(٤) الباشورة: هي أن يكون أمام كل باب أو خلفه بناء ذو عطف حتى لا تهجم عليه العساكر وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة. (راجع المقرئ في الكلام على باب زويلة: ٣٨٠/١).

(٥) باب القنطرة: هو أحد أبواب القاهرة، عرف بذلك لأن جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ليمشي عليها إلى المقس عند مسير القرامطة إلى مصر، في شوال سنة ستين وثلاثمائة هجرية. وكان موضعه على مدخل شارع أمير الجيوش الجواني تجاه مدرسة باب الشعرية. وفي سنة ٥٧٠ هـ أقام السلطان صلاح الدين سوراً آخر على حافة الخليج المصري مباشرة لجهة الغرب من السور القديم وجعل باب القنطرة تجاه الباب القديم وعلى بعد ٢٥ متراً منه، ولم يزل أساس هذا الباب باقياً تحت سطح الشارع. ومن هنا أتى اسم شارع بين السورين. والعامية تسمي باب القنطرة خطأ باسم باب الشعرية في حين أن ذاك الباب كان قائماً غربي الخليج بميدان العلوي بين شارعي العلوي وسوق الجراية. وكان عند ذاك الباب قنطرة أخرى ذكرها المقرئ باسم قنطرة باب الشعرية. وتعرف في أيامنا =

وأما السور الحجر الذي على القاهرة ومصر والأبواب التي به فبناها الطواشي بهاء الدين قراقوش الرومي في أيام أستاذه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة سبعين وخمسائة؛ فبنى فيه [قلعة] ^(١) المَقْس، وهو البرج الكبير الذي كان على النيل. قلت: وقد نُسِفَ ^(٢) هذا البرج من تلك الأماكن في سنة سبعين وستمائة. يأتي ذكر ذلك في ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء الله تعالى من هذا الكتاب. قال: وبنى باب الجامع والقلعة التي بالجبل والبرج الذي بمصر قريباً من باب القنطرة المسمى بقلعة يازكوج ^(٣)، وجعل السور طائفاً بمصر والقاهرة، ولم يتم بناؤه إلى الآن؛ وأعانه على عمله وحفر البئر التي بقلعة الجبل أسارى الفرنج، وكانوا ألوفاً. وهذه البئر من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها وتنقل الماء من نقالة في ^(٤) وسطها، وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها؛ ولها طريق إلى الماء تنزل البقر إلى معينها في مجازٍ؛ وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء؛ وقيل: إن أرض هذه البئر مسامنة لأرض بركة الفيل ^(٥)؛ وماؤها عذب.

= باسم قنطرة الخروبي. والعدوي والخروبي مدفونان في مسجد واحد بجوار موقع الباب المذكور. (م. رمزي).

(١) زيادة يقتضيه السياق. قال المقرئ: بنى صلاح الدين برجاً كبيراً في محل قنطرة الخلفاء بجوار الجامع في نهاية سور القاهرة عند باب البحر ويقال له قلعة المقس. وعملها اليوم المكان القائم عليه عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية الشرقية بميدان باب الحديد. (م. رمزي).

(٢) في الأصل: «وقد نشف هذا البرج من تلك الأماكن في سنة نيف وثمانين وستمائة» والتصويب عن الخطط المقرئية عند الكلام على جامع المقس وعلى ذكر سور القاهرة.

(٣) قلعة يازكوج: كانت هذه القلعة مجاورة لباب القنطرة بمصر (الفسطاط) من الجهة الشرقية، وباب القنطرة كان واقعاً بمصر القديمة في نهاية شارع الصغير عند تلاقيه بشارع أثر النبي. (راجع الخطط المقرئية ج ١ عند الكلام على أبواب مدينة مصر، وج ٢ عند الكلام على بركة الحبش وبركة شطا).

(٤) في الأصل: «من». وما أثبتته عن المقرئ.

(٥) بركة الفيل: هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة، وهي كبيرة جداً، ولم يكن في القديم عليها بنيان. ولما وضع جوهر مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة. ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمائة حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلها. وماء النيل يدخل إلى هذه البركة من الموضع الذي يعرف بالجسر الأعظم تجاه الكبش، ومن الخليج الكبير من تحت قنطرة تعرف قديماً وحديثاً بالمجنونة. (خطط المقرئ: ١٦٢/٢).

سمعت من يحكي عن ^(١) المشايخ أنها لما حُفرت جاء ماؤها حلواً، فأراد قراقوش الزيادة في مائها فوسّعها، فخرجت منها عين مألحة غيّرت حلاوتها.

وطول هذا السور الذي بناه قراقوش على القاهرة ومصر والقلعة بما فيه من ساحل البحر تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعان [بذراع العمل، وهو الذراع الهاشمي] ^(٢)، من ذلك ما بين قلعة المقسم ^(٣) على شاطئ النيل والبرج بالكوم ^(٤) الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع. ومن قلعة المقسم إلى حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد ^(٥) الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة [واثنان] ^(٦) وتسعون ذراعاً. ومن جانب حائط القلعة من جانب مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع. ودائر القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشر أذرع؛ وذلك طول قوسه في أبتدائه، وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل. انتهى كلام ابن عبد الظاهر. على أنه لم يسلم من الاعتراض عليه في كثير مما نقله، وأيضاً مما سكت عنه.

وقال غيره: دخل جوهر القائد مصر بعسكر عظيم ومعه ألف حمل مال، ومن السلاح والعُدَد والخيل ما لا يوصف ^(٧). فلما أنتظم حاله وملك مصر ضاقت بالجنَد والرعية، وأخطت سور القاهرة وبنى بها القصور، وسَمّاها المنصورية؛ وذلك في سنة

(١) في المقرئ: «من المشايخ...».

(٢) الزيادة عن المقرئ والخطط التوفيقية.

(٣) قلعة المقسم: هي بذاتها قلعة المقس السابق ذكرها في ص ٤١. وانظر التعليق على المقس في ص ٥٦.

(٤) الكوم الأحمر، كان واقعاً عند فم الخليج على جانبه الغربي في نهاية شارع قصر العيني من الجهة الجنوبية. (راجع الخطط المقرئية ج ١ عند الكلام على المنشأة وعلى أبواب مدينة مصر، وج ٢ عند الكلام على قنطرة السد).

(٥) مسجد سعد الدولة: كان واقعاً بقلعة الجبل بجوار برج المبلات المشرف اليوم على تربة يعقوب شاه المهندار التي في الجنوب الشرقي لسور القلعة. (راجع الخطط المقرئية ج ٢ عند الكلام على ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل، وعلى أسوار القاهرة، وخريطة الحملة الفرنسية - م. رمزي).

(٦) التكملة عن المقرئ.

(٧) كذا في اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفاء (ص ٦٢). وفي الأصل: «ومعه ألف جل من السلاح ومعه من الخيل ما لا يوصف».

ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة. فلَمَّا قَدِمَ المعزُّ العُيُدي من القَيروان غيرَ آسَمَها وسَمَّاهَا القاهرة. والسبب في ذلك أَنَّ جوهرًا لَمَّا قصد إقامة السور وبناء القاهرة جمع المنجَمين وأمرهم أَنْ يختاروا طالعًا لحفر الأساس وطالعًا لرمي حجارته؛ فجعلوا [بدائر السور]^(١) قوائم من خشب، وبين القائمة والقائمة جبل فيه أجراس، وأفهموا البنائين ساعه تحريك الأجراس [أَنْ] يرموا ما في أيديهم من اللَّبن والحجارة، ووقف المنجَمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع؛ فأتفق وقوف غراب على خشبة من تلك الخُشب، فتحرَّكت الأجراس، وظنَّ الموكلون بالبناء أَنَّ المنجَمين حرَّكوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس؛ فصاح المنجَمون: لا لا، القاهرة في الطالع! ومضى ذلك وفاتهم ما قصدوه. وكان غرض جوهر أَنْ يختاروا للبناء طالعًا لَا يُخرج البلد عن نسلهم أبدًا، فوقع أَنَّ المريخ كان في الطالع، وهو يسمَّى عند المنجَمين القاهر، فحكموا لذلك^(٢) أَنَّ القاهرة لَا تزال تحت حكم الأتراك، وأنهم لَا بدَّ أَنْ يملكوا هذه البلد. فلَمَّا قَدِمَ المعزُّ إليها وأخبر بهذه القصة وكان له خيرة بالنجامة، وافقهم على ذلك، وأنَّ الترك تكون لهم الغلبة على هذا البلد؛ فغيرَ آسَمَها وسَمَّاهَا القاهرة. وقيل فيها وجه آخر، وهو أَنَّ بقصور القاهرة قبة تُسمَّى القاهرة، فسميت على آسَمَها. والقول الأوَّل هو المتواتر بين الناس والأقوى. وقيل غير ذلك.

ثم بُنيت حارات^(٣) القاهرة من يومئذ، فعمرَ فيها:

(١) الزيادة عن المقرئ في الكلام على سور القاهرة.

(٢) في الأصل: «فعلوا أَنْ الأتراك هذه البلد تحت حكمهم». وما أثبتناه عن اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفاء للمقرئ (ص ٧٤).

(٣) حارات القاهرة: جمع حارة، وليس المقصود بها الطريق التي يمر فيها الناس بين المساكن كما هو معروف اليوم، بل إن الحارة هي كل محلة دنت منازلها، والمحلة: منزل القوم، وعندما بنى العرب مدينة الفسطاط جعلوها أخطاطاً: جمع خط، وعندما بنى الفاطميون القاهرة جعلوها حارات. فالحارة كالخط جزء من مجموع مباني المدينة تتخللها الطرق ويوجد بها المساجد والمدارس والأسواق والحمامات وغيرها، وإلى اليوم يقال لشيخها شيخ الحارة.

حارة الروم: وهما حارتان، حارة الروم الآن المشهورة^(١)، وحارة الروم الجَوَانِيَّة^(٢)، وهي التي بقرب باب النصر على يسار الداخل إلى القاهرة، ثمَّ استقل الناس قول حارة الروم الجَوَانِيَّة فحذفوا صدر الكلمة وقالوا «الجَوَانِيَّة»؛ والورَّاقون يكتبون حارة الروم السفلى، وحارة الروم العليا المعروفة بالجَوَانِيَّة.

وقال القاضي زَيْن الدين: إنَّ الجَوَانِيَّة منسوبة للأشراف الجَوَانِيَّين، منهم الشريف النسابة الجَوَانِي^(٣). وهاتان الحارتان آخِطَهُمَا الروم، ونزلوا بهما فعرفنا بهم.

وحارة الدِّيَلَم^(٤): هي منسوبة إلى الديلم الواصلين صحبة أَفْتِكِين المعزي غلام معز الدولة بن بُويّه حين قَدِم إلى القاهرة أولادُ موله معز الدولة.

وفُنْدُق مسرور^(٥): منسوب لمسرور خادم من خدّام القصر في الدولة العُبَيْدِيَّة.

(١) حارة الروم المشهورة، لم تزل معروفة إلى اليوم باسم حارة الروم بقسم الدرب الأحمر (م. رمزي).

(٢) حارة الروم الجَوَانِيَّة، لم يزل اسمها يطلق على حارة الجَوَانِيَّة بشارع الجمالية، وفي داخلها حارة الدير التي بها دير أولئك الأروام. (م. رمزي).

(٣) هو محمد بن أسعد بن علي بن معمر، أبو علي الجواني المتوفى سنة ٥٨٨ هـ مؤلف كتاب «النقط لمعجم ما أشكل من الخطط» يعني خطط مصر. وقد نبه فيه على معالم دثرت، وعنه أخذ المقرئ في مواضع عديدة من خططه. وكان عالماً بالأنساب. أصله من الموصل، ومولده ووفاته بمصر. ولي نقابة الأشراف فيها مدة؛ وصنّف «طبقات الطالبين» و«تاج الأنساب» وفي دار الكتب المصرية له مخطوط باسم «تحفة ظريفة ومقدمة لطيفة وهدية منيفة في أصول الأحساب وفصول الأنساب» - (الأعلام: ٣١/٦، ومعجم البلدان: ١٧٥/٢ وفيه نسبته إلى الجَوَانِيَّة: قرية قرب المدينة، وكشف الظنون: ١٩٧٥/٢).

(٤) حارة الديلم: كانت كبيرة جداً تشمل ثلاث حارات: حارة الكحكيين ودرب الأتراك وحارة خوشقدم. وإلى اليوم يوجد بحارة خوشقدم زقاق مشهور يحبس الديلم. وكانت هذه الحارة مسكناً للأمراء والأعيان ولذلك يقال لها في حجج الأملاك حارة الأمراء. (الخطط التوفيقية: ١١٩/٢ - ١٢١).

(٥) فندق مسرور: موضعه اليوم مجموع المباني التي تمخّذ من الغرب بشارع الخردجية، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة، ومن الشرق والشمال بشارع خان الخليلي. (م. رمزي).

وخليج القاهرة^(١): حفره^(٢) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويُعرف بخليج أمير المؤمنين؛ وكان حفره عام الرَّمَادَة، وهي سنة ست^(٣) عشرة من الهجرة فساقه إلى بحر القُلْزُم^(٤)، فلم يأت عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد والأقوات إلى مكّة والمدينة، وأنتفع بذلك أهل الحجاز. وقال الكندي^(٥): كان حفره في سنة ثلاث وعشرين وقرغ منه في ستة أشهر، وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع؛ ثم بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة^(٦)

(١) هو خليج قديم يسمى خليج مصر، جلد حفره عمرو بن العاص بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكان هذا الخليج يسير في القاهرة من فم الخليج شمال مصر القديمة متجهاً إلى الشمال حتى نهاية المدينة، وبعد ذلك يمر في الأراضي الزراعية حيث تجرى الترعة الإسماعيلية إلى العباسية بمديرية الشرقية ثم إلى الإسماعيلية ومنها إلى السويس حيث البحر الأحمر، ومنها بالسفن إلى بلاد الحجاز. وقد بدىء بدم هذا الخليج من جهة قنطرة غمرة في أول إبريل سنة ١٨٩٧م وأتم ردمه من جهة فم الخليج في يونية سنة ١٨٩٩م وحل محله شارع الخليج المصري. (م. رمزي).

(٢) الصواب أن يقال «جُدّ حفره... إلخ» فهذا الخليج قديم جداً. (انظر خطط المقرئ: ١٣٩/٢).
(٣) سيذكر المؤلف نقلاً عن الكندي أن حفره كان سنة ٢٢٣هـ، وهو الصواب. ذلك أن مصر لم تكن قد افتتحت عام الرمادة، وهو عام ١٧ أو ١٨ للهجرة كما أجمعت عليه المصادر.

(٤) في الأصل: «فسافر إلى القلزم». والتصحيح عن الانتصار لابن دقماق: ١٢٠/١، وصبح الأعشى: ٣٣١/٣ — وبحر القلزم هو المعروف اليوم بالبحر الأحمر. وقد سمي البحر باسم مدينة قديمة كان اسمها «كلسيا» وسماها العرب «القلزم». وفي القرن العاشر نشأت قرية صغيرة جنوبي القلزم القديمة اسمها السويس، وما لبثت أن شملت القلزم، وأصبحت السويس ميناء مصر على البحر الأحمر. (الموسوعة العربية الميسرة: ١٠٤١).

(٥) ذكر الكندي ذلك في كتابه «الجند العربي»، كما جاء في صبح الأعشى.

(٦) قنطرة عبد العزيز بن مروان: نقل هنا ما كتبه الأستاذ محمد رمزي حول تعيين موقع هذه القنطرة قديماً وحديثاً، والحدّ الذي كان ينتهي عنده النيل على شاطئه الشرقي. قال:
لما تكلم المقرئ على ظواهر القاهرة المعزية (١٠٨/٢) قال: كان أول الخليج الكبير عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات، وكان ما بين هذا الخط وبين المعاريح بمدينة مصر (مصر القديمة) غامراً بماء النيل.

ولما تكلم على قناطر الخليج الكبير (ص ١٤٦ ج ٢) قال: ان قنطرة ابن مروان كانت في طرف الفسطاط بالحمراء القصوى بناها عبد العزيز بن مروان والي مصر في سنة ٦٩هـ. وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير وكان المرور على هذه القنطرة بين الحمراء القصوى وجنان الزهري.

ولما تكلم على حكر أقبحا (ص ١١٦ ج ٢) قال: وفي هذا الحكر تقع قنطرة عبد العزيز بن مروان.

وقد تبين لي من البحث: (أولاً) أن خط السبع سقايات هو الذي عرف فيما بعد بحكر أقبحا أي أن =

= مكانها واحد، وفقط اختلفت التسمية باختلاف الزمن والمناسبات. (ثانياً) أن حكر أقبحا مكانه اليوم المنطقة التي فيها حارة السيدة زينب وفروعها وجنية لاظ وشوارعها. (ثالثاً) أن النيل كان يجري وقت فتح العرب لمصر في الجهة الغربية من جنية لاظ حيث الطريق المسماة شارع بني الأزرق وما في امتداده جنوباً وشمالاً. (رابعاً) أن فم الخليج المصري كان في ذلك الوقت واقعاً حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج. وما ذكر يتضح أن قنطرة عبد العزيز بن مروان التي كانت على فم الخليج الكبير مكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصري تجاه مدخل حارة أقبحا بأرض جنية لاظ التي هي جزء من حكر أقبحا، وهذا الخط هو الجزء الشمالي من الحمراء القصوى، ويقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزهري حيث خط الناصرية الآن وما في امتداده إلى شارع غيط العدة. أما بالنسبة للحد الذي كان ينتهي عنده النيل على شاطئه الشرقي تجاه مدينتي مصر القديمة والقاهرة في ذلك الوقت فأقول:

يُستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على ساحل النيل بمدينة مصر (ص ٣٤٣ ج ١) وعلى المنشأة (ص ٣٤٥ ج ١) وعلى أبواب مدينة مصر (ص ٣٤٧ ج ١) وعلى منظره المقس (ص ٣٨٠ ج ١) وعلى ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨ ج ٢) وعلى بر الخليج الغربي (ص ١١٣ ج ٢) وعلى اللوق (ص ١١٧ ج ٢) وعلى المقس (ص ١٢١ ج ٢) وعلى بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) وعلى قنطرة السد (ص ١٤٦ ج ٢) وعلى قنطرة باب البحر (ص ١٥١ ج ٢) وعلى جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢)، وعلى صناعة مصر (ص ١٩٧ ج ٢) وعلى الميدان الناصري (ص ٢٠٠ ج ٢)، ويُستفاد أيضاً مما ورد في حوادث سنة ٦٨٠هـ المذكورة في كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ص ٣٠٧ ج ٧) وما هو مبين على خريطة الحملة الفرنسية الموضوعة سنة ١٨٠٠؛ يُستفاد من كل ما سبق ذكره، ومن المباحث التي أجريتها أن شاطئ النيل الشرقي الأصلي القديم تجاه مدينة مصر والقاهرة كان وقت فتح العرب لمصر واقعاً في الأماكن التي تعرف اليوم بالأسماء الآتية:

كان النيل بعد أن يمر على سكن ناحية أثر النبي جنوبي مصر القديمة يسير إلى الشمال بجوار شارع أثر النبي إلى أن يتلاقى بسكة حديد حلوان عند محطة المدابغ، فيسير النيل بجوار هذه السكة إلى أن يتقابل بشارع ماري جرجس فيسير محاذياً له من الجهة الغربية ماراً تحت قصر الشمع (الكنيسة المعلقة بمصر القديمة) وجامع عمرو، ثم يسير محاذياً لشارع سيدي حسن الأنور إلى نهايته ثم يسير شمالاً إلى النقطة التي يتقابل فيها شارع السد البراني بسكة المذبح، ثم يسير بعد ذلك متجهاً في طريقه إلى الشمال فيمر في حارة المغربي بجنية قاميش فشارع بني الأزرق بجنية لاظ فشارع جنان الزهري فشارع الشيخ عبد الله فحارة البيرقدار فشارع البلاسة فشارع عماد الدين إلى نهايته البحرية، ثم ينطفئ النيل مائلاً إلى الشرق ويسير بجوار شارع الملكة نازلي حتى يصل إلى ميدان باب الحديد، ومن هناك ينطفئ إلى الشمال الشرقي ماراً بميدان محطة مصر، ثم يمر بجوار محطة كوبري الليمون من الجهة البحرية الغربية، ثم يسير في شارع غمرة بطول مائتي متر، ثم يسير إلى الشمال محاذياً لمخازن بضائع محطة مصر من الجهة الشرقية، ثم يسير محاذياً لشارع مهمشة من الجهة الغربية، ثم يسير بعد ذلك محاذياً لجسر السكة الحديدية الذاهبة إلى الإسكندرية من الجهة الشرقية. وعند وصول النيل إلى نقطة واقعة على هذه السكة تجاه عزبة =

وكتب عليها اسمه، وقام بينائها سعيد أبو عثمان^(١)؛ ذكره القضاعي صاحب الخطط. قال: ثم دثرت ثم أعيدت ثم عمّرت في أيام العزيز بالله، وليس^(٢) لها أثر في هذا الزمان. وإنما بنى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب قنطرة السّد^(٣) الآن التي عليها بستان الخشاب^(٤). وكان يخرج الماء من البحر بالمقّس من

= الخمايسة يميل إلى الغرب حتى يصل إلى سكن ناحية منية السرج، وهناك يسير غربي سكن هذه الناحية، ثم يسير إلى الشمال بدوران خفيف إلى الغرب حتى يتقابل مع مجراه الحالي عند فم التربة الإسماعيلية.

هذا هو خط سير الشاطئ الأصلي القديم للنيل تجاه مدينتي مصر والقاهرة في سنة ١٢٠٠هـ = ١٦٤١م أي وقت فتح العرب لمصر. وبعد ذلك طرح البحر عدة مرّات ولذلك أنتقل الشاطئ الأصلي المذكور من مكانه القديم السابق ذكره إلى مكانه الحالي من مصر القديمة إلى روض الفرج.

(١) في الأصل «ابن عثمان» وما أثبتته عن المقرئ نقلًا عن القضاعي.

(٢) في الأصل: «ولا لها أثر».

(٣) يستفاد مما ورد في الجزء الثاني من الخطط المقرئية، ص ١٤٦، أن هذه القنطرة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٣هـ على الخليج المصري (خليج القاهرة) بالقرب من فمه، وكانت واقعة في شارع الخليج المصري تجاه النقطة التي يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مدرسة الطب. وكانت هذه القنطرة موجودة ومعروفة كما شاهدها باسم قنطرة الماوردي إلى منتصف سنة ١٨٩٩ التي تمّ فيها ردم هذا الخليج، وبردمه اختفت هذه القنطرة من تلك السنة.

وذكر المقرئ أنها عرفت بقنطرة السّد بسبب السّد الذي كان يقام سنوياً من التراب بجوار هذه القنطرة عندما يبدأ ماء النيل في الزيادة وقت الفيضان لكي يصد الماء، ومتى وصلت الزيادة إلى ست عشرة ذراعاً يفتح السّد حينئذ باحتفال رسمي عظيم، ويمر الماء في الخليج فتملأ منه صهاريج مدينة القاهرة وبركها وتروى منه بساتينها كما تروى الأراضي الزراعية على جانبي الخليج حتى نهايته الشمالية في مديرية الشرقية. (الأستاذ محمد رمزي بك المفتش بوزارة المالية المصرية سابقاً).

(٤) بستان الخشاب: تكلم المقرئ على هذا البستان في جملة مواضع بالجزء الثاني من خطته: ص ١٠٨، ١١٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ٢٠٠ وص ١١٦ ويستفاد مما ذكر في المواضع المذكورة البيان الآتي:

أولاً: إن بستان الخشاب كان واقعاً في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشوارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربي من شارع إسماعيل باشا إلى النيل. ومن الغرب نهر النيل. ومن الجنوب مستشفى قصر العيني وشارع بستان الفاضل وما في امتداده من الجهة الشرقية إلى شارع الخليج المصري. ومن الشرق شارع الخليج المصري وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع الحدّ البحري. ثانياً: إن هذا البستان كان منقسماً إلى قسمين: الشرقي منها وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع الخليج المصري وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان وبه يتخذون «الزرة» وهو نوع من البوظة يسميه أهل السودان «المريسة»، والقسم الغربي وهو الواقع بين شارع المنيرة وشاطئ النيل، =

البرانج، فوسّعه الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وجعله خليجاً، وهو خليج الذكر^(١). وأوّل من رتب حفر الخليج على الناس الوزير المأمون بن البطائحي صاحب الجامع الأقمر بالقاهرة؛ وكذلك جعل على أصحاب البساتين، وجعل عليه والياً بمفرده، وهو أوّل من رتب السقّاتين عند معونة المأمون هذا؛ وكذلك القرابة والفعلة.

الحسينيّة^(٢): هي منسوبة لجماعة الأشراف الحسينيين^(٣)، كانوا في أيام الملك الكامل محمد بن العادل، قدّموا من الحجاز فنزلوا بها وأستوطنوها، وبَنَوْا بها المدابغ وصنعوا فيها الأديم المشبّه بالطائفي^(٤)؛ ثمّ سكنها الأجناد بعد ذلك؛ وكانت برسم الرّيحانيّة الغزّاويّة والمولّدة والعُجّمان وعبيد الشراء؛ وكانت ثمانى حارات:

= كان يعرف بالميدان الناصري، ومكانه اليوم خط القصر العالي المسمى «جاردن سيتي». وكان بالجهة الجنوبية من هذا الميدان على شاطئ سيالة جزيرة الروضة عند كوبري محمد علي يوجد مواقع فم الخليج الناصري وقنطرة الفخر وموردة الجبس وموردة البلاط. (الأستاذ محمد رمزي بك).
(١) خليج الذكر: حفره كافور الإخشيدي. وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للستان المقسي، ثم وسّعه الملك الكامل. فلما زال البستان المقسي في أيام الخليفة الظاهر وجعله بركة قدام منظره للؤلؤة صار يدخل الماء إليها من هذا الخليج، وكان يفتح قبل الخليج الكبير. ولما قيل له خليج الذكر لأن بعض أمراء الملك الظاهر يبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركي، وكان له أثر في حفره، فعرف به. (الخطط التوفيقية: ٣/٣٦٦).

(٢) يريد حارة الحسينية. كانت حارة كبيرة واقعة خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح. قال القلقشندي: كانت في الأيام الفاطمية ثمانى حارات خارج باب الفتوح وهي حارة بهاء الدين (حارة حامد)، والمنشأة الكبرى، والحارة الكبيرة، والمنشأة الصغيرة، وحارة عبيد الشراء، والحارة الوسطى، وسوق الكبير بمصر، والوزيرية. وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعجمان وعبيد الشراء (صبح الأعشى: ٣/٤٠٥) ويتوسطها اليوم من الجنوب إلى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومي من باب الفتوح إلى ميدان الأمير فاروق. (م. رمزي).

(٣) هذا ما قاله ابن عبد الظاهر فيما نقله عنه القلقشندي وأشار إليه المقرئ. وقد اعترض المقرئ على ابن عبد الظاهر في هذه النسبة بقوله: «هذا وهم، فإنه تقدم أن من جملة الطوائف في الأيام الحاكمة الطائفة الحسينية (وهم من عبيد الشراء). والأيام الكاملية إنما كانت بعد الستمائة، وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف على مائتي سنة».

(٤) نسبة إلى الطائف. وكانت الطائف مشهورة بالمدابغ التي يدبغ فيها الجلود.

حارة حامد، والمنشيّة الكبرى، والمنشيّة الصغرى، والحارة الكبيرة، والحارة الوسطى (كانت هي لعبيد الشراء)^(١) والوزيرية؛ كانت كلّها سكن الأرمن، فارسهم وراجلهم.

وخان السبيل^(٢): بناء الخادم الأستاذ الخصبي بهاء الدين قراقوش الذي بنى السور وأرصده لأبناء السبيل.

اللؤلؤة^(٣): عند باب القنطرة بناها الظاهر لإعزاز دين الله الخليفة العبيدي، وكانت نزهة الخلفاء الفاطميين، وبها كانت قصورهم. ويأتي ذكر شيء من ذلك في تراجمهم إن شاء الله تعالى.

حارة الباطلية^(٤): كان المعزّ لدين الله العبيديّ لما قسم العطاء في الناس جاءت إليه طائفة فسألت العطاء، فقيل: فرغ المال؛ فقالوا: رحنا نحن في الباطل؛ فسمّوا الباطلية، فعُرفت الحارة بهم.

(١) إذا اعتبرنا أن الحارة الوسطى كانت لعبيد الشراء — كما يذكر المؤلف هنا — فيكون قد عدّ ستّ حارات، وفاته ذكر: السوق الكبير وبين الحارتين، بالمقارنة مع ما ذكره المقرئ: ٢١/٢، وعلي مبارك: ٦٢/٣ نقلًا عن ابن عبد الظاهر. أما القلقشندي (صبح الأعشى: ٤٠٥/٣) فقد سمى الحارات الثماني التي كانت تؤلف الحسينية واستبدل «بين الحارتين» بحارة «عبيد الشراء». على أن القلقشندي نفسه كان قد ذكر في ص ٤٠٠ من الصبح في كلامه على حارة بهاء الدين أنها كانت تسمى في العصر الفاطمي بين الحارتين ثم عرفت بالريحانية والعزيرية. ثم ذكر في موضع آخر (ص ٤٠٥) أن حارة بهاء الدين هي نفسها حارة حامد؛ فيكون بالنسبة للقلقشندي أن الأسماء: حارة بهاء الدين، وحامد، وبين الحارتين، وعبيد الشراء، والريحانية والعزيرية هي أسماء لمسمى واحد. فتأمل.

(٢) خان السبيل، موضعه اليوم جامع البيومي وحوض الشرب المجاور له بشارع البيومي قريباً من درب الجميزة الذي على رأسه جامع شرف الدين الكردي بالشارع المذكور (راجع الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٦٥). وفي المقرئ (ج ٢ ص ٣٦): «كان هذا الخط خارج باب الفتوح وهو من جملة أخطاء الحسينية» (م. رمزي).

(٣) يريد منظره اللؤلؤة التي بناها العزيز بالله، وجدها الظاهر لإعزاز دين الله بعد أن هدمها أبوه الحاكم. (راجع الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٣٤١، والمقرئ ج ١ ص ٤٦٨). ومحله اليوم مدرسة الفرير التي بشارع الشعرائي البراني على رأس شارع الخرنفش بقسم الجمالية. (م. رمزي).

(٤) حارة الباطلية، يدل على موقعها اليوم شارع الباطنية وحارة الباطنية في الجنوب الشرقي للجامع الأزهر بقسم الدرب الأحمر (م. رمزي) وانظر المقرئ: ٨/٢.

حارة كُتامة^(١): هي قبيلة معروفة، عُرفت بهم.

البرقيّة^(٢): هذه الحارة نزل فيها جماعة من أهل برقة وأستوطنوها، فعرفت بهم. وكانوا جماعة كبيرة، حضروا صحبة المعزّ لدين الله لما قَدِم من بلاد المغرب.

خزانة البنود^(٣): كانت هذه الخزانة خزانة السلاح في الدولة الفاطمية.

دار القطيية: هي دار ستّ الملك بنت العزيز لدين الله نزار، وأخت الحاكم بأمر الله منصور. يأتي ذكرها في ترجمة أخيها الحاكم. وسكن هذه الدار في دولة الأيوبيّة مؤنسة^(٤)، ثم الأمير فخر الدين جهّار كس صاحب القيسارية بالقاهرة، ثم سكنها الملك الأفضل قطب الدين؛ وأستمرت ذريته بها حتّى أخرجهم الملك المنصور قلاوون منها، وبنّاها بيمارستانه^(٥) المعروف في القاهرة بين القصرين. ولسكن قطب الدين الأفضل هذا سمّيت القطيية، والأفضل المذكور من بني أيوب.

(١) حارة كُتامة: منسوبة إلى قبيلة كتامة التي هي أصل دولة الخلفاء الفاطميين، نزلوا بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر. وموضع هذه الحارة اليوم المنطقة التي يتوسطها حارة الأزهرية وعطفة الدويداري وما يتفرع منها من العطف والدروب الكائنة في الجنوب الشرقي من الجامع الأزهر. (م. رمزي).

(٢) يريد حارة البرقية؛ كانت حارة كبيرة. موضعها اليوم المنطقة التي يخترقها شارع الدراسة، والتي تحدّ اليوم من الشمال بسكة كفر الطماعين وعطفة بير العلوة، ومن الغرب بشارع العلوة وشارع الكفر وسكة السوقية، ومن الجنوب بشارع الغرب، ومن الشرق بشارعي المجاورين و برج الظفر (م. رمزي).

(٣) خزانة البنود: كانت هذه الخزانة ملاصقة للقصر الكبير فيما بين قصر الشوك وباب العيد، بناها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (راجع المقرئ ج ١ ص ٤٣١). وموضعها مجموعة الدور التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع قصر الشوك، ومن الشرق بكماله شارع قصر الشوك ودرب القزازين، ومن الجنوب عطفة القزازين. ويتوسطها اليوم درب عليّ الدين من الشرق إلى الغرب. (م. رمزي). وكانت هذه الخزانة تستعمل لحزن البنود من الرايات والأعلام، عدا أنواع السلاح والآلات الحربية. وقد احترقت سنة ٤٦١هـ وجعلت بعد هذا الحريق حبساً للأمرء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة الفاطمية. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ١١٧).

(٤) مؤنسة: هي إقبال بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وتعرف بخاتون القطيية.

(٥) عله اليوم مستشفى قلاوون بشارع بين القصرين. (م. رمزي).

حارة الخرنشف^(١): كانت قديماً ميداناً للخلفاء، فلما تسلطن المعز أيك التركمان بنوا به إصطبلات، وكذلك القصر الغربي^(٢)؛ وكانت النساء اللاتي أخرجن منه سكنن بالقصر النافعي^(٣)؛ فامتدت الأيدي إلى طوبه وأخشابه وحجارته، فتلاشى حاله وتهدم وتشعث، فسمي بالخرنشف لهذا المقتضى، وإلا فكان هذا الميدان من محاسن الدنيا.

حارة الكافوري^(٤): هذه الحارة كانت بستاناً للأستاذ الملك كافور الإخشيدي صاحب مصر؛ ثم من بعده صار للخلفاء المصريين، ثم هُدم البستان في الدولة المعزية أيك لما خرب الميدان والقصور، وبني أيضاً إصطبلات ودوراً ومساكن.

حارة برجوان^(٥): منسوبة إلى الخادم برجوان. كان برجوان من جملة خدام

(١) كذا في الأصل وصبح الأعشى. وفي المقرئ: «الخرنشف». وهو ما يتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من الأبال وغيرها. وهذه الحارة كانت تقع قديماً في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بالجزء الشرقي من شارع الخرنفش ومن الغرب حارة خميس العدس وحارة اليهود القرايين ومن الجنوب عطفة المصفي وعطفة الذهبي ومن الشرق حارة البروقية ومدخل شارع الخرنفش. (م. رمزي).

(٢) في الأصل: «وكذلك القصرين». وما أثبتناه عن المقرئ: ٢٧/٢.

(٣) القصر النافعي: كان هذا القصر قرب التربة المعزية التي بالقصر الكبير، وكان موقعه بعض الفضاء الواقع تجاه باب الفرج القبلي لجامع سيدنا الحسين لغاية شارع السكة الجديدة وما يقابل هذا الفضاء من المباني الواقعة تجاهه بالجهة الغربية بين السكة الجديدة من قبلي وسكة خان الخليلي من غرب وحارة خان الخليلي من بحري؛ وكان يسكن هذا القصر عجائز القصر الكبير وأقارب الأشراف. (م. رمزي).

(٤) حارة الكافوري: هذه الحارة كانت إحدى الحارات التي بنيت على أرض البستان الكافوري. وكان بستاناً كبيراً واقعاً قبل إنشاء القاهرة في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجواني ومن الغرب بشارع الخليج المصري، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة، ومن الشرق بشارع الخردجية وبين القصرين والنحاسين. ولما خرب هذا البستان وبني في مكانه الدور والمساكن وغيرها أصبح خط الكافوري الذي سماه المؤلف حارة الكافوري قاصراً فيما بعد على المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجواني ومن الغرب بشارع الشعراي البراني ومن الجنوب بشارع الخرنفش ومن الشرق بحارة برجوان. (م. رمزي).

(٥) حارة برجوان: هذه الحارة كانت في المنطقة التي يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما يتفرع منها من العطف والأزقة بقسم الجمالية. (م. رمزي).

القصر في أيام العزيز بالله نزار العُبَيْدِيّ الفاطميّ، ثم كان برجوان هذا مدبّر مملكة الحاكم بأمر^(١) الله.

حارة بهاء الدين^(٢): منسوبة إلى الأستاذ بهاء الدين قراقوش الصلاحيّ الخادم الخَصِيّ الذي بنى السور وقلعة الجبل. وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه.

قيسارية أمير الجيوش: المعروفة الآن بسوق مرجوش^(٣). وأولها من باب حارة بهاء الدين قراقوش إلى قريب من الجامع الحاكميّ؛ بناها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه بن بدر الجماليّ^(٤) الذي كان إليه تدبير الملك والوزارة في دولة الخليفة المستنصر معدّ العبيديّ. وذكر ابن أبي منصور^(٥) في كتابه المسمّى «أساس السياسة» أنه كان في موضعها دار تعرف بدار القَبّاني، ودور قوم يعرفون ببني هريسة. درب ابن أسد: وهو خادم عُرف به. وهو خلف إصطبل الطارمة^(٦).

الرميلة^(٧): تحت قلعة الجبل، كانت ميدان أحمد بن طولون، وبها كانت قصوره ويساتينه.

درب ملوخية^(٨): هو منسوب لأمير أسمه ملوخية، كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله العبيديّ، وكان يُعرف أيضاً بملوخية الفَرّاش.

(١) نظر برجوان في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب وأعمال الحضرة وذلك سنة ٣٨٨ هـ. وقتل سنة ٣٩٠ هـ. (انظر ابن خلكان: ٢٧٠/١، والإشارة إلى من نال الوزارة: ٢٧).

(٢) حارة بهاء الدين: راجع حاشية ٧ ص ٣٦ من هذا الجزء.

(٣) سوق مرجوش: يعرف اليوم بشارع أمير الجيوش. وتقول العامة شارع مرجوش. (م. رمزي).

(٤) في الأصل: «ابن بدر الكمالي»، وهو تحريف.

(٥) هو الوزير الفقيه جمال الدين، أبو الحسن، علي بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦١٣ هـ.

(٦) إصطبل الطارمة، قال المقرئ: الطارمة بيت من خشب وهو دخيل. وكان هذا الإصطبل بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم شرقي الجامع الأزهر. وكان هذا الإصطبل واقعاً في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع فريد وامتداده إلى الشرق ومن الغرب بالميدان القبلي لجامع سيدنا الحسين ومن الجنوب بشارع الشنواني ومن الشرق بشارع الكفر (م. رمزي).

(٧) الرملة: هي الآن ميدان صلاح الدين بالقلعة، وكانت معروفة أيضاً بقره ميدان والمنشية (م. رمزي).

(٨) درب ملوخية: كان أولاً يعرف بحارة قائد القوّاد لأن حسين بن جوهر القائد الملقب قائد القوّاد كان يسكن بها فعرفت به، ثم نسبت هذه الحارة إلى ملوخية أحد فَرّاشي القصر، باسم درب ملوخية الذي يعرف اليوم باسم حارة قصر الشوك أحد فروع شارع قصر الشوك بقسم الجمالية. (م. رمزي).

العُطُوف^(١): منسوبة إلى الخادم عُطُوف أحد خدّام القصر في دولة الفاطمية. وكان أصله من خدّام أم^(٢) ستّ الملك بنت العزيز بالله أخت الحاكم المقدم ذكرها.

رحبة باب العيد^(٣): [كان]^(٤) الخليفة لا يركب يوم العيد إلّا من باب القصر الذي من هذه الناحية خاصة. ويأتي ذكر ذلك كلّ في ترجمة المعزّ لدين الله العبيديّ.

خانقاه^(٥) السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: وهي دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر معدّ العبيديّ أحد خلفاء مصر، ثمّ صارت في آخر الوقت سكن الوزير طلائع بن رزّيك وولده رزّيك بن طلائع. وكان طلائع يلقب في أيام وزارته بالملك الصالح، وهو صاحب جامع الصالح خارج بابي زويلة. ولما سكنها طلائع المذكور فتح لها من دار الوزارة - أعني التي هي الآن خانقاه بيبرس الجاشنكير^(٦) - سرداباً تحت الأرض، وجمع بين دار سعيد السعداء ودار الوزارة في السكن لكثرة حشمه، وصار يمشي في السرداب من الدار الواحدة إلى الأخرى.

(١) يريد حارة العطوف: يدل على موقعها المنطقة التي يتوسطها اليوم حارة العطوف بالقرب من باب النصر

(م. رمزي) - قال القلقشندي والمقريزي: وأصل اسمها العطوفية.

(٢) في المقريزي وصبح الأعشى: «من خدام ست الملك...».

(٣) رحبة باب العيد: سميت بذلك لأنها كانت واقعة تجاه باب العيد أحد أبواب القصر الكبير. وهذه الرحبة

كانت تقع في المنطقة التي تحدّ اليوم من الغرب بشارع حبس الرحبة وشارع بيت المال، ومن الجنوب

بشارع قصر الشوك (درب السلامي قديماً)، ومن الشرق حارة قصر الشوك (درب ملوخيا قديماً)، ومن

الشمال حارة الزاوية وحارة الميضة (درب خرائب تتر قديماً). (م. رمزي).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) الخانقاه: كلمة فارسية معناها: البيت. وقيل أصلها خونقاه، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك.

والخوانق حصلت في الإسلام في حدود الأربعمائة للهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله. وهذه

الخانقاه أول خانقاه عملت بالديار المصرية. (خطط المقريزي: ٤١٤/٢). ولم تزل هذه الخانقاه موجودة

ومعروفة باسم جامع سعيد السعداء بشارع الجمالية. (م. رمزي). وقد أحدثها صلاح الدين في سنة

٥٦٥٩. (الخطط التوفيقية: ٢٢٥/١).

(٦) وتعرف اليوم باسم جامع بيبرس الجاشنكير والبيبرسية. وكانت هي والمدرسة القراسنقرية التي تشغلها

اليوم مدرسة الجمالية الأميرية من ضمن دار الوزارة. ولم يزل يفصل بينهما وبين جامع سعيد السعداء

شارع الجمالية. (م. رمزي).

الحُجَر^(١): وهي قرية من باب النصر قديماً على يمين الخارج من القاهرة، وكان يأوي فيها جماعة من الشباب يسمّون صبيان^(١) الحُجَر يكونون في جهات متعددة.

الوزيرية^(٢): منسوبة إلى الوزير أبي الفرج يعقوب بن كُلس^(٣) وزير العزيز بالله نزار العبّديّ، وكان الوزير هذا يهوديّ الأصل ثمّ إنه أسلم وتنقل في الخدم إلى أن وليّ الوزارة.

الجودرية^(٤): منسوبة إلى جماعة يعرفون بالجودريّة آخضطوها، وكانوا أربعمئة رجل. منسوبون إلى جودر خادم المهديّ.

سوق السراجين: استجدّ في أيام المعزّ أيبك التركماني سنة ثلاث وخمسين وستمئة.

(١) الحجر: مكانها الآن الخانقاه الركنية ببيرس التي تعرف اليوم بجامع البيبرسية بشارع الجمالية. (م. رمزي). وصبيان الحجر: لفظ من مصطلح الدولة الفاطمية بمصر، وكان يطلق على فئة من خاص الخليفة، وهم جماعة من الشبان يختارون من بني وجهاء الناس، من كل ماهر شهم، معتدل القامة، حسن الخلقة؛ كانوا يربونهم في هذه الحجر، ويسمون بصبيان الحجر. وكان عددهم نحواً من خمسة آلاف. ومتى عرف الواحد منهم بالفضل والشجاعة خرج إلى الإمرة والتقدم. وهم يضاهون عماليك الطباقي السلطانية المعبر عنهم بالكتانية في دولة المماليك. وما زالت هذه الحجر باقية إلى ما بعد السبعمئة، فهدمت، وابتنى الناس محلها الدور وغيرها. (الخطط التوفيقية: ٤٣/١، وصبح الأعشى: ٥٥٢/٣).

(٢) حارة الوزيرية: كانت هذه الحارة في زمن الدولة الفاطمية حارة كبيرة تقع في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بسكة اللبودية وشارع الوزير صاحب (المسمى الآن خطأ شارع السلطان صاحب) ومن الغرب شارع درب سعادة، ومن الجنوب بالجزء الغربي من سكة النبوية والشامي من حارة الجودرية ومن الشرق بشارع ببيرس. وفي عهد الدولة الأيوبية ودولتي المماليك قسمت هذه الحارة إلى جملة أخطاط ودروب وأصبحت الوزيرية قاصرة على المنطقة الصغيرة التي تحدّ من الشمال اليوم بعطفة الصاوي ومن الغرب بشارع درب سعادة ومن الجنوب بالجزء الغربي من سكة النبوية ومن الشرق بالجزء الغربي من حارة الجودرية. (م. رمزي).

(٣) هذا هو قول ابن عبد الظاهر. أما المقرئ فيقال إنها تنسب إلى طائفة من العسكر يقال لها الوزيرية. وكانت أولاً تعرف بحارة بستان المصمودي، وعرفت أيضاً بحارة الأكراد. (خطط: ٥/٢).

(٤) حارة الجودرية: يدل على موقعها المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه وحارة الجودرية الكبيرة وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية. (م. رمزي).

سقيفة العدّاسين^(١): هي الآن معروفة بالأسكفة والبندقانيين، وكانت تلك الناحية كلّها تعرف بسقيفة العدّاسين.

حارة الأمراء: هي درب شمس الدولة^(٢).

العدويّة^(٣): هي من أوّل باب الخشبية إلى أوّل حارة زويلة.

درب الصقالبة^(٤): هو درب من جملة حارة زويلة.

حارة زويلة^(٥): آخطتها امرأة تعرف بزويلة، وهي صاحبة البئر وبابي زويلة، لا أعرف من حالها شيئاً.

باب الزهومة^(٦): كان باباً من أبواب القصر أعني [قصر] القاهرة.

(١) قال المقرئ: إن سقيفة العدّاس كانت بين درب شمس الدولة والبندقانيين. وعمل هذه السقيفة اليوم الجزء الغربي من شارع الحمزاوي الصغير بين حارة شمس الدولة وشارع الأزهر، بعد أن كانت تمتدّ إلى أوّل حارة السبع قاعات القبلية. وأما خط سقيفة العدّاسين فقد عرف فيها بعد باسم خط البندقانيين، وهذا الخط كان من أكبر أخطاط القاهرة حيث يشمل المنطقة التي يخترقها اليوم سوق السمك القديم وسوق الصيارف الكبير وشارع السبع قاعات البحرية والقبلية وما بين ذلك من شارع السكة الجديدة. والعدّاس هو أبو الحسن علي بن عمر العدّاس، استوزر للعزّيز بالله بن المعزّ بعد وزارة يعقوب بن كلس. (م. رمزي). وانظر المقرئ: (ج ٢ ص ٣٠).

(٢) درب شمس الدولة: لم يزل يعرف إلى اليوم باسم حارة شمس الدولة بين شارع السكة الجديدة وشارع الحمزاوي الصغير (م. رمزي).

(٣) يريد حارة العدويّة، منسوبة إلى جماعة عدويين نزلوا بتلك الحارة، وكانت تمتدّ مساكنها بين حارة الخرنشف والبندقانيين. ويتوسطها اليوم شارع خان أبوطايقية وشارع سوق الصيارف الصغير (م. رمزي).

(٤) درب الصقالبة: يعرف اليوم باسم شارع الصقالبة بقسم الجمالية. (م. رمزي).

(٥) حارة زويلة: هذه الحارة كانت أكبر حارات القاهرة نزلت بها قبيلة زويلة السابق ذكرها في ص ٣٧ من هذا الجزء. ولم تزل تعرف باسم حارة زويلة أو حارة اليهود. وهي واقعة في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع الخرنفش ومن الغرب بشارع زويلة ودرب الكتاب، ومن الجنوب بشارع الصقالبة ومن الشرق بحارة اليهود القرايين وحارة خميس العدس، ويتخللها عدّة شوارع وحارات وعطف يسكن أغلبها اليهود (م. رمزي).

(٦) باب الزهومة، سبق الكلام عليه في ص ٣٤ من هذا الجزء.

الصاغة^(١) بالقاهرة: كانت مطبخاً للقصر يخرج إليه من باب الزهومة.

درب السلسلة^(٢): هو الملاصق للسيوفيين.

دار الضرب^(٣): بنيت في أيام الوزير المأمون بن البطائحى المقدم ذكره، وهي بالقشاشين^(٤) قبالة البيمارستان المنصوري^(٥).

الصالحية^(٦): هي منسوبة للوزير الملك الصالح طلائع بن رزّيك المقدم ذكره لأنّ غلمانه - أعني مماليكه - كانوا ينزلون بها.

المقس^(٧): قال القضاعي: كانت ضيعة تعرف بأَمّ دُنين، وإنما سمّيت المقس

(١) أي سوق الصاغة. ولم يزل هذا السوق حافظاً لاسمه لغاية اليوم باسم الصاغة أو سوق الصياغ بشارع بين القصرين. (م. رمزي). وانظر. المقرئزي: ١٠٢/٢.

(٢) درب السلسلة: عرف بالسلسلة التي كانت تمثّل كل ليلة في عرض الطريق بين باب هذا الدرب وبين باب الزهومة لمنع المرور ليلاً بين قصور الخلفاء. وموضع هذا الدرب اليوم وكالة الجواهرجية الواقعة بشارع الحردجية تجاه مدخل شارع خان الخليلي الذي كان في أوله باب الزهومة. (م. رمزي).

(٣) كان محلها مجموعة المباني التي يحدّها من الشمال شارع الصنادقية إلى خوخة الأمير عقيل ومن الغرب شارع الغوري ومن الجنوب شارع الأزهر. (م. رمزي). وانظر المقرئزي: ٤٠٦/١.

(٤) سوق القشاشين: وسمي فيما بعد بسوق الخراطين، ويعرف اليوم باسم شارع الصنادقية. (م. رمزي). (٥) البيمارستان المنصوري: وصوابه «البيمارستان الفاطمي» لأنه كان واقعاً تجاه دار الضرب بالخراطين التي كانت تسمى القشاشين. أما البيمارستان المنصوري فقد بني في سنة ٦٨٠ هـ في زمن السلاطين الجراكسة. وقد بناه السلطان المنصور قلاوون في دار ست الملك أخت الحاكم المعروفة بالدار القطبية (انظر خطط المقرئزي: ٤٠٦/١، ٤٠٧ و ٤٠٦/٢؛ وصبح الأعشى: ٤١٧/٣؛ وخطط علي مبارك: ٢٤٠/١).

والبيمارستان المنصوري هو المعروف اليوم باسم مستشفى قلاوون بشارع بين القصرين. (م. رمزي). (٦) حارة الصالحية الكبرى: هذه الحارة كانت تقع في المنطقة التي تحد اليوم من الغرب بشارع أم الغلام، ومن الشمال بشارع الجعادية، ومن الشرق بشارع العلوة وشارع الكفر وسكة السوق، ومن الجنوب بشارع الشيخ حمودة وشارع رقعة القمح. (م. رمزي). وانظر خطط المقرئزي: ١٢/٢، ١٠٦؛ وصبح الأعشى: ٤٠٣/٣ وفيه أنها كانت قبلي مشهد الحسين.

(٧) المقس، والمكس، والمقسم، وأمّ دنين: كلها أسماء مترادفة لقربة كانت واقعة على شاطئ النيل وقت أن كان النيل يجري في عهد الدولة الفاطمية في المكان الذي يمر فيه اليوم شارع عماد الدين وميدان محطة مصر وما بعده إلى الشمال بشارع الملكة نازلي. وكان المقس في عهد الدولة الفاطمية مقصوراً على قربة المقس التي كانت واقعة في المنطقة التي يقع فيها اليوم جامع أولاد عنان لغاية شارع قطرة الدكة، ويدخل فيها مدخل شارع إبراهيم باشا (شارع نوبار سابقاً) والمباني التي على جانبيه لغاية الدرب =

لأنّ العثّار وهو المّكّاس كان فيها يستخرج الأموال، فقليل له المّكس، ثم قيل المّقس.

المسجد المعلق: كان هناك مساجد ثلاثة^(١) معلقة بناها الحاكم بأمر الله في أيام خلافته.

وأما هذه المباني التي هي الآن خارج القاهرة فكُلّها تجددت في الدولة التركية، ومعظمها في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن بعده، من سدّ مصر إلى باب زويلة طويلاً وعرضاً. يأتي ذكر ذلك كلّ إن شاء الله تعالى في تراجم من جدّد الكورة والقناطر والجوامع والمدارس وغيرهم من السلاطين والملوك، كلّ واحد على جدته بحسب ما يقتضيه الحال.

ترجمة^(٢) القائد جوهر وما يتعلق به من بنيان القاهرة وغيرها

قد تقدّم الكلام أن جوهرًا القائد هذا غير خَصِيٍّ^(٣)، وولده القائد الحسين بن جوهر كان من كبار قوّاد الحاكم بأمر الله، وجوهر هذا هو صاحب الجامع الأزهر. وقد تقدّم ذكر ذلك كلّ؛ غير أننا ذكرناه هنا ثانياً تنبيهاً لمن نظر في ترجمة جوهر القائد المذكور، لئلا يلتبس عليه بشيء آخر.

* * *

= الإبراهيمي. وفي عهد دولة المماليك أصبح خط المّقس يطلق على المنطقة الكبيرة التي تحدّ اليوم من الغرب بميدان باب الحديد وشارع الملكة نازلي وشارع عماد الدين، ومن الجنوب شارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ودرب القطّة وشارع القوطية وشارع سوق الزلط وشارع الخراطين، ومن الشرق شارع الخليج المصري، ومن الشمال بشوارع الطلبة والطواشي والشمبكي وبين الحارات. (م. رمزي).

(١) قال علي مبارك في الخطط التوفيقية: ١٥٤/٢: «وأما المساجد الثلاثة الحاكمة المعلقة، فالذي أمر بإنشائها هو الحاكم بأمر الله بخط ابن طولون. منها مشهد محمد الأصغر، ومنها المسجد المعروف عند العامة الشيخ عبد الرحمن الطولوني الذي عند الخراطين لأن القبر الذي به تزعم العامة أنه قبر الشيخ عبد الرحمن الطولوني فلذلك عرف به. وأما المسجد الثالث فلم نقف له على أثر، ولعله كان بالقرب منها ثم زال بالكلية».

(٢) هذا العنوان غير ضروري، خاصة أنه لم يترجم له هنا. وقد سبقت ترجمة جوهر ابتداءً من الصفحة ٢٨ تحت عنوان «ذكر ولاية جوهر القائد...».

(٣) وقد أخطأ ابن إياس أن جمعه خصياً. (بدائع الزهور: ١٨٩/١).

السنة الأولى من ولاية جوهر الرومي المعزّي القائد على مصر

وهي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

فيها أقامت الرافضة المأتم على الحسين بن عليّ ببغداد في يوم عاشوراء على عاداتهم وفعلهم القبيح في كلّ سنة.

وفيها ورد الخبر في المحرّم بأن تقفور ملك الروم خرج بالروم إلى جهة أنطاكية ونازلها وأحاط بها وقتل أهلها حتى ملكها بالأمان^(١)؛ ثم أخرج أهلها منها وأطلق العجائز والشيوخ والأطفال، وقال لهم: أمضوا حيث شئتم، ثم أخذ الشباب والصبيان والغلمان سبياً؛ فكانوا أكثر من عشرين ألفاً. وكان تقفور المذكور قد طغى وتجبر وقهر العباد وملك البلاد وعظمت هيئته في قلوب الناس^(٢)، وأشتغل عنه الملوك بأضدادهم فاستفحل أمر تقفور بذلك. ثم تزوّج تقفور المذكور بأمراة الملك الذي كان قبله على كره منها^(٣)؛ وكان لها ولدان^(٤)، فأراد تقفور أن يخصيها

(١) في تاريخ الزمان لابن العبري، ص ٦٦، وابن الأثير أن الروم دخلوا أنطاكية في هذه السنة وقتلوا فيها خلقاً كثيراً. وفي نفس المصدرين المذكورين أن الذي هاجم أنطاكية ودخلها هو أخو نيقفور ملك الروم.

(٢) قال ابن العبري في تاريخ الزمان: واشتهر في تلك الغضون الملك نيقفور في حروبه شهرة واسعة بحيث احتل كل مدن قيليقية وأنطاكية وسوريا، وهابه العرب جميعاً. وبالإجمال فإن البلاد المصرية كانت في تلك الفترة تعاني من المصاعب والأخطار في أكثر من مجال: ففي الداخل كان الفساد الإداري وتحكّم طبقة العساكر وتواتر سني القحط والجفاف واستشراء الغلاء وحدث المجاعات، ومن الخارج كانت الأخطار تحدق من جهة الروم الذين غزوا شمالي بلاد الشام واستولوا على كثير من مدنه، كما غزوا شمالي بلاد العراق وعبروا نهر دجلة، كما أن القرامطة كانوا قد غزوا بلاد الشام في سنتي ٣٥٣ و ٣٥٧ هـ ومنعوا الحجاج من أداء فريضة الحج. كل ذلك جعل المصريين مهينين لاستقبال الحكم الفاطمي الذي كان يدرك تمام الإدراك تلك الظروف وأثرها في حسم وجهة الصراع. ولذلك نرى جوهر الصقلي يقول على لسان المعز إن الفاطميين إنما جاؤوا لنجدة العالم الإسلامي عامة والمصريين خاصة من هذه الأخطار. قال جوهر: «إنه (أي المعز) صلوات الله عليه، لم يكن إخراجهم للعساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم؛ إذ قد تحطفتكم الأيدي، واستطال المستدل، والممعة نفسه بالاعتدار على بلدكم في هذه السنة (يشير بذلك إلى الروم) والتغلب عليه وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسبا فعله مع غيركم من أهل بلدان المشرق...». انظر اعطاء الحنفيا للمعريزي: ص ٦٧، والمعز لدين الله الحسن إبراهيم حسن وطه شرف: ص ٨٥-٨٧، وتاريخ الزمان: ٦٦.

(٣) هي الملكة توفانة أرملة الملك رومانس، كما في تاريخ الزمان.

(٤) هما باسيل وقسطنطين، كما في ابن العبري.

ويُهديهما للبيعة ليستريح منهما لثلا يملكا الروم في أيامه أو بعده؛ فعَلِمَت زوجته أمهما بذلك، فأرسلت إلى الدُمستق ليأتي إليها في زيّ النساء ومعه جماعة في زي النساء؛ فجاءوا وباتوا عندها ليلة الميلاد، فوثبوا عليه وقتلوه؛ وأُجْلِس في الملك بعده ولدها الأكبر، وتمّ لها ما أرادت^(١). والله الحمد على موت هذا الطاغية.

وفيهما في ذي الحجة أنقضّ بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنه شعاع الشمس وسُمِع في أنقضاضه صوت كالرعد الشديد، فهال^(٢) ذلك الناس وارتعجوا^(٣) له.

وفيهما حجّ بالناس من العراق الشريف النقيب أبو أحمد الموسويّ والد الرضي والمرتضى، والثلاثة رافضة؛ وهم محطّ رحال الشيعة في زمانهم.

وفيهما تُوفّي الأمير صالح بن عُمَيْر العقيليّ أمير دمشق؛ ولي إمرة دمشق خلافة عن الحسن بن عبيد الله بن طنج [ابن]^(٤) أخي الإخشيد في دولة أحمد بن علي بن الإخشيد في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، ووقع له في ولايته على دمشق أمور وحروب. ولما أنهزم الأستاذ فاتك الكافوريّ من القرمطيّ وغلب القرمطيّ على

(١) جاء في تاريخ الزمان: «... فعقدت مؤامرة مع شومشكين الدمستق (وسماه في تاريخ مختصر الدول، ص ١٦٩: شومشقيق. ويقول العرب أيضاً: الشمشقيق، وهو Zimiscès لقب ليوحنا الأول ملك الروم؛ وهي كلمة أرمنية معناها: قصر القامة ويوحنا هذا هو الذي استبد بالملك بعد نيقيفور، وهو أول من ضرب السكك بهذا الرسم: يسوع المسيح ملك الملوك) وأدخلته سراً بزي النساء مع فريق من الأبطال إلى كنيسة البلاط ليلة عيد الميلاد الخلاصي. ثم أخبرت نيقيفور أنها استدعت النساء صواحبه ليقضين عندها تلك الليلة في الكنيسة لتسلي معهن. ولما استيقنت أنه غرق في نومه فتحت الباب لشومشكين وأصحابه فدخلوا وفتكوا به في فراشه، وقضوا كذلك على سبعين رجلاً أو أكثر من حراسه». قال ابن العربي: هذا ما رواه المؤرخون الأثبات. أما ما ذكره المغبوط البطريرك ميخائيل نقلاً عن تاريخ أغناطيوس مطران ملطية وهو أنها قتلته لأنه لم يدمن مضاجعتها فلا صحة له. والبرهان أن توفاته، بعد مقتل نيقيفور لم تقترب بشومشكين الذي قتله ولا بغيره.

(٢) في الأصل: «فقال» وهو تحريف.

(٣) ارتعجوا: ارتعدوا.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

الشام خرج منها صالح هذا وغاب عنها مدة أيام، ثم عاد إليها بعد خروج القرمطي منها، ودام بها وأصلح أمورها؛ فلم تطل مدته ومات بعد مدة يسيرة. وكان شجاعاً جَوَاداً مقداماً. وهو آخر من ولي دمشق من قبل الإخشيد محمد وبنه.

وفيها تُوفّي الأمير أبو شجاع فاتك الإخشيدّي الخازن؛ ولي إمرة دمشق أيضاً قبل تاريخه من قبل أن تُوجور الإخشيدّي؛ وكان شجاعاً مقداماً جواداً ولي عدّة بلاد، وطالت أيامه في السعد. وهو غير فاتك المجنون الذي مدحه المتنبي ورثاه؛ لأنّ فاتكاً المذكور كان بمصر في دولة خُشْداشيه^(١) كافور الإخشيدّي؛ ووفاة هذا كانت بدمشق.

وفيها هلك تقفور طاغية الروم: لم يكن أصله من أولاد ملوك الروم بل قيل إنه كان وَلَدَ رجل مسلم من أهل طَرْسُوس يُعرف بآبن الفَقَّاس^(٢)، فتنصّر وغلب على الملك؛ وكان شجاعاً مدبراً سيّوساً لم يُر مثله من عهد إسكندر ذي القرنين؛ وهو الذي آفّتح حلب وأخذها من سيف الدولة بن حمدان؛ ولم يأخذ حلب أحدٌ قبله من ملوك الروم؛ فعظّم بذلك في أعين ملوك الروم وملكوه عليهم إلى أن قُتل. وقد تقدّم قتله في حوادث هذه السنة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أحمد بن بُندار بن إسحاق الشَّعَار^(٣)، وأبو بكر أحمد بن يوسف بن خلّاد في صفر، وأبو القاسم حبيب بن الحسن القرّاز، ومحمد بن أحمد بن الحسن أبو علي الصّوّاف، ومحمد بن علي بن حُبَيْش^(٤) الناقد.

(١) راجع ص ٧ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) كذا في ابن الأثير. وفي الأصل «القصاص» وفي عقد الجمان: «ابن النقاش». ولعلّ منشأ الوهم هنا عائد إلى تقارب اللفظين: العربي «فَقَّاس» والأجنبي «فوكاس» بعد تحريفه. فتقفور هذا (ومن الأفضل أن يقال: نقفور، بالنون الموحدة أونيقيفور) هو قسطنطين بن برداس - فوكاس Constantin Fils de Bardas-Phocas.

(٣) في الأصل: «الشاعر» وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب.

(٤) في الأصل: «ابن حسين». وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً
وتسع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية جوهر الرومي المعزّي القائد على مصر

وهي سنة ستين وثلاثمائة:

فيها عَمِلَ الرافضة المأتم ببغداد في يوم عاشوراء على العادة في كل سنة من
النوح واللطم والبكاء. وتعليق المسوح وغلقت الأسواق، وعَمِلُوا العيد والفرح يوم
الغدير^(١) وهو ثامن عشر ذي الحجة.
وفيها في أول المحرم لحق الخليفة المطيع لله سكتة آل الأمر فيها إلى
أسترخاء جانبه الأيمن وثقل لسانه.

وفيها في صفر أعلن المؤذنون بدمشق: بـ «حيّ على خير العمل» بأمر القائد
جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعزّ لدين الله العبيدي، ولم يجسر أحد على مخالفته؛
ثم في جمادى الآخرة أمرهم ابن فلاح المذكور بذلك في الإقامة؛ فتألم الناس
لذلك، فهلك^(٢) ابن فلاح في عامه.

وفيها في شهر ربيع الأول وقع الصلح بين أبي المعالي ابن سيف
الدولة ابن حمدان وبين قرغويه^(٣) وكان بينهما حروب منذ مات سيف الدولة إلى
اليوم، فأقاما الخطبة بحلب للمعزّ لدين الله العبيدي؛ وأرسل إليهما جوهر القائد
من مصر بالأموال والخلع.

(١) راجع ص ٢٦ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) كذا هي عبارة المؤلف؛ ولا علاقة لهلاكه بما تقدّم، كما هو واضح. والصواب أن يقول: «وهلك
ابن فلاح...» اللهم إلا إذا كان المؤلف يريد الإيحاء برباطة سببية بين الأمرين! وسيأتي خبر هلاك
ابن فلاح في المواجهة مع الحسن الأعصم القرمطي.

(٣) كذا في ابن الأثير ومعجم زماور. وفي تجارب الأمم وابن خلكان: «قرغويه» بالغين المعجمة. وفي
الأصل: «فرغويه» بالفاء والباء الموحدة.

وفيه سار أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطي إلى الشام في قبائل العرب وحاصر دمشق؛ فخرج إليه من مصر القائد جعفر بن فلاح بعساكره من المغاربة وأقتلوا أياماً إلى أن حَمَلَ القرمطي بنفسه على جعفر بن فلاح فقتله وقتل عامة عسكره، وملك دمشق وولّى عليها ظالم بن موهوب^(١) العقبلي، ثم عاد القرمطي إلى بلاد هَجَر؛ فلم يثبت ظالم بعده بدمشق، وخرج منها بعد مدة يسيرة.

وفيه حجّ بالناس النقيب الشريف أبو أحمد الموسويّ من بغداد.

وفيه توفيّ الأمير جعفر بن فلاح أحد قوّاد المعزّ لدين الله العبيدي؛ كان مقدّم عساكر القائد جوهر، وبعثه جوهر إلى دمشق لمحاربة الحسن بن عبيد الله بن طنج؛ فحاربه وأسرّه^(٢) ومهد البلاد، وولّى دمشق وأصلح أمورها، إلى أن قدّم عليه القرمطيّ وحاربه وظفّر به وقتله. وهو أول أمير ولي إمرة دمشق لبني عبيد المغربيّ. والعجب أنّ القرمطيّ لما قتله بكى عليه ورثاه؛ لأنهما يجمع التشيع بينهما وإن كانا عدوين. وكان جعفر بن فلاح المذكور أديباً شاعراً فصيحاً. كتب مرة إلى الوزير يعقوب يقول له: [المنسرح]

ولي صديق ما مسّني عَدَمٌ مذ نظرتُ عينُهُ إلى عَدَبي
أعطى وأقنى^(٣) ولم يكلفني تقبيل كفٍّ له ولا قَدَمٍ

وفيه توفيّ سليمان بن أحمد بن أيوب، الحافظ أبو القاسم الطبرانيّ اللّخميّ. ولّخَم: قبيلة من العرب قَدِموا من اليمن إلى بيت المقدس ونزلوا بالمكان الذي وُلِد فيه عيسى عليه السلام، وبينه وبين بيت المقدس فرسخان، والعامة تسمّيه «بيت لحم» (بالحاء المهملة) وصوابه «بيت لحم» (بالخاء)^(٤) المعجمة. وكان مولده بعكّا

(١) في الأصل: «موهب» وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «وقته» وهو خطأ. راجع ص ٢٤ و ٢٦ من هذا الجزء.

(٣) كذا في شذرات الذهب. وفي عقد الجمان: «وأغنى». وفي الأصل: «وأفنى».

(٤) هذا التأصيل لاسم «بيت لحم» خاطيء. وبيت لحم مدينة قديمة في التاريخ سكنت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م.

وتذكر ألواح تلّ العمارة التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد مدينة جنوبي القدس تسمى بيت إيلولاهاما Bit Ilu Lahama أي بيت الإله لاحاما أو لاخاما. وهذا الإله هو إله القوت =

في سنة ستين ومائتين؛ وهو أحد الحفاظ المكثرين الرحّالين؛ سَمِعَ الكثير وصَنَّفَ المصنّفات الحسان، منها «المعجم الكبير في أسامي الصحابة» و«المعجم الأوسط في غرائب شيوخه»، و«المعجم الأصغر في أسامي شيوخه»، و«كتاب الدعاء» و«كتاب عشرة النساء» و«كتاب حديث الشاميين» و«كتاب المناسك» و«كتاب الأوائل» و«كتاب السنة» و«كتاب النوادر» و«مسند أبي هريرة» و«كتاب التفسير» و«كتاب دلائل النبوة» وغير ذلك. ومات في ذي القعدة. وذكر الحافظ سليمان بن إبراهيم الأصبهاني أن أبا أحمد العسال قاضي أصفهان قال: أنا سَمِعْتُ من الطُّبرانيّ عشرين ألف حديث، وسَمِعَ منه إبراهيم بن محمد بن حمزة ثلاثين ألفاً، وسمع منه أبو الشيخ أربعين ألفاً.

وفيهما تُوَفِّي محمد بن الحسين بن عبد الله، الحافظ أبو بكر الأجرّي^(١) البغداديّ؛ كان محدثاً ديناً صالحاً ورِعاً مصنفّاً، صَنَّفَ كتاب «العزلة»^(٢) وغيره. ومات في هذه السنة.

وفيهما تُوَفِّي محمد بن أبي عبد الله الحسين^(٣) بن محمد الكاتب، أبو الفضل

= والطعام عند الكنعانيين؛ والأرجح أن اسم المدينة الحالي مشتق من اسم هذا الإله. وربما كان سبب جعل المدينة بيتاً للإله لاحاماً أنها كانت تقع في منطقة خصبة ترعى فيها الأغنام والمواشي، وتنتشر فيها حقول القمح والشعير والكروم والزيتون. ومن المعروف أيضاً أن كلمة «بيت لحم» تعني بالآرامية: بيت الخبز. وفي هذا أيضاً إشارة إلى خصب الأرض المحيطة بالمدينة. وليت لحم اسم قديم آخر هو «أفراة» أو «أفراة»، وهي كلمة آرامية كذلك معناها الخصب والإثمار، وبذلك يلتقي اسم المدينة عند معنى الخصب. (الموسوعة الفلسطينية: ٤٥٨/١). وانظر أيضاً دائرة المعارف الإسلامية: ٥٠١/٨، وفيها أن بيت لحم هي «بَيْلَهُم» القديمة.

(١) في الأصل: «الأجزمي» وهو تحريف. والتصحيح عن الأنساب والذهبي وابن الأثير وشذرات الذهب والمنتظم. وهذه النسبة إلى عمل الأجرّ وبيعه، ونسبة إلى درب الأجر أيضاً، كما جاء في أنساب السمعاني.

(٢) «كتاب العزلة»: وجدنا ثلاثة كتب بهذا الاسم منسوبة لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، ولأبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي المعروف بـ«جخجخ» من علماء القرن الرابع الهجري، ولابن عساكر (انظر كشف الظنون: ١٤٣٩) - ولعل الصواب: «كتاب التفرد والعزلة» كما جاء في الأعلام: ٩٧/٦ منسوباً للأجري.

(٣) في الأصل: «أبي عبد الله بن الحسين» وما أثبتناه رواية ابن خلكان.

المعروف بابن العميد — هو كان لقب والده — كان فيه فضل وأدب وترسل؛ وزر لركن الدولة الحسن بن بُوَيْه بعد موت أبيه. ومن بعض أصحاب أبيه صاحب بن عبّاد. قال الثعالبي في كتابه اليتيمة: «وكان^(١) يقال: بُدِثَتِ الكتابة بعدد الحميد، وخُتِمَت بَابِنِ العميد». وكان^(٢) صاحب بن عبّاد قد سافر إلى بغداد؛ فلَمَّا عاد إليه قال له ابن العميد: كيف وجدتها؟ قال: بغداد في البلاد، كالأستاذ في العباد. وكان ابن العميد سيوساً مدبراً قائماً بحقوق المملكة؛ وقصده الشعراء من الأفاق، ومدحه المتنبي وابن نباتة السعدي وغيرهما. ومن شعر ابن العميد قوله: [مجزوء الكامل]

أَخِ الرِّجَالِ مِنَ الْأَبَا عِدِّ، وَالْأَقَارِبِ لَا تُقَارِبُ
إِنَّ الْأَقَارِبَ كَالْعَقَا رَبُّ بَلِ أَضَرَّ مِنَ الْعَقَارِبِ

وقيل: إِنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ آجَتَازَ بَدَارَ ابْنِ الْعَمِيدِ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَمْ يَرَ هُنَاكَ أَحَدًا بَعْدَ أَنْ كَانَ الدَّهْلِيزُ يَغْصُ مِنْ زَحَامِ النَّاسِ؛ فَقَالَ: [الخفيف]

أَيُّهَا الرُّبْعُ^(٣) لِمَ عَلَاكَ أَكْثَابُ أَيْنَ^(٤) ذَاكَ الْحِجَابُ وَالْحُجَابُ
أَيْنَ مِنْ كَانَ يَفْزَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ فَهُوَ الْيَوْمَ فِي التَّرَابِ تُرَابُ

وقال علي بن سليمان: رأيت بالري دار قوم^(٥) لم يبق منها سوى بابها — يعني دار ابن العميد — وعليها مكتوب: [المنسرح]

إِعْجَبْ لَصَرْفِ الدَّهْرِ مَعْتَبِرًا فَهَذِهِ الدَّارُ مِنْ عَجَائِبِهَا
عَهْدِي بِهَا بِالْمُلُوكِ زَاهِيَةً قَدْ سَطَعَ^(٦) النُّورُ فِي جَوَانِبِهَا
تَبَدَّلَتْ وَحِشَةً بِسَاكِنِهَا مَا أَوْحَشَ الدَّارَ بَعْدَ صَاحِبِهَا

(١) كذا في يتيمة الدهر للثعالبي ووفيات الأعيان. وفي الأصل: «كان يقول».

(٢) في الأصل: «وكان يقال له الأستاذ لما سافر إلى بغداد وعاد إليه منها». وما أثبتناه رواية ابن خلكان.

(٣) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «أيا الركب». وفي يتيمة الدهر: «أيا الباب». وقد نسب الثعالبي هذين البيتين لأبي العباس الضبي..

(٤) كذا في ابن خلكان ويتيمة الدهر. وفي الأصل: «بعد ذلك».

(٥) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «داراً فرداً».

(٦) في الأصل: «سطح». والتصحيح عن ابن خلكان.

وكان آبن العميد^(١) قبل أن يُقتل بمدة قد لهج بإنشاد هذين البيتين، وهما:

[الرمّل]

دخل الدنيا أناسٌ قبلنا رَحَلُوا عنها وَخَلَّوْها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونُخْلِئُها لقومٍ بَعْدَنَا
وكانت وفاته في صفر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي جعفر بن فلاح أول من حكم على الشام لبني عُبيد - قتله أبو علي^(٢) القرمطي، وسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في ذي القعدة وله مائة سنة وعشرة أشهر، وأبو علي عيسى بن محمد الطوماري، وأبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري، وأبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري، وأبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه، وأبو بكر محمد بن الحسين الأجرّي في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسٌ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصباعاً.

* * *

(١) كذا بالأصل. وهو خطأ. وصوابه: «أبو الفتح» وهو ابن ابن العميد. واسمه علي، ولقبه ذو الكفائتين. وقد وزر لركن الدولة بعد موت والده صاحب الترجمة. وقد وردت هذه الجملة والبيتان بعدها في وفيات الأعيان وبتيمة الدهر في ترجمة أبي الفتح (ابن ابن العميد)، وهي ترجمة ملحقّة بترجمة والده؛ ولعل وضعها في السياق الذي أشرنا إليه كان السبب في خطأ أبي المحاسن؛ ولعله كان ينبغي الاختصار على عادته في ما ينقل، وفاته أن مدار الكلام قد انتقل من الأب إلى الابن. انظر وفيات الأعيان: ١١٢/٥، وبتيمة الدهر: ١٨٧/٣.

(٢) تقدم في ص ٦٢ باسم أبي محمد. وكلاهما كنية له كما سيأتي للمؤلف في وفيات سنة ٣٦٦ هـ.

السنة الثالثة من ولاية جوهر القائد على مصر

وهي سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

فيها عَمِلَت الرافضة مَاتَم الحسين بن عَلِيّ رضي الله عنهما ببغداد على العادة في يوم عاشوراء.

وفيها عاد الهَجَرِيّ^(١) كَبِيرُ القَرَامِطَةِ من الموصل إلى الشام، وأنصرفت المغاربة - أعني عسكر العُبَيْدِيَّة - إلى مصر، ودخل القرمطيّ إلى دِمَشق وسار إلى الرملة.

وفيها وقع الصلح بين منصور بن نوح السامانيّ صاحب خُراسان وبين ركن الدولة الحسن بن بويه وبين ولده عضد الدولة بن ركن الدولة المذكور بأن يَحْمِلَ ركنُ الدولة إلى منصور بن نوح السامانيّ في كلِّ سنة مائة ألف دينار، ويَحْمِلَ أبْنه عضد الدولة خمسين ألف دينار.

وفيها آعترض بنو هلال الحاج البَصْرِيّ^(٢) والخراسانيّ ونهبوهم وقتلوا منهم خلقاً، ولم يَسَلِّمْ منهم إلّا مَنْ مضى مع الشريف أبي أحمد المُوسَوِيّ أميرِ الحاجّ، فإنّه مضى بهم على طريق المدينة، فحجّ وعاد.

وفيها تُوفِّي سَعِيد بن أبي سعيد، أبو القاسم الجَنّابِي القَرْمُطِيّ الهَجَرِيّ، عليه وعلى أقاربه اللعنة والخزي. ولم يبق من أولاد أبي سعيد غيره وغير أخيه يوسف، وقام بأمر القرامطة بعده مكانه أخوه يوسف المذكور. وعقد القرامطة بعد يوسف لسته نفر من أولادهم على وجه الشركة بينهم لا يستبدّ أحد منهم بشيء دون الآخر.

قلت: وهذا يدلّ على قطع أثرهم وأضمحلّ أمرهم وزوال ملكهم، إلى جهنم وبشّ المصير؛ فإنّهم كانوا أشرّ خلق الله وأقبحهم سيرةً وأظلمهم سطوةً، هذا

(١) المراد به الحسن الأعصم.

(٢) في الأصل: «المصري» وهو تحريف. وما أثبتناه عن عقد الجمّان.

مع الفسق وقلة الدين وسفك الدماء وانتهاك المحارم، وقتل الأشراف وأخذ الحجاج ونهبهم، والاستخفاف بأمر الشرع والسنة وهتك حرمة البيت العتيق وأقتلاع الحجر الأسود منه، حسب ما تقدّم ذكر ذلك كله في حوادث السنين^(١) السابقة. وقد طال أمرهم وقاسى المسلمون منهم شدائد؛ وخُرب في أيامهم ممالك وبلاد. ألا لعنة الله على الظالمين.

وفيها تُوفّي عليّ بن إسحاق بن خَلَف، أبو القاسم^(٢) الزاهي الشاعر البغدادي؛ كان وصافاً محسناً كثير المُلح حسن الشعر في التشبيهات، وكان قطّاناً، وكانت دكانه في قطيعة الربيع^(٣) الحاجب. ومن شعره وأجاد إلى الغاية من قصيدة: [الطويل]

وبيض بالحاظ العيون كأنما هزّزن سيوفاً وأستلّلن خناجرا
تصدّين لي يوماً بمُنْعرج اللّوى فغادرن قلبي بالتصبّر غادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهلةً وملن غصوناً وألتفتن جاذرا
وأطلعن في الأجياد بالدرّ أنجماً جعلن لحبات القلوب ضرائرا

هذا مثل قول المتنبي، ومذهب الزاهي زها عليه. وقول المتنبي: [الوافر]

بدت قمراً ومالت خُوطَ بانٍ وفاحت عنبراً ورنّت غزالا^(٤)

(١) في الأصل: «في حوادث هذه السنة» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: «أبو الحسن». وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وريّة الدهر.

(٣) قطيعة الربيع: منسوبة إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور. وكانت قطيعته بالكرخ. (معجم البلدان).

(٤) الخوط: الغصن الناعم. والصورة في هذا البيت أخذها المتنبي عن ابن الرومي في قوله:

إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشيت فالغصن فاح وإن رنت فالريم...

وهذا يسمى التدبيح في الشعر. ومثله قول الشاعر:

سفرن بدوراً وانتقبن أهلةً ومن غصوناً وألتفتن جاذرا

(انظر الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي: ص ١٣١، والصبح النبوي عن حيثة المتنبي للبدعي:

ص ٢٥٧).

وذكر الثعالبيّ لبعض شعراء عصره على هذا الأسلوب في وصف مغنّ:

[الوافر]

فديتك يا أتمّ الناس ظرفاً وأصلحهم لمتخذ حيباً
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيباً
وسائلة تُسائل عنك قلنا لها في وصفك العجب العجيباً
رنا ظيباً وغنى عندليباً ولاح شقائق ومشى قضيباً

ومات الزاهي ببغداد. ومن شعره أيضاً قوله: [مجزوء الرمل]

قم فهنئ عاشقين أصبحا مصطلحين
جُمعا بعد فراقٍ فُجعا منه ببين
ثم عادا في سرورٍ من صدود آمنين
فهما روحٌ ولكن رُكبا في بدنين

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي الحسن^(١) بن الخضر الأسيوطي، وخلف بن محمد بن إسماعيل بيخاري، وعثمان بن عمر^(٢) بن خفيف الدراج، ومحمد بن الحارث بن أسد للقيرواني أبو عبد^(٣) الله الفقيه الحافظ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعا.

* * *

(١) في الأصل: «أبو الحسن». والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب.

(٢) كذا في الذهبي وشذرات الذهب والبداية والنهاية. وفي الأصل: «عثمان بن عمرو». وفي المنتظم وعقد الجمان: «عثمان بن عثمان».

(٣) كذا في شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ. وفي الأصل: «وأبي الفقيه الحافظ».

السنة الرابعة من ولاية جوهر القائد على مصر

وهي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة:

فيها لم تعمل الرافضة المأتم ببغداد بسبب ما جرى على المسلمين من الروم؛ وكان عز الدولة بختيار بن بويه بواسط والحاجب سُبُكْتِكِين ببغداد، وكان سبكتكين المذكور يميل إلى السنة فمنعهم من ذلك.

وفيها حشدت الروم وأخذوا نصيبين وأستباحوا وقتلوا وسبوا، وقدم بغداد من نجا منهم؛ وأستنفروا الناس في الجوامع، وكسروا المنابر ومنعوا الخطيب، وحاولوا الهجوم على الخليفة المطيع لله، وأقتلوا بعض شبابيك دار الخلافة حتى غلقت أبوابها، ورماهم الغلمان بالنشاب من الرواشن^(١)، وخاطبوا الخليفة بالتعنيف وبأنه عاجز عما أوجبه الله عليه من حماية حوزة الإسلام وأفحشوا القول. ووافق ذلك غيبة السلطان عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه في الكوفة؛ فخرج إليه أهل العقل والدين من بغداد، وفيهم الإمام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي وأبو القاسم^(٢) الداركي وأبن الدقاق^(٣) الفقيه، وشكوا إليه مآدهم الإسلام من هذه الحادثة العظمى؛ فوعدهم^(٤) عز الدولة بالغزو، ونادى بالنفير في الناس؛ فخرج من العوام خلق مثل عدد الرمل ثم جهز جيشاً وغزوا، فهزموا الروم

(١) الرواشن: جمع روشن. وهي من الفارسية: روشن، بضم الراء وفتح الشين، بمعنى النافذة، والضوء، والوضاء، والين. وتكون أيضاً بمعنى الشرفة، وهو المعنى الذي اقتصر عليه دوزي نقلاً عن أبي الوليد اليهودي. (انظر تأصيل الدخيل: ص ١١٨).

(٢) هو أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الداركي، نسبة إلى «دارك» من قرى أصبهان. كان من كبار فقهاء الشافعية. (معجم البلدان).

(٣) هو محمد بن محمد بن جعفر، من كبار فقهاء الشافعية. توفي سنة ٣٩٢ هـ.

(٤) وذكر ابن الأثير أن بختيار حينئذ كان يتصيد بتواحي الكوفة، فخرج إليه وجوه بغداد مستغيثين منكربين عليه اشتغاله بالصيد وقتال عمران بن شاهين — وهو مسلم — وترك جهاد الروم ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغّلوا. (ابن الأثير: حوادث سنة ٣٦١ هـ).

وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأسروا أميرهم^(١) وجماعةً من بطارقتة، وأنفذت رؤوسُ القتلى إلى بغداد؛ وفرح المسلمون بنصر الله تعالى.

وفيها في شهر رمضان دخل المعزّ لدين الله أبو تميم مَعَدَّ العُبَيْدي إلى مصر بعد أن بُنيت له القاهرة ومعه تواييت آبائه؛ وكان قد مهّد له مُلْكُ الديار المصرية مولاه جوهرُ القائد، وبنى له القاهرة وأقام له بها دار الإمارة والقصر^(٢).

وفيها وَزَرَ ببغداد أبو طاهر بن بَقِيَّةَ ولُقِّبَ بالناصح؛ وكان سَمَحاً كريماً، له راتب كل يوم من الثلج ألف رطل، وراتبه من الشمع في كل شهر ألف من^(٣)؛ وكان أبو طاهر من صغار الكتاب يكتب على المطبخ لمعزّ الدولة؛ قال الأمر إلى الوزارة. فقال الناس: من الغضارة إلى الوزارة! وكان كريماً فغَطَّى كرمه عيوه.

وفيها زُلْزِلت بلاد الشام وهُدمت الحصون ووقع من أبراج أنطاكية عِدَّة، ومات تحت الردم خلقٌ كثير.

وفيها حجَّ بالناس النقيب أبو أحمد الموسوي.

وفيها ضاق الأمر على عزّ الدولة بِخَيْتَار بن بويه، فبعث إلى الخليفة وطلب إسعافه على قتال الروم؛ فباع الخليفة المطيع ثيابه وأنقاض داره من ساج

(١) أرسله المسلمون أسيراً إلى الموصل. ولم يزل محبوباً إلى أن مرض سنة ٣٦٣هـ، فبالغ أبو تغلب الحمداني أمير الموصل في علاجه وجمع له الأطباء (رغبة منه في توطيد الحب مع الروم - على حد تعبير ابن العبري) فلم ينفعه ذلك ومات. والذي ذكره ابن الأثير وابن العبري أن المواجهة مع الدمستق كانت على يد هزاردست صاحب آمد وهبة الله بن ناصر الدولة الحمداني. (ابن الأثير: حوادث سنة ٣٦٢هـ، وتاريخ الزمان: ٦٧).

(٢) في الأصل: «والقصرين». ولم يبق جوهر للمعزّ إلا القصر الشرقي الكبير. أما القصر الغربي - وكان موضعه حيث البيمارستان المنصوري (ومستشفى قلاوون للرمذ يشغل جزءاً منه الآن) وكل المساكن التي تجاوره إلى الخليج، وكان يعرف بقصر البحر وبالقصر الغربي، فبناه العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله. (م. رمزي). راجع أيضاً خطط المقرئ: ٤٥٧/١.

(٣) المَنَ: وقدره رطلان ببغداديان. والرطل عندهم اثنتا عشرة أوقية بأواقهم. (المعجم الوسيط ومعجم متن اللغة).

ورصاص، وجمع من ذلك أربعمئة ألف درهم وبعث بها إليه^(١).

وفيها تُوفي السري بن أحمد بن السري، أبو الحسن الكندي الرفاء الشاعر المشهور؛ كان في صباه يرفو ويُطرز في دُكان بالموصل ومع ذلك يتولع [بالأدب وينظم الشعر]^(٢)، ولم يزل على ذلك حتى جاد شعره ومهر فيه؛ وقصد سيف الدولة ابن حمدان بحلب ومدحه وأقام عنده [مدة]^(٣)، ثم بعد وفاته قدم بغداد ومدح الوزير المهلب وغيره. وكان بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد أبني هاشم الخالدين الموصليين الشاعرين المشهورين معادةً، فادّعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره. وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ، كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف، وكان لا يُحسن من العلوم شيئاً غير قول الشعر. ومن شعره [أبيات]^(٤) يذكر فيها صناعته^(٥): [السريع]

وكانت الإبرة فيما مضى صائنة وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح^(٦): [الكامل]
يَلْقَى الندى برقيق وجهٍ مُسْفِرٍ فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رَحُبُ المنازل ما أقام فإن سَرَى في جَحْفَلٍ ترك الفضاء مَضيقاً

(١) لما أرسل بختيار إلى المطيع يطلب منه مالاً يخرج به في الغزاة أجابه المطيع: «إن الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وتنجي إلي الأموال. وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده، وليس لي إلا الخطبة، فإن شئت أن أعتزل فعلت» وترددت الرسائل بينهما حتى بلغت التهديد، فاضطر المطيع إلى تلك الأموال. وقد شاع بين الناس أن الخليفة قد صودر. ولما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزاة. (ابن الأثير) والذي ذكره ابن الأثير هنا يؤيد ما ذهب إليه هو وابن العبري من أن الذي تصدى للروم في ذلك الوقت هو هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني وهزارمرد صاحب آمد، وليس عز الدولة بن بويه كما يفهم من كلام المؤلف قبل بضعة أسطر.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) قال الثعالبي عند إيراد هذه الأبيات: «وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس، وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد» - يتيمة الدهر: ١١٧/٢.

(٤) هي من جملة قصيدة في مدح سيف الدولة. (ديوانه: ص ١٨٥).

ومن غرر شعره في النسيب قوله^(١) وهو في غاية الحسن: [الوافر]

بنفسي من أجود له بنفسي ويخّل بالتحية والسلام
وحتفي كامن في مُقلّتيه كُمون الموت في حدّ الحُسام

وفيها تُوفي محمد بن هانيء أبو القاسم، وقيل: أبو الحسن، الأزدّي الأندلسي الشاعر المشهور؛ قيل: إنّه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صُفْرة؛ وقيل: بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم. وكان أبوه هانيء من قرية من قرى المهدية بإفريقية. وكان شاعراً أديباً؛ كان ماهراً في الأدب، حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم، وأتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده؛ وكان كثير الانهماك في اللذات متهماً بمذهب الفلاسفة؛ ولما أشتهر عنه ذلك نَقِم عليه أهل إشبيلية، وأتّهم الملك بمذهبه، فأشار عليه الملك بالغيبة عن البلد مدة [يُنسى فيها خبره]^(٢)؛ فانفصل وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة. وقصّته طويلة إلى أن قُتل ببرقة في عوده إلى المغرب من مصر بعد أن مدّح المعزّ العبيديّ بغرر المدائح^(٣). وكان عوده إلى المغرب لأخذ عياله وعوده بهم إلى مصر. وتأسّف المعزّ عليه كثيراً. ومن شعره قصيدته النونية في مدّح المعزّ لدين الله المذكور، منها: [الكامل]

بيضٌ وما ضحك الصباح وإنّها بالمسك من طرّر الحسان لجون
أدّى لها المرجان صفحة خده وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

وكان ابن هانيء هذا في المغرب مثل المتنبّي في المشرق^(٤)، وكان موته في شهر رجب. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي أولها:
فتفت لكم ريح الشمال عبيرا^(٥)

(١) ديوانه: ٢٦٠، وبيمة الدهر: ١٣٧/٢.

(٢) زيادة عن ابن خلكان: ٤٢١/٤.

(٣) في الأصل: «بغرر القصيدة». وما أثبتناه عن ابن خلكان.

(٤) لما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسّف عليه كثيراً وقال: هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك.

(٥) رواية نفح الطيب: ٤٢/٤.

فُتفت لكم ريح الجلال بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر

وفيهما تُوفّي الوزير عباس بن الحسين، أبو الفضل الشيرازي؛ كان جباراً ظالماً؛ قُتل بالكوفة بسقي الذّراريح^(١)، ودُفن بمشهد عليّ عليه السلام. ومما يُحكى عن ظلمه أنّه قُتل ببغداد رجل من أعوان الوالي، فبعث أبو الفضل الشيرازي هذا من طَرَح النار من النّحاسين إلى السّماكين، فأحترق ببغداد حريق عظيم لم يُعهد مثله، وأُحرقت أموال عظيمة وجماعة كثيرة من النساء والرجال والصبيان والأطفال، فأُحصي ما أُحرق ببغداد فكان سبعة عشر [ألف إنسان]^(٢) وثلاثمائة دكان وثلاثمائة وعشرين داراً؛ أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون [ألف دينار]^(٣). فلمّا وقع ذلك قال له رجل: أيّها الوزير أَرَيْتَنَا قَدَرْتِكَ ونحن نأمل من الله أن يُرينَا قَدَرْتَهُ فيك! فبعد قليل قبض عليه عزّ الدولة وصادره وعاقبه، ثم سُقي ذراريح فتقرّحت مثانته وهلك في ذي الحجة.

الذين ذكر الذهبّي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكّي، وأبو العباس إسماعيل بن عبد^(٤) الله بن محمد بن ميّكال، وأبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر^(٥) البرّهباريّ، وأبو جعفر محمد بن عبد الله البلّخيّ شيخ الحنفية ببخارى في ذي الحجة - كان إمام عصره بلا مدافعة، وأبو عمر^(٦) محمد بن موسى بن فضالة، وأبو الحسن محمد بن هانيء شاعر الأندلس. أمر النّيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبعاً.

(١) الذّراريح: السمّ. والذراريح في الأصل: حشرات أعظم من الذباب سامة قاتلة. وفيها أنواع تقتل وتحفف وتسحق وتستعمل في الطب؛ وكانوا قديماً يخلطونها بالعدس لكسر حدة سمها واستعمالها في العلاج لمن عضه كلب كلب. قال الشاعر:

فلما رأت أن لا يجيب دعاءها سقته على لوح دماء الذّراح.

(انظر لسان العرب والمعجم الوسيط: ذرح).

(٢) زيادة عن ابن الأثير وعقد الجمان.

(٣) زيادة عن عقد الجمان.

(٤) في الأصل: «إسماعيل بن عبيد الله بن محمد بن ميكايل» وما أثبتناه عن الذهبي وشذرات الذهب.

(٥) في الأصل: «الحسن بن موسى». والتصحيح عن الذهبي وشذرات الذهب وأنساب السمعاني.

(٦) في الأصل: «أبو عمرو». والتصحيح عن الذهبي وشذرات الذهب.

ذكر ولاية المعز^(١) العبيدي على مصر

هو أبو تميم مَعَدَّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهديّ عبيد الله العبيديّ الفاطميّ المغربيّ الملقّب بالمعزّ لدين الله، والذي تُنسب إليه القاهرة المُعزّيّة. مولده بالمهدية في يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة؛ وبويع بالخلافة في الغرب يوم الجمعة التاسع والعشرين من شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بعد موت أبيه. يأتي ذكر نسبه وأقوال الناس فيه بعد أن نذكر قدومه إلى القاهرة وما وقع له مع أهلها ثم مع القَرْمَطيّ.

وقال ابن خلكان: «وكان المعزّ قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور إسماعيل، ثم جُددت له البيعة [بعد وفاته]^(٢) في يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة». قلت: هو أوّل خليفة كان بمصر من بني عُبيد.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في تاريخ الإسلام: «وهو أوّل من تملّك ديار مصر من بني عبيد [الرافضة]^(٣) المدّعين أنهم علويّون. وكان وليّ عهد أبيه إسماعيل، فاستقل بالأمر [في آخر]^(٣) سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وسار في نواحي إفريقية ليمهّد مملكته، فأذلّ العصاة واستعمل على المدن غلمانه وأستخدم الجند. ثم جهّز مولاة جوهرًا القائد في جيش كثيف؛ فسار فأفتتح سِجِلْمَاسَة، وسار

(١) أخباره وترجمته في: خطط المقرئ: ٣٥١/١، ووفيات الأعيان: ٢٢٤/٥، والبيان المغرب: ٢٢١/١، المنتظم: ٨٢/٧، واتعاظ الحنفا: ٩٣، وابن خلدون: ٤٦/٤، وابن الأثير: ٣٣٠/٧ وما بعدها، وشذرات الذهب: ٥٢/٣، وحسن المحاضرة: ١٥/٢، ومعجم زامبور: ٤٤، ١٤٤. وكان يجدر بالمؤلف أن يقول: «خلافة المعز» لأن الفاطميين في مصر تسمّوا بالخلافة وليس بالولاية، وكذلك الأمر فيمن سيأتي من خلفائهم في مصر.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) زيادة عن الذهبي.

حتى وصل إلى البحر المحيط وصيّد له من سمكه، وأفتتح مدينة فاس، وأرسل بصاحبها وصاحب سبّته أسيرين إلى المعز؛ ووطأ له جوهر من إفريقية إلى البحر سوى مدينة سبّته فإنّها بقيت لبني أمية أصحاب الأندلس.

وقال الشيخ شمس الدين أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: «وكان مغرّياً بالنجوم (يعني المعز) والنظر فيما يقتضيه الطالع؛ فنظر في مولده وطلّعه فحكم له بقطع فيه، فأستشار منجمه فيما يُزيله عنه؛ فأشار عليه أن يعمل سرّداً تحت الأرض ويتوارى فيه إلى حين جواز الوقت؛ فعمل [على] (١) ذلك، وأحضر قوّاده وكتّابه وقال لهم: إن بيني وبين الله عهداً في وعديّ وعنديّ و[قد] (٢) قرب أوانه، وقد جعلت نِزاراً ولدي وليّ عهدي بعدي، ولقبته العزيز بالله، وأستخلفته عليكم وعلى تدبير أموركم مدّة (٣) غيبيّتي، فالزموا الطاعة له وأتركوا المخالفة وأسلكوا الطريق السديدة (٤)؛ فقالوا: الأمر أمرُك، ونحن عبيدُك وخدمك؛ ووصى العزيز ولده بما أراد، وجعل القائد جوهرًا مدبره والقائم بأمره بين يديه؛ ثم نزل إلى سرّداً آتخذه وأقام فيه سنة؛ وكانت المغاربة إذا رأوا غماماً سائراً ترجّل الفارس منهم إلى الأرض، وأوماً بالسلام يشير [إلى] أن المعز فيه؛ ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس للناس، فدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له، فأقام على ما كان عليه». انتهى.

وقيل: إنّه دخل مصر ومعه خمسمائة جمل موسوقة ذهباً عينا وأشياء كثيرة غير ذلك.

وقال القفطي: «إنّ المعز كان قد عزم على تجهيز عسكر إلى مصر؛ فسألته أمّه تأخير ذلك لتحجّ خفية، فأجابها وحجت. فلمّا وصلت إلى مصر أحسّ بها كافور الإخشيديّ الأستاذ فحضر إليها وخدمها وحمل إليها هدايا وبعث في خدمتها

(١) سبّته: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على البحر تقابل جزيرة الأندلس؛ وهي مدينة حصينة تشبه المهديّة. (معجم البلدان).

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب المصريّة عن مرآة الزمان.

(٣) في الأصل: «منذ غيبيّتي» والتصحيح عن المرجع السابق.

(٤) في الأصل: «السعيدة» والتصحيح عما سبق.

أجناداً، فلما رجعت من حجّها منعت ولدها من غزو بلاده. فلما تُوفي كافر بعث المعزُ جيوشه فأخذوا مصر». انتهى.

ولما أرسل المعزُ القائدَ جوهرًا إلى مصر وفتحها وبلغه ذلك سار بنفسه إلى المهدية في الشتاء فأخرج من قصور آبائه من الأموال خمسمائة حمل، ثم سار نحو الديار المصرية بعد أن مهد له جوهرُ القائد وبنى له القاهرة. وكان صادف مجيء جوهر إلى مصر الغلاء والوباء، فلم يلتفت إلى ذلك وأفتتحها؛ ثم أفتتح الحجاز^(١) والشام، وأرسل يعرفُ المعزُ. وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في ترجمة جوهر القائد.

وخرج المعزُ من المغرب في سنة إحدى وستين وثلاثمائة بعد أن استخلف على إفريقية بلُكِّن^(٢) بن زيري الصنهاجي، وجدَّ المعزُ في السير في خزائنه وجيوشه حتى دخل الإسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة؛ فتلّقه قاضي مصر أبو طاهر^(٣) الدُّهلي والأعيان، وطال حديثهم معه، وأعلمهم بأن قصده القصد المبارك من إقامة الجهاد والحق وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة، وأن يعمل بما أمره به جدّه رسول الله ﷺ، ووعظهم وطول حتى أبكى بعضهم وخلع على جماعة. ثم نزل بالجيزة وأخذ جيشه في التعديّة إلى مصر ثم ركب هو ودخل القاهرة، وقد بُنيت له بها دورُ الإمارة، ولم يدخل مدينة مصر، وكانوا قد أحتفلوا وزيّنوا مصر بأحسن زينة. فلما دخل القصر خرّ ساجداً وصلى ركعتين.

وقال عبد الجبار البصري: «وكان السبب في مجيئه إلى مصر، أن الروم كانوا

(١) في الأصل: «الحجاج». والتصحيح عن الذهبي.

(٢) هو أبو الفتوح، سيف الدولة، يوسف بلُكِّن بن زيري بن مناد الصنهاجي. مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس. كان في بدء أمره من قواد المعز وأبلى في إخضاع زناتة البلاء الحسن. ولما أراد المعز الانتقال إلى الديار المصرية ولاه إفريقية، ماعدا صقلية وطرابلس الغرب — فكانت الأولى للكليبيين والثانية للكتامين — وسماه يوسف بدلاً من بلكين، وكانه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة أوسيف العزيز بالله (كما في أعمال الأعلام). دان له المغرب كله بعد حروب. توفي سنة ٣٧٣ هـ. (الأعلام: ٧٤/٢).

(٣) في الأصل: «أبو القاسم الذهلي» وهو خطأ. والتصحيح عن الولاة والقضاة للكندي وابن خلكان وشذرات الذهب. وقد استمر أبو الطاهر الذهلي على قضاء مصر إلى سنة ٣٦٦ هـ، حيث عزل بالقاضي الإسماعيلي علي بن النعمان. (انظر المعز لدين الله: ١٩٤ - ١٩٩).

قد آستولوا على الشام والنجور وطرسوس وأنطاكية وأذنة [وعين زربة] ^(١) والمصبصة وغيرها وفرح بمصاب المسلمين؛ وبلغه أن بني بويه قد غلبوا على بني العباس وأنهم لا حكم لهم معهم؛ فأشد طمعه في البلاد؛ وكان له بمصر شيعة فكاتبوه يقولون: إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز الدنيا كلها، ويعنون بالحجر الأسود الأستاذ كافوراً الإخشيد الخصي؛ وكان كافور يومئذ أمير مصر نيابة عن ابن الإخشيد وعن الحسن بن عبيد الله بن طنج أمير الشام، وكان الحسن قد دخل مع الشيعة في الدعوة، وكان الحسن ضعيفاً رخواً؛ ولذلك كان كافور هو المتكلم عنه لأن الجند كانوا قد طمعوا فيه (أعني الحسن) وكرهوه وكرههم؛ فقال له أبو جعفر بن نصر، وكان من دعاة المعز بالقاهرة: هؤلاء القوم قد طمعوا فيك، والمعز لك مثل الوالد، فإن شئت كاتبته ليشد منك ويكون من وراء ظهره؛ فقال الحسن: إي والله قد أحرقوا قلبي! فكتب إلى المعز يخبره؛ فبعث المعز القائد جوهرراً، وهو عبد رومي غير خصي؛ فجاء جوهرراً إلى مصر في مائة ألف مقاتل، فدخل مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، حسب ما ذكرناه، وأخرج الحسن المذكور بعد أن قاتله؛ وأستولى جوهرراً على الخزائن والأموال والذخائر. وتوجه الحسن إلى الرملة ثم ظفر به جوهرراً وبعث به إلى المعز إلى الغرب؛ فلما دخل عليه الحسن قربه المعز وبش ^(٢) به، وقال: أنت ولدي؛ وكاتبتي على دخول مصر وإنما بعثت جوهرراً لينصرك، ولقد لحقني بتجهيز ^(٣) الجيوش إلى مصر أربعة آلاف ألف [وخمسمائة ألف] ^(٤) دينار. فظن الحسن أن الأمر كما قال المعز، ولم يدر أنه خدعه؛ فسعى إليه بجماعة من قواد مصر والأمراء وأرباب الأموال وعرفه حال المصريين، وكان كل واحد من هؤلاء الذين دل الحسن المعز عليهم مثل قارون في الغنى؛ فكتب المعز إلى جوهر بآستئصالهم ومصادرتهم [وأن يبعث بهم إليه] ^(٤) ثم حبسهم مع الحسن؛

(١) زيادة عن عقد الجمان.

(٢) في الأصل: «وبش له».

(٣) في الأصل: «عل تجهيز» وما أثبتناه عن عقد الجمان.

(٤) زيادة عن عقد الجمان.

فكان ذلك آخر العهد بهم». فقال الذهبي: هذا قول مُنْكَر! بل أخرج الحسن بن عبيد الله من مصر وبائع للمعز، ثم قَدِم بعد ذلك ووقعت الوحشة بينهم.

ولما دخل المعز إلى القاهرة احتجب في القصر فبعث عيونه ينقلون إليه أخبار الناس وهو متوقّر في النعم والأغذية المسمنة والأطليّة التي تُنْقِي البشرة وتُحَسِّن اللون. ثمّ ظهر للناس بعد مدّة وقد لبس الحرير الأخضر وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمّع كالكوكب. وزعم أنّه كان غائباً في السماء وأنّ الله رفعه إليه؛ فامتلات قلوب العامة والجُهل منه رعباً وخوفاً، وقطع ما كان على ابن الإخشيد في كلّ سنة من الأتاوة للقرامطة، وهي ثلاثمائة ألف دينار. ولما بلغ القرمطيّ ذلك عظم عليه؛ لأنّ المعز كان يُصافيه لما كان بالمغرب ويُهاديه، فلما وصل إلى مصر قطع ذلك عنه. وسار القرمطيّ، واسمه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطيّ، إلى بغداد وسأل الخليفة المطيع بالله العباسيّ على لسان عزّ الدولة بختيار أن يُمدّه بمال ورجال ويؤلّيه الشام ومصر ليُخرج المعزّ منها؛ فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك، وقال: «كلّهم قرامطة وعلى دين واحد؛ فأما المصريون (يعني بني عُبيد) فأما اتوا السنن وقتلوا العلماء؛ وأما هؤلاء (يعني القرامطة) فقتلوا الحاجّ، وقلعوا الحجر الأسود، وفعلوا ما فعلوا». فقال عزّ الدولة بختيار للقرمطيّ: اذهب فافعل ما بدا لك. وقيل: إنّ بختيار أعطاه مالاّ وسلاحاً. فسار القرمطيّ إلى الشام ومعه أعلام سودّ، وأظهر أنّ الخليفة المطيع ولّاه وكتب على الأعلام اسم المطيع عبد الكريم، وتحتّه مكتوب «السادة الراجعون إلى الحقّ» وملك القرمطيّ الشام ولعن المعزّ هذا على منبر دمشق وأباه؛ وقال: «هؤلاء من ولد القدّاح كذابون مُمخِرِقون أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم؛ ومن عندنا خرج جدّهم القدّاح». ثمّ أقام القرمطيّ الدعوة لبني العباس وسار إلى مصر بعساكره. ولما بلغ المعزّ مجيئه تهيّأ لقتالهم؛ فنزل القرمطيّ بمَشْتُول الطواحين^(١)، وحصل بينه وبين المعزّ مناوشات، ثمّ تقهقر المعزّ ودخل القاهرة وآنحصر بها إلى أن أرضى القرمطيّ بمال

(١) مشْتُول الطواحين: هي مشْتُول السوق، وهي إحدى قرى مركز بليس بمديرية الشرقية. (م. رمزي).

وخدعه، وأنخدع القرمطي وعاد إلى نحو الشام، فمات بالرملة في شهر رجب^(١)، وأراح الله المسلمين منه. وصفا الوقت للمعز فإن القرمطي كان أشد عليه من جميع الناس للرعب الذي سكن في قلوب الناس منه؛ فكانت القرامطة إذا كانوا في ألف حَظْمُوا^(٢) مائة ألف وأنصفوا. خذلان من الله تعالى لأمر يريده.

ذكر ما قيل في نسب المعز وآبائه

قال القاضي عبد الجبار البصري: «اسم جدّ الخلفاء المصريين سعيد، ويلقب بالمهدي، وكان أبوه يهودياً حدّاداً بِسَلْمِيَّةَ؛ ثم زعم سعيد هذا أنه ابن الحسين بن أحمد^(٣) بن عبد الله بن ميمون القدّاح. وأهل الدعوة أبو القاسم الأبيض العلوي وغيره يزعمون أن سعيداً إنما هو من امرأة الحسين المذكور، وأن الحسين ربّاه وعلمه أسرار الدعوة، وزوجته بنت أبي الشلغلخ^(٤)، فجاءه ابن فسّمَاه عبد الرحمن. فلما دخل الغرب وأخذ سِجْلْمَاسَةَ تسمّى بعبيد الله ثم تكتّى بأبي محمد، وسمّى ابنه الحسن؛ وزعمت المغاربة أنه يتيم ربّه^(٥) وليس بآبئه ولا بآبن زوجته؛ وكناه أبا القاسم وجعله وليّ عهده». انتهى.

(١) يورد أبو المحاسن خبر المواجهة بين الحسن الأعصم القرمطي والمعز لدين الله الفاطمي على أبواب القاهرة بشكل مقتضب يفتقد للدقة التاريخية. ذلك أن الذي خدعه المعز بجال وأرضاه به ليس الحسن الأعصم وإنما هو حسان بن الجراح الطائي زعيم الأعراب الذين شاركوا القرمطي في هجومه على مصر. وقد وعده المعز بأن يدفع له مائة ألف دينار إذا انهزم أمام جند الفاطميين وخذل حليفه القرمطي. وهكذا كان، فقد انهزم الطائي أمام العساكر الفاطمية التي خرجت من القاهرة بقيادة عبد الله بن المعز واستطاعت أن تفك الحصار وتحيط بعساكر القرامطة الذين تفهقروا وأسر منهم أكثر من ألف وخمسمائة عوملوا معاملة المرتدين عن دينهم وهو المذهب الإسماعيلي. وقد وفي المعز بوعده، غير أن الدنانير التي أرسلها إلى الطائي كان أكثرها من النحاس المطلي بالذهب. هذا علماً أن الحسن الأعصم الذي عاد إلى الشام إثر فشله هذا ثم توجه إلى البحرين لم يمّت في هذه السنة - كما توحى به عبارة المؤلف - وإنما مات في سنة ٣٦٦هـ. (انظر المعز لدين الله: ص ١٢٤، وابن الأثير: حوادث ٣٦٣هـ).

(٢) في الأصل: «حظموا في مائة ألف».

(٣) كذا في خطط المقرئزي وتمعاض الحنفا والفرق بين الفرق. وفي الأصل: «الحسين بن محمد بن أحمد».

(٤) كذا في الأصل. وفي تتمعاض الحنفا: «الشلعلع» بالعين المهملة في الموضعين. وفي خطط المقرئزي: «الشلعلع» بلام واحدة.

(٥) ربّ الولد رباً؛ وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه.

وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني: «القدّاح جدّ عُبَيْد الله كان مجوسياً؛ ودخل عبيد الله المغربَ وأدّعى أنه علويّ ولم يعرفه أحدٌ من علماء النسب، وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام؛ أعدم الفقه والعلم ليتمكّن من إغراء الخلق؛ وجاء أولاده أسلوياً وأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرّفْضَ، وبثوا دعاة فافسدوا عقائد جبال الشام، كالنُصَيْرِيَّةِ والدُّرُوزِيَّةِ. وكان القدّاح كاذباً مخرفاً، وهو أصل دعاة القرامطة». انتهى.

وقال ابن خلكان: «اختلف في نسبهم، فقال صاحب تاريخ القَيْرَوَان: هو عُبَيْد الله بن الحسن^(١) بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم -». انتهى. وقال غيره: هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور في قول صاحب تاريخ القيروان. وقيل: هو عليّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم -». وقيل: هو عبيد الله بن التقيّ بن الوفيّ بن الرضيّ، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله. والرضيّ المذكور هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر. وأسم التقيّ الحسين. واسم الوفيّ أحمد. وأسم الرضيّ عبد الله. وإنما استتروا خوفاً على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بني العباس، لأنهم علموا أنّ فيهم من يروم الخلافة؛ [أسوة غيرهم من العلويّين، وقضاياهم ووقائعهم في ذلك مشهورة]^(٢). وإنما تسمّى المهديّ عبيد الله استتاراً. هذا عند من يُصحّح نسبه ففيه اختلاف كثير. وأهل العلم بالأنساب من المحققين يُنكرون دعواه في النسب. وقيل: هو عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن محمد بن عليّ الرضيّ بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. وقيل: هو عليّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد بن زَيْن العابدين بن محمد بن الحسين، وإنما سَمّى نفسه

(١) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «الحسين».

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

[عبيد الله]^(١) استتاراً. وهذا أيضاً على قول من يُصَحِّح نسبهم. والذي يُنكر نسبه يقول: اسمه سعيد، ولقبه عبيد الله، وزوج أمه الحسين بن أحمد القدّاح، كان كحالاً يقدح العين إذا نزل فيها ماء.

وقال ابن خلكان: «وجاء المعز من إفريقية وكان يُطْعَن في نسبه. فلما قُرب من البلد (يعني مصر) وخرج الناس للقائه، اجتمع به جماعة من الأشراف؛ فقال له من بينهم الشريف عبد الله بن طَبَّاطَبَا: إلى من ينتسب مولانا؟ فقال له المعز: سنعقد مجلساً ونسرُد عليكم نسبنا. فلما استقرَّ المعزُ بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبرٌ، فسَلَّ [عند ذلك نصف]^(٢) سيفه وقال: هذا نسبي! ونثر عليهم ذهباً كثيراً، وقال: هذا حسبي! فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا». قلت: وفي نسب المعز أقوال كثيرة أُخِرَ أضربت عن ذكرها خوف الإطالة. والظاهر أنه ليس بشريف^(٣)، وأنه مدَّعٍ. والله أعلم.

وآستمر بالقاهرة إلى أن مرض بها وتوفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وثلاثمائة، وله ست وأربعون سنة؛ وقام ولده العزيز يزَار بعده بالأمر^(٤). وأقام المعز والياً ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً، منها بمصر ثلاث سنين، وباقي ولايته كانت بالمغرب؛ وخلف عشرة

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) يرى الدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور طه أحمد شرف في كتابها «المعز لدين الله» أنه لا يتمي إلى بيت عبيد الله المهدي - أي البيت القداحي - وإنما ينتسب إلى جده القائم وأبيه المنصور، وهما من سلالة أئمة الاستقرار عند الإسماعيلية. وقد نقلنا نصاً أورده أبو حنيفة بن حيون المغربي في كتابه: المجالس والمسارير (مخطوط بمكتبة فؤاد الأول رقم ٢٦٠٦٠) على لسان إحدى نساء المهدي، فقد كانت تقول لولد المهدي ونسائه بعد وفاته: «والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر - يعني قصر المهدي بالله - فلا يعود إليه أبداً، وصار إلى ذلك القصر - يعني قصر القائم بأمر الله - فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا، ولو كان أبناء القائم من ذرية المهدي لما عبرت هذه السيدة بذلك. (انظر المعز لدين الله: ص ١٠ - ١٣، وعبيد الله المهدي، لنفس المؤلفين: ص ١٥٦ - ١٦٩).

(٤) في الأصل: وفي الأمر.

أولاد: نزاراً الذي ولي مصر بعده وعبد الله وعقيلاً وسبع بنات. وأقام بتدبير مملكة ولده العزيز جوهرراً القائد باني القاهرة وصاحب جامع الأزهر المقدم ذكره.

قال ابن خلكان: إنه توفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر. وقيل: الثالث عشر [وقيل لسبع خلون^(١)] منه. فخالف ما قلنا^(٢) في اليوم والشهر إلا أنه وافق في السنة. قال: و(معدّ بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة). انتهى.

قلت: وكان المعز عاقلاً حازماً أديباً جواداً ممدحاً، فيه عدل وإنصاف للرعية؛ فمن عدله [ما] حكى عنه أن زوجة الإخشيد الذي كان ملك مصر لما زالت دولتهم أودعت عند يهودي بغلطاقاً^(٣) كله جوهر، ثم فيما بعد طالبته فأنكر؛ فقالت: خذ كمّ البغلطاق وأعطني ما فضل فأبى؛ فلم تزل به حتى قالت: هات الكمّ وخذ الجميع فلم يفعل؛ وكان في البغلطاق بضع عشرة درّة؛ فأتت المرأة إلى قصر المعز فأذن لها فأخبرته بأمرها، فأحضره وقرّره فلم يُقرّ؛ فبعث إلى داره من خرب حيطانها فظهرت جرّة فيها البغلطاق؛ فلما رآه المعز تحير من حسنه، ووجد اليهودي قد أخذ من صدره درّتين؛ فأعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار؛ فسلمه المعز بكماله للمرأة. فأجتهدت أن يأخذه المعز هدية أو بئس فلم يفعل؛ فقالت: يا مولاي، هذا كان يصلح لي وأنا صاحبة مصر، وأما اليوم فلا؛ فلم يقبله المعز وأخذته وأنصرفت.

وكان المعز قد أتقن فنوناً من العلم والأدب. ومن شعره قوله: [مجزوء

الكامل]

(١) زيادة عن ابن خلكان.

(٢) في الأصل: «فخالف ما قلناه في قوله الثاني في اليوم...» وابن خلكان له ثلاثة أقوال كل منها يخالف ما قاله المؤلف في اليوم والشهر. لذلك فلا معنى لقوله: «في قوله الثاني» وقد حذفناه.

(٣) البغلطاق: هو نوع من القباء. قال علي مبارك في الخطط التوفيقية: ١٣٨/١: «ولما ملك الناصر محمد بن قلاوون أحدث العمائم الناصرية، وكانت صغيرة؛ وأحدث الأمير يلبيغا العمري الكلوتات الكبيرة، وعرفت باليلبغاوية؛ وأحدث الأمير سلار القباء الذي عرف بالسلاري، وكان قبل يعرف بالبغلطاق، وهو شبه المضربية».

لله ما صنعتُ بنا تلك المحاجر في المعاجر^(١)
 أمضى وأقضى في النفوس من الخناجر في الحناجر
 ولقد تعبتُ بينكم تعب المهاجر في الهواجر

ذكر ركوب الخلفاء الفاطميين في أول العام^(٢) من كل سنة

والمعز هذا هو الذي استسن ذلك كله، فكان أمره إذا كان أواخر ذي الحجة من كل سنة أنتصب كل من المستخدمين في الأماكن الآتي ذكرها لإخراج آلات الركوب:

فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب^(٣) حول الخليفة، من الصماصم^(٤) المصقولة المذهبة، والدبابيس الملبسة الكيمخت^(٥) الأحمر والأسود مدورة الرأس مضرسة؛ ولتوت^(٦) رؤوسها مستطيلة؛ وآلات يقال لها المستوفيات، وهي عمد حديد طول ذراعين مربعة الشكل، لها مقابض مدورة في اليد، وعُدَد معلومة أيضاً من كل صنف يتسلمها نقباؤهم؛ وستمائة حربة بأسيئة مصقولة تحتها جُلْب^(٧) فضة، كل اثنتين في شربة تُعطى لثلاثمائة عبد[من] السودان الشباب يقال لهم أرباب السلاح الصغير^(٨) ويعطى لكل منهم ذرقة. هذا من خزائن السلاح.

(١) المعاجر: جمع عجار، وهو ثوب تلقه المرأة على استدارة رأسها. واعتجر فلان بالعمامة: لفها على رأسه ورد طرفها على وجهه.

(٢) راجع في تعريفه وكيفيته وصفته، صبح الأعشى: ٥٧٧/٣، وخطط المقرئ: ٤٤٦/١، ونظم دولة الفاطميين ورسومهم لعبد المنعم ماجد: ٩٤/٢.

(٣) صبيان الركاب: ويقال لهم أيضاً الركابية. وهم الذين يحملون السلاح حول الخليفة في المواكب، وكانت عدتهم تزيد على ألفي رجل، ولهم اثنا عشر مقعداً، ولهم نقباء موكلون بمعرفتهم. وهم بمشابة السلاحدارية والطبردارية في عصر الماليك. (صبح الأعشى: ٤٨٠/٣).

(٤) في الأصل: «هومن الصماصم».

(٥) الكيمخت: ضرب من الجلود المدبوغة. (طبعة دار الكتب، ص ٧٩، حاشية).

(٦) اللتوت: لفظ فارسي الأصل، ومعناه القدوم أو الفأس العظيمة. (عيط المحيط).

(٧) جمع جلبه، وهي قطعة من فضة وغيرها تضم نصاب الحربة بسنانها.

(٨) في المقرئ: «أرباب السلاح الصفر».

ثم يخرج من خزائن التَّجَمُّل^(١)، وهي من حقوق خزائن السلاح، القُضْبُ الفضة [برسم]^(٢) تشريف الوزير وأرباب الرتب من الأمراء والعساكر من الرِّجَالَة والمُشَاة، وهي رماح ملبَّسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب سوى ذراعين منها، فإنَّها مشدودة بالمعاجر الشَّرَب^(٣) الملوَّنة، وتبقى أطرافها المرقومة مسبَّلة كالسناجق^(٤)، وبرأس كلِّ رَمَامِينُ فِضة منفوخة وأهْلَة مجوَّفة وفيها جلاجل لها حِسٌّ إذا تحرَّكت، وعدَّتْها مائة رمح.

ومن العَمَارِيَّات^(٥) وهي شبه الكجاوات^(٦) مائة عمارية ملبَّسة بالديباج الأحمر والأصفر والسقلاطون^(٧) مِبْطَنَة^(٨) مضبوطة بزنانير من حرير، وعلى دائر التريبع مناطق بكوامخ^(٩) فِضة مسمورة في جلد.

(١) خزانة التَّجَمُّل: فيها أنواع السلاح، وتحتوي كذلك على الآلات الثمينة التي تستخدم في المناسبات الرسمية؛ ففيها عدة صناديق مملوءة بالفصوص والجواهر وأوان من ذهب وفضة وسروج ذهب وكتائب مطرزة وملابس مطرزة وحوائص وأمتعة حسنة من كل نوع. وكان يشرف عليها ناظر. (صبح الأعشى: ٤٧٤/٣، ٥٠٠، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين الظاهري: ١١٥).

(٢) زيادة عن المقرئ وصبح الأعشى.

(٣) الشرب: نوع من القماش الشفاف تدخله خيوط حريرية أو مذهبة. ومنه الشفاف جداً. (التعريف بمصطلحات الصبح: ١٩٧، عن معجم دوزي).

(٤) السنجق: لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح، والجمع سناجق. وهي رايات صفر صفار يحملها السنجقدار. ويظهر أن العادة كانت أن يركب السلطان في الموكب زمن السلم بالسناجق فقط، أما موكب الحرب فكان سير السلطان فيها بالأعلام، ومنها السناجق. (صبح الأعشى: ٤٥٦/٥ و ٨/٤، ٤٥٨).

(٥) العماريات: جمع عمارية، وهي الهودج يجلس فيه. (صبح الأعشى: ٤٧١/٣، ٤٧٤).

(٦) كذا بالأصل. وفي صبح الأعشى: «الكجاوات» وكلاهما صحيح. وهي ضرب من المحامل، دخيل منذ زمن الأيوبيين. (معجم متن اللغة). وفي خطط المقرئ: «الكجاوات» وفيه تصحيف.

(٧) السقلاطون: الملابس الملونة بالألوان القرمزية وغيرها. وهو اسم بلد بالروم تصنع فيه تلك الملابس وتنسب إليه.

(٨) كذا في المقرئ: وفي الأصل: «عليها زنانير من حرير».

(٩) كذا بالأصل والمقرئ. وفي صبح الأعشى: «كوابح الفضة المذهبة». ولعل الصواب: بكوابش من كَبَش أي تناول، والمراد حيث يمسك بها.

ويخرج للوزير لواءان^(١) على رمحين ملفوفين غير منشورين، فيسيران أمام الوزير. ثم يسير للأمرء أرباب الرتب في الخدم، أولهم صاحب^(٢) الباب عشر^(٣) قصبات وعشر عماريات. وللإسفهلار^(٤) مثل ذلك عدة عماريات بألوان مختلفة؛ ومن سواهما من الأمرء خمس^(٥).

ثم يخرج من البنود الخاص الديبقي^(٦) المرقوم الملون برماح ملبسة بالأنابيب، على رؤوسها الرمامين والأهلة للوزير أيضاً خاصة. ودون هذه البنود مما هو حرير على رماح غير ملبسة، رؤوسها ورمامينها نحاس مجوف مذهب، أمام الأمرء المذكورين.

ثم يخرج لقوم يقال لهم السريرية^(٧) سلاح، كل قطعة طول ثلاث أذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطارية داخلية في الطلعة، وفي عقبها حديد مدور السفل، فهي في كف حاملها الأيمن، وهو يفتلها فتلاً متدارك الدوران؛ وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها.

-
- (١) وهما «لواء الحمد» - انظر صبح الأعشى: ٥٤٢/٣، طبعة دار الكتب العلمية.
- (٢) وظيفة صاحب الباب هي ثاني رتبة الوزارة. قال ابن الطوير: وكان يقال لها الوزارة الصغرى، وصاحبها في المعنى يقرب من النائب الكافل في زماننا، وهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن وزير صاحب سيف، فإن كان ثم وزير صاحب سيف، كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه، وصاحب الباب من جملة من يقف في خدمته. (صبح الأعشى: ٥٥٤/٣).
- (٣) في المقيزي: «خمس قصبات وخمس عماريات».
- (٤) إسفهلار (ويقال أيضاً: اسفهلار، واسفسلار، واسباسلار) وهو لفظ مركب من لفظين فارسي وتركبي. إذ إن «أسفه» بالفارسية بمعنى «المقدم». و«سلار» بالتركية بمعنى «العسكر» فيكون معنى المصطلح: مقدم العسكر أي قائد الجيش. وكان هذا المصطلح مستعملاً في الدولة الفارسية، ومنها انتقل إلى العصر العباسي في بغداد، ثم استعمل في الدولة الفاطمية. وكان «الاسفهلار» في الدولة الفاطمية يلي في الرتبة «صاحب الباب» وكان عالي الشأن، عظيم النفوذ، ومهمته الإشراف على أمور الجند. وانتقل هذا اللفظ عن طريق الدولة الفاطمية والدولة النورية إلى الدولة الأيوبية ثم الدولة المملوكية. (الألقاب الإسلامية: ١٥٧).
- (٥) في المقيزي: «ومن سواهما من الأمرء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث واثنتان اثنتان وواحدة واحدة».
- (٦) الديبقي: نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التي كانت تصنع في ديبق، وهي بلدة مصرية قديمة زالت. وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس، وموضعها اليوم تل ديبق في الشمال الشرقي لقرية «صا الحجر» وعلى بعد ٥٥٠٠ م منها بمركز فاقوس. (م. رمزي - طبعة دار الكتب المصرية).
- (٧) في الأصل: «السيريرية». وما أثبتناه عن صبح الأعشى.

ثم يخرج من النقارات^(١) جمل خمسين^(٢) بغلاً على خمسين بغلاً، على كل بغل خمس مثل الكوسات^(٣) يقال لها طبول. قلت: ولها حس مستحسن. ويسيرون في المواكب ثلاثاً^(٤). ثم يخرج لقوم متطوعين ليس لهم جراية ولا نفقة، وعدتهم مائة رجل، لكل واحد درقة من درق اللمط^(٥) واسعة وسيف؛ ويسيرون رجالة. هذا ما يخرج من خزائن السلاح.

ثم يحضر حامي خزائن السروج، وهو من الأستاذين^(٦) المحنكين، إليها مع مشارفها^(٧) وهو من الشهود المعدلين^(٨)، فيخرج منها من^(٩) خاص الخليفة من الركاب المحلّي ما هو برسم ركوبه، وما يُجنب في الموكب مائة سرج تُشدّ على عدّة حصن. ويقال: كل مركب مصوغ من ذهب وفضة، أو من ذهب منزّل فيه المينا،

(١) النقارات: واحدتها نقارة، وكانت تحمل في ركاب السلاطين إلى الحرب فتستخدم في إصدار الأوامر وفي الإيذان ببدء القتال. (صبح الأعشى: ٤٧١/٣، ومعجم دوزي).

(٢) في المقرئ وصبح الأعشى: «حمل عشرين بغلاً على كل بغل ثلاث... إلخ».

(٣) الكوسات: صنوج من نحاس تشبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ويتولى ذلك الكوسي. (الصباح: ١٣٦/٢، وزبدة كشف الممالك: ١١٣).

(٤) في المقرئ وصبح الأعشى: «يسيرون في المواكب اثنين اثنين».

(٥) اللمط: اسم لبقيلة من البربر بأقصى الغرب، ينسب إليها الدرق، لأنهم ينقعون الجلود في الحليب سنة فيعملونها فينبو عنها السيف القاطع.

(٦) الأستاذون: هم المعروفون بالحدّام والطواشية، وكان لهم في دولتهم المكانة الجليلة، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة، وأجلهم المحنكون، وهم الذين يدورون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة، وهم أقربهم إليه وأخصهم به. وقد ذكر صاحب صبح الأعشى لهم عدّة وظائف، منها: شدّ تاج الخليفة، وتولي أمر المجلس الذي يجلس فيه الخليفة، وحمل رسائل الخليفة إلى الوزير، وغير ذلك.

(٧) المشارف: عمله طلب التفاصيل الكاملة عن أية جهة من الجهات الضريبية التي تقع في دائرة عمله، ويدخل في عهده جمع المتحصلات المالية بعد ختمها. (قوانين الدواوين: ٣٠٢، ونهاية الأرب: ٣٠٤/٨) - وهو هنا بمعنى المشرف والمفتش.

(٨) الشهود المعدلون: وظيفتهم من الوظائف الدينية مثل وكالة بيت المال والمحاسب وحضور مجلس القاضي. فإذا جلس القاضي بالمجلس جلس هؤلاء الشهود حواله بمنّة ويسرة على مراتبهم في تقدّم تعديليهم، فيجلس الشاب المتقدم التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل. وكان من مصطلحهم ألا يعدّل شاهد إلا بأمر الخليفة. (راجع صبح الأعشى في أرباب الوظائف الدينية ج ٣ ص ٤٨٦).

(٩) في المقرئ: «منها برسم خاص الخليفة».

وروادفها وقرايسها من نسبتها. ومنها مرصع بحَبّ اللؤلؤ الفائق. والخيّل مطوّقة بأعناق الذهب وقلائد العنبر، وفي أيدي أكثرها خلاخل مُسطّحة بالذهب، ومكان النجلد من السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان المنقوشة؛ قيمة كلّ دابّة وما عليها ألف دينار. فيُشرف الوزيرُ منها بعشرة لركوبه وأولاده ومن يشاء من أقاربه. ويتسلّم ذلك كلّ عرّاء^(١) الإصطبلات.

ثم يخرج من الخزانة أيضاً لأرباب الدواوين المرتّبين في الخدم مراكب على مقدارهم، عليها من العُدّة دون ما^(٢) تقدّم ذكرهم، وعدّتهم ثلاثمائة خيل وبغال. ثم يُتدب حاجب يفرّق لأرباب الخدم كلّ واحد سيفاً وقلماً؛ فيحضّر سحر اليوم المذكور إلى منازل أرباب الخدم بالقاهرة ومصر، ولهم رسوم من الرّكاب من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار. فإذا تكمّل ما وصفنا وتسلمه أربابه من العُرّاء يجلس^(٣) الخليفة في الشباك لعرض الخيل الخاصّ المقدم ذكرها، ويقال له يوم عرض الخيل، فيُستدعى الوزيرُ بصاحب الرسالة، وهو من كبار الأستاذين المُحنّكين، فيمضي مسرعاً على حصان دَهْرَاج^(٤)، فيعود ويُعلم بأستدعاء الوزير؛ فيخرج الخليفة من مكانه راكباً في القصر والناس بين يديه مشاةً، فينزل بـ«السّدِيل»^(٥) بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك، وعليه سِتْرٌ، فيقف

(١) كان لفظ «العرّيف» بمصر يعبر عنه بالخاشع؛ وهو الذي يتولى أمر التعريف بأهل الذمة وكل ما يتعلق بإحصائهم من مواليد ووفيات ومسافرين وغير ذلك. (انظر صبح الأعشى: ٣٦٢/١٤) ومن هنا نستطيع القول إن مهمة عرّاء الاصطبلات كانت إحصاء ما يدخل إليها وما يخرج منها من دواب ومتعلقاتها وتسجيل ذلك. وهي شبيهة في أيامنا بوظيفة أمين مستودع.

(٢) كذا في الأصل. وفي المقرئ: «دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلاثمائة مركب على خيل... إلخ».

(٣) في الأصل: «ثم يجلس».

(٤) حصان دهرّاج: سريع السير.

(٥) في الأصل: «يمكن لا» وما أثبتناه عن المقرئ: «صبح الأعشى». وجاء رسمه في الصبح «السّدِيل». والأرجح لدينا أنهم اشتقوا هذا اللفظ من فعل «سَدَل». ولعله مكان يجلس فيه الخليفة لمشاهدة العرض، ويكون قبل بدء العرض محجوباً عن الناس بستارة مسدلة، كما سيأتي بعد قليل. ولعل اللفظ الأنسب الصحيح لغوياً هو: السّدِيل، وهو ما أسبل على الهودج، أو هو ستر حَجَلَة المرأة. فتأمل.

زمام^(١) القصر من جانبه الأيمن وصاحب بيت المال^(٢) من جانبه الأيسر. فيركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء. فيترجل الأمراء من باب القصر والوزير راكب، ويدخل من باب العيد في هذا اليوم، وينزل عند أول الدّهاليز الطّوال، ويمشي وحوله حاشيته وأقاربه إلى الشباك، فيجلس على كرسيّ جيّد ورجلاه تطلّ الأرض. فعندما يجلس يرفع الأستاذان جانبي الستر الذي^(٣) على الخليفة. فإذا رأى الوزير الخليفة وقف وسلّم وخدّم بيده إلى الأرض خمس^(٤) مرّات. ثم يؤذّن له في الجلوس على كرسيه، ويقرأ القراء آياتٍ لائقة بذلك الحال نصف ساعة. ثم تُعرض الخيول كالعرائس بأيدي شدّاديهما، فيقرأ القراء عند تمام العرض ويُرّخي جنبات الستر. ويقوم الوزير فيدخل ويقبل يد الخليفة ورجله؛ ثم ينصرف فيركب من مكان نزوله والأمراء في ركابه ركبناً ومُشاةً إلى قريب من داره. فإذا صلى الإمام الظهر جلس الخليفة لعرض ما يلبسه في الغد من خزائن الكسوة الخاصة، ويكون لباسه البياض، فيُعين منديلاً خاصاً وبدلة. ويتسلّم المندبل شاذّ التاج الشريف، ويقال له شدّ^(٥) الوقار، وهو من الأستاذين المحنكين وله مِيزة، فيشدّها شدّة غريبة لا يعرفها سواه، شكل الإهليلجة. ثم يُحضّر إليه اليتيمة، وهي جوهرة عظيمة لا تُعرف لها قيمة، فتتظم وحولها ما هودونها من الجواهر؛ وهي موضوعة في هلال من ياقوت أحمر

(١) زمام القصر: من وظائف الأستاذين المحنكين. وهو الذي يتولى إدارة خدم القصر والإشراف على أعمالهم. (صبح الأعشى: ٤٨١/٣، ٤٨٥، ٥٠٩، ٥٢١).

(٢) صاحب بيت المال: هي أيضاً من وظائف الأستاذين المحنكين في العصر الفاطمي. وهو بمثابة الخازن دار في العصر المملوكي. (الصباح: ٤٨١، ٥٢١).

(٣) في المقرئ وصبح الأعشى: «يرفع الأستاذان جانبي الستر فيرى الخليفة جالساً على مرتبة عظيمة».

(٤) في المقرئ: «ثلاث مرّات».

(٥) كذا بالأصل. وفي المقرئ وصبح الأعشى: «شدّة الوقار» وهو الصواب. وشدّة الوقار هي التاج يركب به الخليفة في الموكب العظيم مكان العمامة. ويكون المندبل الذي يعمل منه شدّة الوقار من لون ليس الخليفة. وتكون مرصعة بغالي الياقوت والزمرد والجوهر. (صبح الأعشى: ٤٦٨/٣، ٤٨٠. وخطط المقرئ: ٤٣٦/١. ونصوص من أخبار مصر لابن المأمون: ٧٥) ولفظ «الشاد» المستعمل هنا هو من فعل «شدّ» والمراد به الذي يشدّ ويربط أو يلفّ. وهو غير معنى (الشاد = المفتش)، فيقال: شاد الجوالي، وشاد الأوقاف وشاد الدواوين... إلخ. ومهمته التفتيش والإشراف والتحدث على أمور المجال المحدد له. (انظر: Demombynes: La Syrie à l'époque des mamlouks, Index III).

ليس له مثال في الدنيا، زنته أحد عشر مثقالاً، وقيل أكثر، يقال له الحافر، فتنظم في خرقة حرير أحسن ما يمكن من الوضع، ويخاط على^(١) التاج بخياطة خفيفة، فيكون ذلك بأعلى جبهة الخليفة، وبدائرها قصب الزمرد الدُّبابي^(٢) العظيم القدر.

ثم يؤمر بشدّ المِظلة التي تشاكل تلك البدلة، وهي اثنا عشر شوزكاً، عرض أسفل كلّ شوزك شبر وطوله ثلاث أذرع وثلاث؛ وآخر الشوزك من فوق دقيق جداً. فيجتمع ما بين الشوازيك في رأس عمودها دائرة^(٣). والعمود من الزان ملبس بأنايب الذهب^(٤). وفي آخر أنبوبة تلي الرأس فلكة^(٥) بارزة قدر عرض إبهام. فيشدّ آخر الشوازيك في حلقة ذهب. وللمِظلة أضلاع من خشب الخَلنج^(٦) مربعات مكسوة بالذهب على عدد الشوازيك خفاف بطول الشوازيك. وفيها خطاطيف لطاف، وجِلَق يُمسك بعضها بعضاً تنضمّ وتفتح، ورأسها كالرمانة، ويعلوه أيضاً رمانة صغيرة كلها ذهب مرصّع بجوهر، ولها رفرف دائر عرضه أكثر من شبر ونصف، وتحت الرمانة عُنق مقدار ست^(٧) أصابع. فإذا أدخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر الشوازيك في رأس العمود ركبت عليها الرمانة ولُفّت في عَرْضِي^(٨) دَبِيقِي مذهب، فلا يكشفها منه إلّا حاملها عند تسليمها وقت الركوب.

ثمّ يؤمر بشدّ لواءي الحمد المختصين بالخليفة، وهما رمحان [طويلان ملبّسان بمثل أنايب عمود المِظلة إلى حدّ نصفهما]^(٩) برأسهما لواءان من حرير

(١) في المقرئ: «ويحيطها شاد التاج بخياطة خفيفة فتكون بأعلى... إلخ».

(٢) سمي بالذبابي لقرب لونه من لون الذباب الكبير المائل إلى الخضرة.

(٣) في المقرئ والصبح: «بدائرة».

(٤) في الأصل: «ملبوس بالأنايب الذهب في آخر الأنبوبة فلكة» وما أثبتناه عن المقرئ.

(٥) الفلكة: قطعة مستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلى العمود. وغالباً ما تستعمل في المغزل.

(٦) الخلنج: شجر بين صفرة وحمرة يكون بأطراف الهند والصين تتخذ منه الأواني. فارسيّ معرب.

(٧) في المقرئ: «يكون مقداره ثلاث أصابع».

(٨) في المقرئ: «في عرض ويقي». والعَرْضِي: نوع من الثياب والقماش؛ عراقية مولدة. (معجم متن اللغة).

(٩) ما بين القوسين هو عبارة المقرئ. وفي الأصل: «طوال ملبس عليهما مثل عمود المِظلة برأسهما... إلخ».

أبيض مرقومان بالذهب ملفوفان على رماحهما، ويُخَرَّجان بخروج المِظْلَة، فيحملهما أميران.

ثم يخرج إحدى وعشرون راية لطيفة من حرير مرقوم، ملوّنة بكتابة^(١) في كلّ واحدة بما يخالف لونها [ونص كتابتها]^(٢): ﴿نَصْرُ مِنَ اللَّهِ وَقَتَحُ قَرِيبٌ﴾. طُولُ كُلِّ راية ذراعان في ذراع ونصف، فتسلّم لواحد وعشرين رجلاً.

ثم يخرج رمحان في رؤوسهما أهْلَة من ذهب في كلّ واحد سَبْع من ديباج أحمر وأصفر، وفي فمه طارة^(٣) مستديرة، يدخل فيها الريح فيفتحان فيظهر شكلهما، ويتسلمهما فارسان يسيران أمام الرايات.

ثم يخرج السيف الخاصّ، وجليته [ذهب]^(٤) مرصّعة بالجواهر، في خريطة مرقومة بالذهب، لا يظهر سوى رأسه، فيخرج مع المِظْلَة، وحامله أمير، عظيم القدر، وهو أكبر حامل.

ثم يخرج الرمح، وهورمح لطيف، في غلاف منظوم من لؤلؤ، وله سنان مختصر بحلية ذهب [وله شخص مختص بحمله]^(٥). ودَرَقَة بكوامخ^(٦) ذهب وسبعة، تنسب إلى حمزة بن عبد المطلب، في غِشاء حرير، فيحملها^(٧) أمير مميّز له جلالة. ثم يعلم الناس سلوك الموكب. والموكب ذورتان؛ إحداهما كبرى، وهي من باب القصر إلى باب النصر، ماراً إلى الحوض، حوض^(٨) عز الملك. ثم

(١) في الأصل: «يكتب».

(٢) زيادة عن المقرئ.

(٣) في الأصل: «طائرة». والتصويب عن المقرئ وصبح الأعشى.

(٤) الزيادة عن المقرئ.

(٥) زيادة عن صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٣).

(٦) راجع ص ٨٤، حاشية (٩).

(٧) في الأصل: «فيحملها».

(٨) حوض عز الملك: كان هذا الحوض خارج باب النصر قريباً منه، وقد محيت آثاره، كما يؤخذ من صبح

الأعشى (ج ٣ ص ٥٠٨).

ينعطف على اليسار إلى باب الفتوح إلى القصر. والأخرى هي الصغرى، إذا خرج من باب النصر سار حول السور ودخل من باب الفتوح إلى القصر. فكان إذا ركب ساروا بين يديه بغير اختلال ولا تبديل. فإذا أصبح الصباح يوم غرة العام اجتمع أرباب الرتب من القاهرة ومصر وأرباب السيوف والأقلام، فصفوا بين القصرين، ولم يكن فيه بناء كالיום بل كان خلاء. ويُبكر الأمراء إلى دار الوزير؛ فيركب الوزير من غير استدعاء، ويسير أمامه تشریفه المقدم ذكره^(١)، والأمراء بين يديه رُكَّاباً ومُشاة، وأمامه بنوه وإخوته، وكلّ منهم يُرخي الذّوابة بغير حنك^(٢)؛ وهو في أُبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمندبل بالحنك، متقلداً سيفاً مذهّباً؛ فيدخل أهله عند القصر في أخصّ مكان لا يصل الأمراء إليه؛ ويدخل الوزير من باب القصر راكباً وحده إلى دهليز العمود، فينزل على مصطبة هناك ويمشي إلى القاعة^(٣) ويجلس بها. فإذا دخلت الذّابة لركوب الخليفة وأسندت إلى الكرسي^(٤) الذي يركب عليه الخليفة من باب المجلس أخرجت المظلة إلى حاملها، فيكشفها بإعانة جماعة من الصقالبة برسم خدمتها، فيركزها في آلة من حديد متخذة شكل القرن المصطحب^(٥)، وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأکید بعقبها، فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب لا يضطرب في ريح عاصف.

ثم يخرج السيف فيتسلّمه حامله، [فإذا تسلّمه أرخى ذؤابته، فلا تزال مرخاة]^(٦) ما دام حاملاً له.

(١) يلاحظ أنه لم يتقدم له ذكر فيما ذكر المؤلف. ولعل المؤلف نقل هذا الجزء من كلام المقرئ الذي تقدّم للتشريف ذكر فيه، فأنثت كلمتي «المقدم ذكره» سهواً.

(٢) أي من غير أن يلفّ الذّوابة من تحت حنكه. واللفظ من استعمال ذلك العصر.

(٣) عبارة القلقشندي في الصباح: «وعشي حتى يصل إلى مقطع الوزارة بقاعة الذهب».

(٤) عبارة القلقشندي أوضح؛ وهي: «ويدخل فرس الخليفة إلى باب المجلس الذي هو فيه، وعلى باب المجلس كرسي يركب من عليه...».

(٥) كذا أيضاً في صبح الأعشى. ولم نتبين مراده.

(٦) بين معقوفين هي عبارة القلقشندي. وعبارة الأصل: «... حامله، ويرخي له دابة... حامله له، وهو تحريف».

ثم تخرج الدواة فيتسلّمها حاملها، وهو من الأستاذين المحنّكين، وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان، وهي من الذهب، وحليتها من المرّجان، تلفّ في منديل شرب بياض مذهب. وفيها يقول بعض الشعراء: [الطويل]

أَلَيْنَ لِدَاوَدَ الْحَدِيدُ كَرَامَةً فَقَدَرَهُ فِي السُّرْدِ كَيْفَ يُرِيدُ
وَلَا نَ^(١) لَكَ الْمَرْجَانُ وَهُوَ حَجَارَةٌ عَلَى أَنَّهُ صَعِبَ الْمَرَامُ شَدِيدُ

ثم يخرج الوزير ومن معه وينضمّ إليه الأمراء، فيقف إلى جانب الدّابة، فيرفع صاحبُ [المجلس]^(٢) السُّتْرَ، فيخرج منه الخليفة بالهيئة المشروحة قبل تاريخه: من الثياب والمنديل الحامل للتيمة بأعلى جبهته، وهو محنّك مُرخى الذّوابة مما يلي جانبه الأيسر، متقلّد سيفاً عربياً^(٣) ويده قضيبُ المُلْك، وهو طول شبر ونصف، من عود مكسوّ بالذهب المرصّع بالجوهر؛ فيسلّم على الوزير قوم مرتّبون لذلك، ويسلّمون على أهله وعلى الأمراء بعدهم.

ثم يخرجون شيئاً بعد شيء إلى أن يبقى الوزير فيخرج بعدهم، ويركب ويقف قبالة باب القصر إلى أن يخرج الخليفة وحوله الأستاذون، ودأبته تمشي على بُسْط مفروشة خيفة أن تزلّق على الرُّخام. فعندما يقرب من الباب يضرب رجلٌ ببوق من ذهب لطيف معوّج الرأس، يقال له العربانة^(٤)، بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات، فتضرب أبواق الموكب وتنتشر المِظَلّة، ويخرج الخليفة من الباب فيقف مقدار ما يركب الأستاذون المحنّكون وأرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة.

ثم يسرون والمِظَلّة على يسار الخليفة وصاحبها يُبالغ ألا يزول عنه ظلّها، وصبيان الركاب، منهم جماعة كبيرة من الشكيحتين، وجماعة أخرى في عنق الدّابة، وجماعة أخرى في ركابه. فالأيمن مقدّم المقدّمين، وهو صاحب المِقْرعة التي

(١) في الأصل: «ألين لك» وما أثبتناه رواية المقرّبي.

(٢) زيادة عن المقرّبي وصبح الأعشى

(٣) في الأصل: «سيفاً غريباً». وفي المقرّبي: «السيف المغربي». وفي صبح الأعشى: «السيف العربي».

(٤) كذا في الأصل. وفي صبح الأعشى: «الغريبة». وفي المقرّبي: «الغريبة».

يُناولها [للخليفة ويتناولها منه]^(١)، ويؤدّي عن الخليفة الأوامر والنواهي مدة ركوبه.

ويسير^(٢) الموكب وبأوله أخلاط بعض العسكر، ثمّ الأماثل، ثمّ أرباب المناصب، ثمّ أرباب الأطواق، ثمّ الأستاذون المُحَنِّكون، ثمّ حاملا لواءي الحمد من الجانبين، ثمّ حامل الدّواة، وموضعها من حاملها بينه وبين قَرْبُوس السَّرج، ثمّ صاحب السيف وهما في الجانب الأيسر. وكلّ ممّن تقدّم ذكره بين العشرة والعشرين من أصحابه. وأهل الوزير من الجانب الأيمن بعد الأستاذين المُحَنِّكين؛ ثمّ الخليفة وحوله صبيان الرُّكاب المذكورة تفرقة^(٣) السلاح [فيهم]، وهم ما يزيد على ألف رجل، وعليهم المناديل الطّبقيات يتقلّدون بالسيوف، وأوساطهم مشدودة بمناديل، والسلاح مشهور بأيديهم، من جانبي الخليفة كالجنّاحين، وبينهم فُرجة لوجه الدّابة ليس فيها أحد. ويقرب من رأس الدّابة صقليّان مُحَمَّلان مِدْبَتَيْن، كلّ واحدة، كالنخلتين، لِمَا يَسْقُط من طائر وغيره؛ وهوسائر على تُؤدّة ورفق. وبطول^(٤) الموكب وإلى القاهرة راثع وعائد يَفْسَح الطرقات ويُسير الفُرسان، فيلقى في عوده الإسْفَهْسَالار كذلك^(٥) في حثّ الأجناد في الحركة وينكر على المزاحمين؛ ويلقى أيضاً في عوده صاحب الباب بمن في زُمرة الخليفة إلى أن يصل إلى الإسْفَهْسَالار، فيعود لترتيب الموكب، ويبد كلّ منهم دُبُوس. وخلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه، وخلفهم أيضاً آخر يحمل كلّ واحد سيفاً في خريطة ديباج أحمر وأصفر بشراريب، يقال لها «سيوف الدم» لضرب الأعناق. ثمّ صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات [المقدم ذكرهم]^(٦) أولاً.

(١) زيادة عن صبح الأعشى.

(٢) عبارة المقرئ في هذا الموضع: «ويسير الموكب بالحثّ، فأوله فروع الأمراء وأولادهم، وأخلاط بعض العسكر الأماثل إلى أرباب القضب إلى أرباب الأطواق... إلخ». قارن أيضاً بصبح الأعشى:

٥٨٠/٣

(٣) في الأصل: «المذكورة بفرقة السلاح». والتصويب والتكملة عن المقرئ.

(٤) في الأصل: «ويطول الموكب ووالي القاهرة راثعاً وعائداً».

(٥) أي راثعاً وعائداً.

(٦) التكملة عن المقرئ.

ثم يأتي الوزير وفي ركابه قومٌ من أصحابه وقوم يقال لهم صبيان الزرد من أقوياء الأجناد، يختارهم^(١) لنفسه نحو من خمسمائة رجل من جانيه، كأنه على قلق من حراسة الخليفة، ويجتهد ألا يغيب عن نظره^(٢)، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير، بحيث تُدَوِّي منهم الدنيا في عدد كثير. ثم يأتي حامل الدُرقة والرمح. ثم طوائف الرجال^(٣) من الركابية والجيشية وقبلهما المصامدة^(٤)، ثم الفرنجية^(٥)، ثم الوزيرية زُمرة بعد زُمرة في عدد وافر يزيد على أربعة آلاف نفر، ثم أصحاب الرايات، ثم طوائف العساكر من الأمرية والحافظية والحجرية الكبار والحجرية الصغار والصقلية^(٦)، ثم الأتراك المصطنعون^(٧)، ثم الديلم، ثم الأكراد والغز

(١) كذا في صبح الأعشى والمقريزي. وفي الأصل: «باختياره لنفسه».

(٢) في الأصل: «عن نصره» والتصحيح عن المقريزي وصبح الأعشى.

(٣) في الأصل: «الأراجل» وفي المقريزي وطبعة دار الكتب المصرية: «طوائف الرجال». وما أثبتناه عن

صبح الأعشى. والمقصود بهم طوائف الأجناد. قال القلقشندي في الصبح: ٤٧٨/٣: «وكانوا عدة

كثيرة، تنسب كل طائفة منهم إلى من بقي من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين، كالحافظية والأمرية من

بقايا الحافظ والأمير، أو إلى من بقي من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجيشية والأفضلية، من بقايا

أمير الجيوش بدر الجمالي وولده الأفضل، أو إلى من هي منتسبة إليه في الوقت الحاضر كالوزيرية [وتنسب

إلى الوزير يعقوب بن كلس، وهو أول من أنشأ فرقة من الجيش تنسب إلى الوزراء] أو غير ذلك من

القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والديلم والمصامدة، أو من المصطنعين كالروم والفرنج

والصقالبة، أو من السودان من عبيد الشراء، أو العتقاء وغيرهم من الطوائف. ولكل طائفة منهم قواد

ومقدمون يحكمون عليهم». انظر أيضاً الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ١٧١ - ١٨٤.

(٤) هذه الفرقة من الجيش أنشأها المأمون البطاحي وزير الأمر كحرس خاص به عرفت بطائفة المصامدة

جعل على رأسهم عبد الله المصمودي. واختط المأمون لهم حارة عرفت بحارة المصامدة. ويذكر

القلقشندي أنهم من البربر الذين قدم آبائهم مع المعز من المغرب. (الوزارة والوزراء: ١٧٩).

(٥) كذا أيضاً في المقريزي وصبح الأعشى. ولم نجد من تكلم على أصلهم وإلى من يتسبون. وإذا صححت

التسمية فلعلهم «من الروم والفرنج والصقالبة المصطنعين» كما مر معنا في الحاشية (٣) نقلاً عن

القلقشندي. وذكر المسبحي في الجزء الأربعين من تاريخه، ص ٨٠، طائفة تسمى «الفرجية» وهم من

السودان، وكانوا يسرون في المواكب بالطبول. فتأمل.

(٦) كذا بالأصل. ولعل الصواب: «الصقلية» أي الصقالبة. والصقالبة هم «السلاف» Slaves وهم

الشعوب القاطنة بين جبال أورال والبحر الأدرياتيكي في أوروبا الشرقية والوسطى. ويطلق أيضاً على

جماعة من العبيد المحبذين في الخدمة العسكرية. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ص ١٧١).

(٧) في الأصل: «ثم الأتراك المصريين» وهو تحريف. وما أثبتناه عن المقريزي وصبح الأعشى.

المصطنعة وهم البحرية. ويقدم هذه الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسي اليد وقسي الرجل في ثيف وخمسمائة نفر، وهم المعدون للأساطيل، وجملتهم نحو ثلاثة آلاف وأكثر. وهؤلاء الذين ذكرناهم بعض من كل لا جميع عسكر الخليفة. ثم يدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين كما كانوا.

فإذا وصل الخليفة إلى موضع جامع الأقرم الآن وقف وقفة وأنفجر الموكب، فيمر الموكب بالخليفة، ويسكع^(١) الوزير ليظهر للناس خدمته، ويشير إليه الخليفة بالسلام إشارة خفيفة؛ وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة، وهي للوزير صاحب السيف خاصة؛ فيسبق إذاً لدخول الباب بالقصر راكباً إلى موضعه على العادة، خاصة له، والأمراء مشاة. فيصل الخليفة إلى الباب وقد ترجل الوزير وقبله الأستاذون المحنكون، فيحدقون به، والوزير أمام الدابة إلى أن ينزل الخليفة؛ فيخرج الوزير ويركب من مكانه، والأمراء في خدمته وأقاربه بين يديه، فيسيرون إلى داره فيسلمون وينصرفون إلى أماكنهم، فيجدون قد أحضر إليهم المقرر من الخليفة، يأمر بضرب دنانير ورباعية^(٢) ودراهم في العشر الأخير من ذي الحجة، عليها تاريخ السنة التي ركب فيها؛ فيحمل للوزير منها شيء كثير وإلى أولاده وأقاربه، ثم إلى أرباب الرتب من أرباب السيوف والأقلام، من عشرة دنانير إلى رباعي إلى قيراط وإلى دينار واحد، فيقبلون ذلك تبركاً.

ولا ينقطع الركوب من أول العام إلا متى شاء^(٣)، ولا يتعدى ما ذكرناه في

(١) «سكع» في اللغة معناها: مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ طريقه. وليس هذا المعنى هو المراد هنا. وأحسب أنه من استعمال العامة لكلمني «سكع» و«سك» بمعنى إذا نثي ساقيه ووقف على ركبتيه خاشعاً. (انظر معجم متن اللغة: مادة «سكع» والحاشية للمؤلف).

(٢) عبارة القلقشندي: «فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الغرة: وهي دنانير رباعية ودراهم خفاف مدورة... إلخ». قلت: وهذا النوع من الإصدارات يشبه إلى حد بعيد ما يعمل في أيامنا من إصدار قطع نقدية أو طوابع بريدية خاصة في مناسبات معينة وبكميات محدودة.

(٣) كذا في الأصل. وعبارة صبح الأعشى في هذا الموضوع: «من مواكبهم المراكب المختصرة في أثناء السنة، وهي أربعة أيام أو خمسة فيها بين أول العام ورمضان، ولا يتعدى ذلك يومي السبت والثلاثاء، فإذا عزم... إلخ». صبح الأعشى: ٥١٧/٣.

يومي السبت والثلاثاء. فإذا عزم على الركوب في هذه الأيام أعلم بذلك، وعلامته إنفاق الأسلحة في صبيان الركاب من خزائن السلاح. وكان أكثر ركوبه إلى مصر: فإذا ركب ركب الوزير وراء الخليفة في أقلّ جمع مما تقدّم ذكره في ركوب أول العام. فيشقّ الخليفة القاهرة إلى جامع أحمد بن طولون إلى المشاهد^(١) إلى درب^(٢) الصّفاء، ويقال له الشارع الأعظم، إلى دار الأنماط^(٣) إلى جامع مصر، فيجد ببابه الشريف الخطيب واقفاً على مصطبة فيها محراب مفروش بحصير معلق عليه سجادة، وفي يده مصحف – يقال إنه بخط عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه – وهو من حاصله^(٤)، فيناول الشريف الخليفة المصحف فيأخذه ويقبله ويتبارك به، ويعطيه صاحب الخريطة المقرّر^(٥) للصلاة ثلاثين ديناراً، وهي رسمه كلّما مرّ به الخليفة، فيعطيه الشريف إلى مشارف الجامع، فيأخذ منها أربعة عشر ديناراً، ويفرق الباقي على القامة^(٦) والمؤذنين خاصة.

ثمّ يسير الخليفة إلى دار الملك^(٧)، فينزلها والوزير معه؛ وكلّما مرّ من القصر إلى دار الملك بمسجد أعطى قيمه ديناراً. ثمّ تأتي المائدة من القصر وعدّتها

(١) يريد بالمشاهد الأماكن التي كان الناس ولا يزالون يتركون بزيارتها كمشهد زين العابدين ومشهد السيدة نفيسة ومشهد السيدة أم كلثوم رضوان الله عليهم.

(٢) انظر عن درب الصفا: خطط المقرئزي: ٣٤٧/١، والاتصار لابن دقماق: ٢٨/٤.

(٣) دار الأنماط، وتعرف بدار الحصر: كانت خطة أبي ذرّ جنذب بن جنادة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ، ثم آلت لعبد العزيز بن مروان فوهبها لابنه سهيل. (راجع ابن دقماق ج ٤ ص ٢٧) وفي الأصل: «دار الماط».

(٤) كذا في الأصل. ولعلها محرفة عن كلمة «من حامله».

(٥) في الأصل: «صاحب الخريطة المقررة للصلاة». وعبارة صبح الأعشى: «ويأمر له بعتاء يفرق على أهل الجامع».

(٦) القامة: جمع قيم. والقامة: جماعة الناس كالقوم: السادة. وفي الأصل: «على القومة».

(٧) دار الملك: كانت من جملة مناظر الفاطميين، أنشأها الأفضل ابن أمير الجيوش؛ ابتداءً في بنائها وإنشائها في سنة إحدى وخمسمائة، فلما كملت تحوّل إليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحوّل إليها الدواوين من القصر. وكانت دار الملك واقعة على شاطئ النيل في آخر عمارة مصر القديمة بجوار المدرسة المعزية التي أنشأها فيما بعد الملك المعز أليك التركماني في سنة ٦٥٤هـ خارج حدود دار الملك. وهذه المدرسة لم يزل مكانها معروفاً، حيث محلها اليوم جامع عابدي بك الشهير بجامع الشيخ رويش في آخر شارع مصر القديمة من الجهة القبلية على النيل. =

خمسون شدة^(١) على رؤوس الفرّاشين مع صاحب المائدة، وهو أستاذ جليل إلا أنه ليس بمحنك؛ وفي كلّ شدة طَيَّفُور^(٢)، فيه الأواني الخاصّة، فيها من الأطعمة الخاصّة من كلّ نوع شهيّ وكلّ صنف من المطاعم العالية، وله روائح عِبة مسك^(٣) أرخية، وعلى كلّ شدة طرحة حرير تعلو الشدة. فيحمل الخليفة إلى الوزير منها جزءاً وافراً، ويُعطي الأمراء ومن حضر، ثم يُوصل إلى أهل مصر من ذلك كثيراً من الفضلات.

ثمّ يصلي الخليفة العصر ويتحرّك إلى العود، والناس في الطريق جلوساً لنظره. وزيّه في هذه الأيام لبس الثياب البياض المذهبة والملونة، وهي العمامة، والمنديل مشدود، وشدّته مفردة عن شدّات الرعيّة، وذؤابته تقرب من الجانب الأيسر؛ ويتقلّد السيف العربيّ^(٤) المجوهر بغير حنك ولا مِظلة ولا يتيمة؛ ولذلك أوقات مخصوصة، فلا يمرّ بمسجد في طريقه إلاّ ويُعطي قيمه ديناراً، كما جرى في الرّواح. وينعطف من [باب]^(٥) الخرق، فيدخل من بابي زويلة، ويشقّ القاهرة إلى

= وموضع دار الملك الآن مجموعة المباني المجاورة للجامع المذكور التي من ضمنها قسم بوليس مصر القديمة ومكتب التلغراف والكنيسة الإنجليزية والوكالة ووقف أبي رابية وجامع أبي رابية وغيرها. وأما دار القباب (التي وردت في هذه الحاشية) فكانت واقعة تجاه القصر الكبير من الجهة الشرقية، ويفصل بينها رجة باب العيد. وقد جدّد هذه الدار الأفاضل ابن أمير الجيوش وسماها دار الوزارة الكبرى. وموضعها اليوم المنطقة التي تحدّ من الغرب بشارع الجمالية، ومن الجنوب والشرق بحارة المبيضة (وهي التي تعرف في مصلحة التنظيم خطأ باسم حارة الهبيضة) ومن الشمال عطفة الجوانية بقسم الجمالية. ومن ضمن مباني هذه المنطقة مدرسة الجمالية الأميرية (المدرسة القراسنقرية) وجامع بيبرس الجاشنكير والوكالة ووقف السلحدار الشهيرة باسم حوش عطى (م. رمزي). راجع المقرّبي (ج ١ ص ٤٣٨ و ٤٤٥ و ٤٨٣).

(١) كذا في المقرّبي. وفي الأصل: «سنة» بالسّين المهملة.

(٢) الطيفور: ج. طيافير. وهو عبارة عن مقعر عميق، قاعه مسطح وجوانبه مرتفعة باستقامة بنسبة ثلاث إلى أربع بوصات. (انظر معجم دوزي: Suppl. aux Dict. Ar. II, 48).

(٣) كذا في الأصل. والعبارة مضطربة. وعبارة المقرّبي: «... وفيها من الأطعمة الخاصّة من كلّ نوع شهيّ وكلّ صنف من المطاعم العالية، ولها رواء، ورائحة المسك فائحة منها. وعلى كلّ شدة... الخ».

(٤) في الأصل: «المغربي». راجع ص ٩٢، حاشية (٣).

(٥) زيادة عن المقرّبي. وكان باب الخرق هذا واقعاً على رأس شارع تحت الربع من الجهة الغربية، وقد استبدلت مصلحة التنظيم قديماً بكلمة «الخرق» لاستهجانها كلمة «الخلق» وأطلقت اسم باب الخلق على =

القصر. ويكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان؛ كما مرّ في أول العام. وكان إذا ركب في أول العام يكتب إلى ولاة الأعمال والنواب سجلات مخلقة^(١) يُذكر فيها ركوب الخليفة. وهذا كله سوى ركوبه في شهر رمضان إلى الخطبة، على ما سنذكر إن شاء الله تعالى.

ذكر ركوب الخليفة في يومي عيد الفطر والنحر

إذا تكملت عدة شهر رمضان، وهي عندهم أبداً ثلاثون يوماً، وتهيأت الأمور، كما تقدّم ذكره، ركب الخليفة بالمظلة واليتمية، ولبأه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة، وهي أجمل لباسهم؛ والمظلة أبداً زيتها^(٢) تابع لزي ثياب الخليفة. ويخرج الخليفة من باب العيد إلى المصلّى^(٣)، وعساكره وأجناده من الفرسان والرجالة زائدة على العادة موفورة العدد، فيقفون صفين من باب العيد إلى المصلّى. [ويكون صاحب بيت المال قد تقدّم على الرسم لفرش المصلّى، فيفرش الطراحات على رسمها في المحراب مطابقة؛ ويُعلّق سترين يمتنّ ويسرّة^(٤)، على الستر الأيمن «الفاتحة» و«سبح أسم ربك الأعلى»، وعلى الأيسر «الفاتحة» و«هل أتاك حديث الغاشية»؛ ويتركز في جانبي المصلّى لواءين مشدودين على رمحين قد

= الميدان الكبير الذي يقع وسط القاهرة ويشرف عليه اليوم ديوان محافظة مصر وسراي محكمة الاستئناف الأهلية ودار الآثار العربية ودار الكتب المصرية. (م. رمزي).

(١) أي مطيئة بالخلوق؛ وهو ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران والمسك.

(٢) المراد لونها.

(٣) وهو مصلّى العيد الذي كان يصلي فيه الخليفة في يومي عيد الفطر والنحر خارج باب النصر. وموضعه اليوم المقابر الواقعة في الزاوية التي تتلاقى فيها سكة قايتباي بشارع نجم الدين بجبانة باب النصر تجاه باب النصر، وعلى عین الخارج منه لجهة الشرق. (م. رمزي). وانظر وصفاً للمصلّى في صبح الأعشى: ٥٨٥/٣، طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) بين معقوفين هي عبارة المقرئ. وفي الأصل: «... ويقدم صاحب بيت المال لفرش المصلّى كما يفرش بالجامع الآتي ذكره، إلا أن الكتابة على الستر الأيمن... إلخ». قارن أيضاً بصبح الأعشى ببعض زيادات.

لُبَّست أنابيبهما من الفِضة، ويُرخيهما، فيدخل الخليفة من شرقي المصلى إلى مكان يستريح فيه قليلاً، ثم يخرج محفوظاً كما يخرج للجمعة، فيصلّي بالتكبيرات المسنونة والقوم من ورائه على ترتيبهم في صلاة الجمعة. ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة «سُبْحَ اسم ربك الأعلى»، وفي الأخرى «الغاشية»؛ ثم يصعد إلى ذروة المنبر وعليها طرّاحة سامان^(١) أو دَبِيقِي^(٢)، وباقى دَرَجَه مستورٌ بالأبيض. ويقف الوزير أسفل المنبر ومعه قاضي القضاة، وصاحبُ الباب^(٣)، [و] إسْفَهْسالار^(٤) العساكر، وصاحب السيف، وصاحبُ الرّسالة^(٥)، وزِمَامُ القصر^(٦)، وصاحبُ دفتر المجلس^(٧)، وصاحبُ المِظْلَة، وزِمَامُ^(٨) الأشراف الأقارب، وصاحبُ بيت المال، وحاملُ الرمح، ونقيبُ الأشراف الطالبين^(٩). فيشير الخليفة إلى الوزير فيصعد ويقبل رجله بحيث يراه الناس، ثم يقف على يمينه. ثم يُشير إلى القاضي فيصعد إلى سابع^(١٠) درجة، فيُشير إليه الخليفة فيُخرج من كُفّه دَرَجاً^(١١) أحضر إليه أسير من ديوان الإنشاء قد عُرض على الخليفة والوزير؛ فيقرؤه معلناً؛ وأوله البسملة

(١) نوع من الأقمشة الحريرية الثمينة المصنوعة في سامان، وهي محلة من محال أصفهان.

(٢) راجع ص ٨٥، حاشية (٦).

(٣) راجع ص ٨٥، حاشية (٢).

(٤) راجع ص ٨٥، حاشية (٤).

(٥) صاحب الرسالة: هو الذي يخرج رسالة الخليفة إلى الوزير وغيره.

(٦) راجع ص ٨٨، حاشية (١).

(٧) صاحب دفتر المجلس: هو المتحدث على الدواوين الجامعة لأمور الخلافة. وكان لصاحب الدفتر مائة دينار شهرياً، ويعتبر من حاشية الخليفة. ويكون من الأستاذين المحنكين. (صبح الأعشى: ٤٨١/٣، ٥٢١).

(٨) في الأصل: «وإمام الأشراف» والتصحيح عن المقرئ صبح الأعشى. وهو الذي يقوم بالإشراف على أعمال أقارب الخليفة، وكلّمته نافذة عليهم. (انظر صبح الأعشى: ٤٨١/٣، ٥٠٥، ٥٢١).

(٩) نقابة الأشراف الطالبين: كان يتولاها أحد شيوخ هذه الطائفة، ويكون جليل القدر، وله النظر في أمورهم ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء. وعليه أن يعود مرضاهم ويمشي في جنازتهم ويسعى في حوائجهم ويأخذ على يد المعتدي منهم، ولا يقطع أمراً من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم. وللنقيب الاهتمام بأولاد علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ. (انظر الصبح: ٢٧٣/٣، ٤٨١، ٤٨٢ و ٣٧/٤).

(١٠) كذا في المقرئ وصبح الأعشى. وفي الأصل: «ثاني درجة».

(١١) الدرج: هو الورق المستطيل، يكتب فيه ويلف. (صبح الأعشى: ١٣٨/١).

ويليها «ثَبَّتْ»^(١) بَمَنْ شُرِفَ بصعوده المنبر الشريف في يوم كذا من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين، صلواتُ الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، بعد صعود السيد الأجل... «ويذكر الوزير بألقابه ونعوته. ومرة يشرف الخليفة أحداً»^(٢) من أقارب الوزير، فيستدعيه القاضي. ثم يتلو^(٣) ذلك ذكرُ القاضي [وهو القاريء]^(٤) فلا يسع القاضي أن يقول نعوت نفسه بل يقول [المملوك]^(٥) فلان [بن فلان]^(٦). وقرأه [مرة]^(٧) أبْن [أبي]^(٨) عقيل القاضي فقال^(٩) عن نفسه: العبد الذليل، المعترف بالصنع الجميل، في المقام الجليل، أحمد بن عبد الرحمن بن [أبي]^(١٠) عقيل. أو غير ذلك بحسب ما يكون اسم القاضي. ثم يستدعي من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر، فيصعدون، وكلُّ له مقامٌ يَمْنَةُ أو يَسْرَةً؛ ثم يُشير إليهم الوزير فيأخذ كل واحد نصيباً من اللواء الذي يحاذيه، فيسترون الخليفة ويسترون؛ ثم يخطب الخليفة خطبةً بليغة. فإذا فرغ كشفوا ما بأيديهم من الألوية وينزلون أولاً بأول القَهْقَرَى. ثم ينزل الخليفة إلى مكانه الذي خرج منه، ويركب في زِيَّه المفخَّم إلى قريب من القصر؛ فيتقدّمه الوزير، كما ذكرنا، ويدخل من باب العيد، فيجلس في الشباك، وقد نُصِبَ منه إلى فسقية كانت في وسط الإيوان سِمَاطٌ طوله عشرون قصبة، عليه من الخُشْكَنان^(١١) والبِسْتَنْدُود^(١٢) والبرَماوَرْد^(١٣) مثل الجبل الشاهق،

(١) في الأصل: «بيت لمن» وهو تحريف. وما أثبتناه عن المقرئ وصبح الأعشى.

(٢) كذا في المقرئ. وفي الأصل: «أبدأ» وهو تحريف.

(٣) كذا في المقرئ. وفي الأصل: «ثم يتلو ذلك فإذا جاء ذكر القاضي... إلخ».

(٤) زيادة عن المقرئ.

(٥) في الأصل: «فقال من قال عن نفسه» ولا يستقيم الكلام به.

(٦) خشكان: ويعرف في مصر بالخشتان، وهو نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز أو بالفستق. والخشكان كلمة فارسية مكونة من «خَشْكَ» بمعنى الياس أو الجاف، و«نان» بمعنى الخبز. فهي لغوياً بمعنى الخبز الجاف. ولكنها أطلقت على نوع الحلوى الذي ذكرنا. (انظر تأصيل الدخيل: ٨٨).

(٧) البستندود، وأصله بالفارسية (بُسْتَنْدَة): طعام فارسي مصنوع من دقيق وبلح.

(٨) البرماورد والبرماورد: طعام يسمى لقمة القاضي وفخذ الست ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض.

وفيه^(١) كل قطعة منها ربع قنطار فما دون ذلك إلى رطل؛ فيدخل الناس فيأكلون ولا منع ولا حَجَر، فيمرّ ذلك بأيدي الناس؛ وليس هذا ممّا يُعتدّ به، بل يُفرّق إلى الناس، ويُحمل إلى دورهم. ونذكر مصروفها في ترجمة العزيز؛ فإنّه أوّل من رتبها في عيد الفطر خاصّة.

[ذكر سِمَاط العيدين]

وأما سِمَاط الطعام [ففي يوم عيد الفطر آثنتان: (٢) أولى وثانية، وفي عيد النحر مرّة واحدة. ويُعبّئ السّمَاط في الليل، وطوله ثلاثمائة ذراع في عرض سبع أذرع، وعليه من أنواع المأكّل أشياء كثيرة. فيحضّر إليه الوزير أوّل صلاة الفجر والخليفة جالس في الشبّاك، ومُكّنّت الناس منه فأحتملوا ونهبوا ما لا يأكلونه، ويبيعونه ويدخرونه. وهذا قبل صلاة العيد. فإذا فرغ من صلاة العيد مدّ السّمَاط المقدم ذكره فيؤكّل، ثم يمدّ سِمَاط ثانٍ من فضّة، يقال له المدوّرة، عليها أواني الفِضّة والذهب والصّيني، فيها من الأطعمة الخاصّ ما يُستَحى من ذكره. والسّمَاط بطول القاعة؛ وهو خشب مدهون شبه الدكك اللاطية، عرضه عشر أذرع. ويحطّ في وسط السّمَاط واحد وعشرون طبقاً في كلّ طبق واحد وعشرون خروفاً؛ ومن الدجاج ثلاثمائة وخمسون طائراً، ومن الفرائج مثلها، ومن فراخ الحمام مثلها. وتتّنع الحلوى أنواعاً؛ ثم يمدّ بخلل تلك الأطباق أصحن خزفيّات في جنّبات السّمَاط، في كلّ صحن تسع دجاجات في ألوان فائقة من الحلوى، والطّباهجة^(٣) المُفتّقة بالمسك الكثير. وعدّة الصّحون خمسمائة صحن، مرتّب كلّ ذلك أحسن ترتيب. ثم يُؤتّى بقصرين من حلوى قد عمّلا بدار الفِطْرة، زنة كلّ واحد سبعة عشر قنطاراً، فيمضى بواحد من طريق قصر الشوك^(٤) إلى باب الذهب، ويُشَقّ بالآخر من

(١) عبارة المقرئ: «وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار إلى رطل». وعبارة صبح الأعشى: «تفرّق الحلوى من ربع قنطار إلى عشرة أرتال إلى رطل واحد».

(٢) زيادة عن المقرئ.

(٣) الطّباهجة: اللحم المشرح المشوي. وقيل هو الكباب. واللفظ معرّب: «تباهة». انظر معجم متن اللغة.

(٤) في الأصل: «قصر الشرف». وما أثبتناه عن المقرئ.

الجانب^(١) الآخر، فيُنصبان أول السَّماط وآخره. ثم يخرجُ الخليفة راكباً فيُنزل على السرير الذي عليه المدوَّرة الفِضة، وعلى رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنَّكين، وأربعة من خواصَّ الفرَّاشين. ثم يستدعي الوزير فيجلس عن يمينه، والأمراء ومن دونهم [فيجلسون]^(٢) على السَّماط؛ فيتداول الناس السَّماط، ولا يُردُّ أحدٌ عنه حتَّى يذهبَ عن آخره؛ فلا يقوم الخليفة إلَّا^(٣) قريب الظهر. ثم يخرجُ الوزير ويذهب إلى داره؛ ويُعمَل سِماطٌ يقارب سِماط الخليفة. وهكذا يقعُ في عيد النحر في أول يوم منه. انتهى الركوب في عيد الفطر.

[ذكر ركوب عيد الأضحى]

وأما ركوب الخليفة في عيد الأضحى، فهو أيضاً بالزَّيِّ المقدم^(٤) ذكره والصلاة كذلك، إلَّا أنَّ الركوب يكون في أيَّام متتابعة، أولها يوم العيد إلى المصلى، ثم يركب ثاني يوم ثم ثالث يوم من باب الرِّيح، وهو في^(٥) ركن القصر، والباب مقابل سعيد السعداء؛ وكان الموضع المذكور فضاء لا عمارة فيه؛ فيخرج الخليفة من باب الرِّيح^(٦)، فيجد الوزير واقفاً فيمشي بين يديه إلى المنحر^(٧)،

(١) عبارة المقرئزي: «ويشق بالآخر بين القصرين».

(٢) زيادة عن المقرئزي.

(٣) في الأصل: «إلى قريب الظهر».

(٤) تقدم أنه كان يلبس البياض في ركوب عيد الفطر. أما القلقشندي فذكر أن لباس الخليفة في يوم عيد الأضحى هو الأحمر الموشَّح، ومظلتة كذلك.

(٥) في الأصل: «من ركن القصر» والتصحيح عن المقرئزي.

(٦) في الأصل: «من باب العيد». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية أخذاً عن سياق كلام المقرئزي وكلام المؤلف. وفي صبح الأعشى: «باب الفرج» قال: «يخرج من باب الفرج، وهو باب القصر الذي كان مسامتاً لدار سعيد السعداء التي هي الحانقاه الآن، فيجد الوزير راكباً... إلخ».

(٧) المنحر: هو الموضع الذي اتخذ الخلفاء الفاطميون لنحر الأضاحي في عيد الأضحى وعيد الغدير، وهو العيد الذي كانت تزوج فيه الأيامي وتفرق الهبات على كبار رجال الدولة وتنحرف فيه النحائر وتفرق على أرباب الرسوم وتعتق الرقاب وغير ذلك. وكان موضع المنحر أرض فضاء بالدرب الأصفر. (المقرئزي: ٤٣٥/١). وعمله اليوم مجموعة المباني الواقعة غربي جامع سعيد السعداء بين شارعي درب الأصفر والتبكيشية بقسم الجمالية. (م. رمزي).

فينحر فيه ما شاء الله أن ينحر، ويُعطى الرسوم. ورسوم الأضحى كرسوم ركوب الخليفة أول العام، ويُفرق الضحايا إلى المساجد وجوامع القاهرة وغيرها. فإذا أنقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التي كانت عليه، ومندلاً آخر بغير التيممة [و] العقد المنظوم عندما يطلع من المنحر؛ فيشق الوزير بذلك القاهرة إلى باب زويلة، ويسلك على الخليج إلى باب القنطرة؛ ويدخل دار الوزارة؛ فلذلك يُفضل عيد النحر على عيد الفطر لكونه يُخلع فيه على الوزير.

[ذكر الركوب لتخليق المقياس عند وفاء النيل]

وأما الركوب لفتح خليج السد^(١) عند وفاء النيل، فهو يضاهي ركوبهم في أول العام. نذكر منه على سبيل الاختصار نبذة يسيرة: ^(٢)

إذا كان ليالي الوفاء حُمِلَ إلى المقياس^(٣) من المطابخ نحو عشرة قناطير خبز، وعشرة خراف مشوية، وعشر جامات حلوى، وعشر شمعات، وتوجه القراء وأرباب الجوامع فيقرؤون تلك الليلة بجامع^(٤) المقياس حتى يكون الوفاء؛ فيهتم

(١) المراد لرفع السد الواقع عند فم الخليج يوم وفاء النيل في كل عام. والاحتفال بفتح الخليج (أو كسر الخليج) يكون في اليوم الثالث أو الرابع بعد التخليق.

(٢) انظر تفصيل ذلك في خطط المقرئ: ٤٧٠/١ - ٤٧٩، وصبح الأعشى: ٥٩٠/٣ - ٥٩٥ طبعة دار الكتب العلمية، ودراسات في التاريخ الإسلامي: ٧٨ - ٨٤، وسفرنامه لناصر خسرو: ص ٩٣ - ٩٧ وقد وصف احتفالاً شاهده بنفسه.

(٣) وهو المقياس الذي أمر بيناته الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧هـ بجزيرة الروضة في ولاية يزيد بن عبد الله على مصر، وهو المعمول به إلى أيام القلقشندي وأبي المحاسن (القرن التاسع الهجري) - صبح الأعشى: ٣٢٧/٣ - وهو المعمول به إلى أيامنا هذه (القرن العشرين الميلادي). دراسات في التاريخ الإسلامي: ٨٠.

(٤) كان هذا الجامع بقلعة الروضة في النهاية الجنوبية للجزيرة بجوار المقياس من الغرب. بناء بدر الجمالي بأمر الخليفة المستنصر الفاطمي في نحو سنة ٤٨٠هـ، وقد خربه الفرنسيون عند دخولهم مصر. وأزال آثاره حسن باشا المنسترلي وأنشأ بدله «السلامك» الخاص لجلوس الرجال بسراية بجوار المقياس من الجهة الغربية، وهوباق إلى الآن. (م. رمزي). أما علي مبارك فقد قال، بعد أن ذكر تخريبه على أيدي الفرنسيين: «وبقي متخرباً إلى أن جده المرحوم حسن باشا المنسترلي وجعله أصغر مما كان عليه وعرف به ودفن فيه؛ وشعائره مقامه من طرف ذريته إلى الآن، وبه ضريح وليّ يقال له عبد الرحمن بن عوف. (الخطط التوفيقية: ٢٧٩/٥).

الخليفة لذلك ويركب ويستدعي الوزير على العادة، ويسير بالزِّيَّ المقدّم من غير مِظَلَّة، وينزل بالصناعة^(١)؛ ثم يركب العشاري^(٢)، ويدخل البيت المذهب في العشاري، ومعه من شاء من المُحَنِّكين ولا تزيد عدّتهم على أربعة نفر. ويطلع إلى العشاري خواصّ الخليفة وخواصّ الوزير؛ وهم آثنان أو ثلاثة؛ والناس كلّهم فيه قيامٌ إلّا الوزير فإنّه يجلس. ثم يمرّ العشاري إلى المقياس؛ ثم تُساق أشياء من التّجمل يطول شرحها من جنس ركوبه أوّل العام^(٣). ثم يخرج بعد فراغه من تخليق^(٤)

(١) الصناعة: ويقال لها دار الصناعة، ومنها أخذ الترك كلمة «ترسانة»، وأخذ الفرنسيون كلمة «أرسنال». والصناعة هي المكان المخصص لإنشاء وتعمير جميع السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة، سواء أكانت حربية أم خاصة بركوب الخليفة أو الملك أو من المراكب التي تنقل الغلات السلطانية والأحطاب وغيرها. وأوّل دار أنشئت للصناعة بمصر في عهد العرب كانت بجزيرة الروضة على ساحلها الجنوبي الشرقي. وفي عهد الإخشيد نقلت إلى الشرق بساحل مصر. وكان الساحل في ذلك الوقت ينتهي إلى الطريق التي يمرّ فيها اليوم شارع الديورة شرقي فم الخليج حيث كان النيل يجري في عهد الدولة الإخشيدية تحت ذلك الشارع. وفي أوّل حكم الدولة الفاطمية نقلت دار الصناعة إلى المقس حيث كان النيل يجري في ميدان محطة مصر وبجوار جامع أولاد عنان. ثم أعيدت الصناعة في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي إلى محلها السابق بساحل مصر حيث شارع الديورة، وهو المكان الذي يشير إليه المؤلف في هذا الكتاب. ولما طرح البحر وتكوّنت أرض جديدة بين شارع الديورة وساحل النيل الحالي بقم الخليج نقلت الصناعة إلى ساحل مصر تجاه دار النحاس (دير النحاس) واستقرّت بها مدّة طويلة إلى أن نقلت إلى ساحل بولاق في عهد محمد علي الكبير باسم الترسانة (وبعضهم يقول الترسخانة وهو خطأ شائع). ولم تزل في ساحل بولاق إلى اليوم وتعرف باسم إدارة الورش الأميرية، وهي من الإدارات التابعة لوزارة الأشغال العمومية. (م. رمزي). وانظر القريري ج ٢ ص ١٨٩، ١٩٥ - ١٩٧.

(٢) العشاري: ويجمع على عشاريات (وهو اسم معرب) وهو نوع من المراكب يسير في النيل ويجر بعشرين مجدافاً، وهو من توابع الأسطول. ذكر القلقشندي أن منه نوعين: العشاريات اللطاف، والعشاريات الكبار، والمختص منه بالخليفة يعرف بالذهبي. وكان لبعض الأمراء عشاريات يركبونها في نزاهتهم في النيل، وخاصة عند الاحتفال بكسر الخليج. (أخبار مصر للمسبحي، ص ١١، حاشية: ٢، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٤٥).

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في الأصل عبارة: «إلى أن قال»، ولا موضع لها هنا. وسبب وضعها سهواً هو أن المؤلف كان ينقل باختصار عن أحد المصادر التي تحدّثت عن موضوع فتح الخليج على الأرجح. والمؤلف يختصر اختصاراً شديداً يقلل من عظمة ذلك الاحتفال؛ لذا ننصح بالعودة إلى المراجع التي ذكرناها في الحاشية رقم (٢) ص ١٠٣.

(٤) تخليق المقياس: أي تطييبه بالخلوق، وهو المسك والزعفران.

المقياس ويركب العشاري ويعود إلى دار الملك بمصر وتارةً إلى المقس، ومن أحدهما إلى القاهرة في زِي مهول من كثرة ما يهتم له من العساكر والزينة والسلاح. ويكون هذا الركوب أولى وثانية؛ فالأولى في ليلة يتوجّه القراء والثانية يوم فتح الخليج. وعندما يُفتح الخليج يُنشده الشعراء في المعني. فمن ذلك: [الكامل]

فُتِحَ الخليجُ فسال منه الماءُ وعلتُ عليه الرايةُ^(١) البيضاءُ
فصفتُ مواردهُ لنا فكأنه كفَّ الإمامُ فعرْفُها الإعطاءُ

* * *

وأما ركوبهم في المواكب في يومي الاثنين والخميس وغير ذلك، فأمرٌ عظيم. فأول الركوب ركوبُ [متولي] دفتر المجلس بالقصر الباطن. ويتضمّن هذا الركوب الإنعامَ بالعطاء بأداء الرسوم والعطايا المفرقة في غرة السنة، ثم يأتي ركوب وثالث ورابع وخامس^(٢).

[ذكر خزانة الكتب]

وأما خزانة الكتب^(٣)، فكانت في أحد مجالس

(١) هذان البيتان من قصيدة بالمناسبة لشاعر يقال له ابن جبر، كما جاء في المقرئ.

(٢) هذه الفقرة مبهمة الموضوع. ونرجح أن المؤلف أراد الإشارة إلى جلوس الخليفة في المجلس العام أيام المواكب، فاختصر اختصاراً شديداً على عادته مما أدى إلى الإطاحة ببيان المراد. انظر صبح الأعشى: ٥٧١/٣ - ٥٧٦، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) كان للفاطميين في القاهرة مكتبات، منها أربعون خزانة في قصر الخلافة وحده ملأى بنقائس المؤلفات الجليلة المقدار ونوادرها المهدومة المثال. وكان أشهرها هذه الخزانة التي ذكرها المؤلف هنا وكانت من عجائب الدنيا ولم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها. وكانت تجمع مائتي ألف مجلد، كما قال المقرئ، في مختلف العلوم والفنون، منها ستة آلاف وخمسمائة مجلد في الفلك والطب. وكان يختلف إليها العلماء والطلاب لاستعارتها ومطالعتها والاستفادة منها. وأما خزائن القصر الداخلية فكان الاطلاع عليها محظوراً على العامة. وقد أصاب هذه الخزائن من الإحزن بتوالي الفتن مثل ما أصاب مكتبة الإسكندرية في عهد الرومان، فألقي بعضها في النار والبعض الآخر في النيل وترك بعضها في الصحراء فسفت عليها الرياح حتى صار تلالاً عرفت بتلال الكتب، واتخذ العبيد من جلودها نعالاً، وطرح ما بقي منها عند دخول الأكراد للبيح في أواسط القرن السادس للهجرة. وكان من جملة ما أخرجه من تلك =

البيمارستان^(١) العتيق اليوم، كان فيها ما يزيد على مائة^(٢) ألف مجلد في سائر العلوم، يطول الأمر في عدتها.

وقد آخضرنا من أمور الفاطميين نبذة كثيرة خشية الإطالة والخروج عن المقصود، وفيما ذكرناه كفاية، ويُعلم به أيضاً أحوالهم بالقياس. [و] ربّما يأتي ذكرهم في عدة تراجم أيضاً؛ فإنهم ثلاثة عشر خليفة بمصر، نذكرهم إن شاء الله في هذا الكتاب كلّ واحد على حدته.

[ذكر خطبة شهر رمضان]

وأما خطبة الخليفة في شهر رمضان، فنذكرها من قول ابن عبد الظاهر. قال: «وأما عِظْمُ الخليفة في أيامه وما كانت قاعدته وطريقته التي ربّتها ودامت من بعده عادة لكل خليفة فشيء كثير؛ من ذلك: أنّه كان يخطب في شهر رمضان ثلاثَ خطب ويستريحُ فيه جمعة، وكانوا يسمّونها جمعة الراحة^(٣). وكان إذا أراد أن

= القصور نحو ١٢٠٠٠٠ من خواص الكتب أعطاها صلاح الدين للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، كما ذكر ابن خلدون في تاريخه. (راجع خطط المقرئ ج ١ ص ٤٠٨ طبع بولاق) ومورد اللطافة للمؤلف ص ٢٧ طبع أوروبا وتاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ ص ٢٠٥ ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣ ص ١٤٢). (طبعة دار الكتب المصرية - حاشية).

(١) البيمارستان، ويقال له المارستان، كلمة أعجمية تعريبها: بيت المرضى وهو ما يقال له اليوم المستشفى، وتسميه العامة الاستبالية وهو اسم الإيطالي، والمقصود هنا البيمارستان العتيق الذي أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٧٧هـ محل قاعة بالقصر الكبير بناها العزيز بالله الفاطمي في سنة ٣٨٤هـ وكان القرآن مكتوباً في حيطانها؛ وموضع هذا البيمارستان اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف دورة مياه جامع سيدنا الحسين من الجهة البحرية إلى عطفة القزازين، وكان الدخول إليه من باب قصر الشوك بدرب القزازين بقسم الجمالية. وأما في عهد الدولة الفاطمية فكان البيمارستان بالقشاشين التي سميت فيها بعد الخراطين، وهي التي تعرف اليوم بشارع الصناديق، وموضعه مجموعة المباني الواقعة تجاه جامع الأشرف برسباي بشارع الأشرفية حيث كان بابه على يسار الداخل بشارع الصناديق تجاه دار الضرب التي كانت على اليمين. (راجع المقرئ ج ١ ص ٤٠٧ و ٤٣٥). (م رمزي).

(٢) في المقرئ: «ما يزيد على مائتي ألف».

(٣) يفهم مما نقله المقرئ عن ابن الطوير وما ذكره القلقشندي أن الخليفة كان يستريح في الجمعة الأولى من شهر رمضان. وما نقله المقرئ عن المسيحي أن العزيز بالله ركب في غرة رمضان سنة ٣٨٠هـ إلى =

يخطب يتقدّم متولّي خزانة الفرش إلى الجامع ويُغلق المقصورة التي برسم الخليفة والمنظرة وأبواب مقاصيرها وبأذهنج^(١) المنبر ثم يركب متولّي بيت المال، وعلى يد كلّ واحد منهما تعليقه^(٢) وفرشه، وهي عدّة سجّادات مفروزة منطّقة وبأعلاها سجادة لطيفة، لا تكشف إلّا عند توجّه الخليفة إلى المحراب. ثم يُفرش الجامع بالحصر المحارِب^(٣) المفروزة ممّا يلي المحراب - وكان ذلك بجامع الأزهر قبل أن يبني الحاكم جامعهم، ثم صار بعد ذلك بجامع الحاكم - ثم يهيا للداخل للجامع مثل ذلك، ثم يُطلق البخور، وتُغلق أبواب الجامع ويُجعل عليها الحجاب والبوابون؛ ولا يُمكن أحد أن يدخله إلّا من هو معروف من الخواص والأعيان. فإذا كان حضور الخليفة إلى الجامع ضربت السلسلة من ركن الجامع إلى الوجه الذي قبّالته، ولا يُمكن أحد من التّرجل عندها^(٤). ثم يركب الخليفة، ويُسلم لكلّ واحد من مقدّمي الرّكّاب في الميّنة والميسرة أكياس الذهب والورق سوى الرسوم المستقرّة والهبات والصدقات في طول الطريق. ويخرج الخليفة من باب الذهب والمظلة بمشدة الجواهر على رأسه، وعلى الخليفة الطّيلسان^(٥). فعند ذلك يَستفتح المقرّئون بالقراءة في ركابه بغير رهجية^(٦)، والدكاكين مزينة مملوءة بأواني الذهب والفضة؛ فيسير الخليفة إلى أن يصل إلى وجه الجامع، ووزيره بين يديه، فتُحطّ السلسلة

= جامع القاهرة فخطب وصل صلاة الجمعة. (المقريزي: ٢/٢٨٠، وصبح الأعشى: ٣/٥٠٥). قلت: ولعله كان يقيم الخطبة والصلاة إذا صادف أول شهر رمضان يوم جمعة، وإلا فإنه يستريح في الجمعة الأولى، على ما تقدم من قول ابن الطوير والقلقشندي.

(١) الباذهنج؛ الجمع باذهنجات: كلمة فارسية معناها منفذ التهوية والإضاءة، يوجد عادة فوق أسطح العمارات (والمراد به هنا الفتحتان الجانبيتان للمبنى) وله أشكال مختلفة بحيث يسمح للشمس بالدخول شتاء وللنسيم صيفاً. وقد توجد على فتحة الباذهنج شبكة من النحاس. (نصوص من أخبار مصر لابن المأمون: ص ٢٣٥، حاشية ٢).

(٢) في الأصل: وتعليق وفرشه.

(٣) كذا في الأصل والمقريزي.

(٤) في الأصل: «من التّرجل إلّا عندها».

(٥) الطيلسان: كساء مدور أخضر لا أسفل له، معرّب.

(٦) رهجية: مصدر صناعي من الرهج وهو الشغب.

ويتمّ الخليفة راكباً إلى باب جامع الأزهر الذي تُجاه درب الأتراك^(١)، فينزل ويدخل من باب الجامع إلى الدهلز الأول الصغير ومنه إلى القاعة المعلقة التي كانت برسم جلوسه، فيجلس في مجلسه وترخى المقرمة^(٢) الحرير، ويقرأ المقرئون وتفتح أبواب الجامع حينئذ. فإذا استحقّ الأذان أذن مؤذّنو القصر كلّهم على باب مجلس الخليفة ورئيس الجامع على باب المنبر وبقية المؤذّنين في المآذن. فعندما يسمع قاضي القضاة الأذان يتوجّه إلى المنبر فيقبل أول درجة، وبعده متولّي بيت المال ومعه المبخره وهو يبخر، ولم يزالا يقبلان درجة بعد درجة إلى أن يصلا ذروة المنبر؛ فيفتح القاضي بيده التزير ويرفع الستّر، ويتناول من متولّي بيت المال المبخره ويُبخر هو أيضاً، ثم يقبلان الدّرج أيضاً وهما نازلان. وبعد نزولهما يخرج الخليفة والمقرئون بين يديه بتلك الأصوات الشجّية إلى أن يصل إلى المنبر يصعد عليه. فإذا صار بأعلاه أشار للوزير بالطلوع فيطلع إليه وهو يقبل الدرج حتّى يصل إليه فيزّر عليه القبة، ثم ينزل الوزير ويقف على الدرجة الأولى ويجهّر المقرئون بالقراءة، ثم يكبر المؤذّنون ثم يشرع المؤذّنون في الصمت، ويخطب الخليفة؛ حتّى إذا فرغ من الخطبة طلع إليه الوزير وحلّ الأزارا فينزل الخليفة، وعن يمينه الوزير وعن يساره القاضي والداعي^(٣) بين يديه - والقاضي والداعي هما اللذان يوصلان الأذان إلى المؤذّنين - حتّى يدخل المحراب ويصلي بالناس ويُسلم. فإذا آنقضت الصلاة أخذ لنفسه راحة بالجامع بمقدار ما تُعرض عليه الرسوم وتُفرّق؛ وهي للنائب في الخطابة ثلاثة دنانير، وللنائب في صلوات الخمس ثلاثة دنانير، وللمؤذّنين أربعة دنانير، ولمشارف خزانة الفرش وفرّاشها ومتولّيها لكلّ ثلاثة دنانير، ولصبيان بيت

(١) في الأصل: «درب الأكراد». وما أثبتناه هو الصواب كما ورد بالخطط المقرّية؛ لأن هذا الدرب موجود إلى اليوم تجاه باب الأزهر المسمى بباب المغاربة.

(٢) المقرمة: الستّر الرقيق.

(٣) الداعي: كان من ألقاب القائمين بالدعوة الشيعية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وكان رئيس الدعاة يسمى داعي الدعاة. (الألقاب الإسلامية: ٢٨٥) وكان الداعي رئيساً لدار العلم وكانت خلف خان مسرور. كان يجلس فيها ويجتمع إليه من التلاميذ من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم. (صبح الأعشى: ٣/٣٦٢). وانظر عن عمل الدعاة وتنظيمهم: المعز لدين الله، لحسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: ص ٢٥٢ - ٢٥٨.

المال ديناران، ولْمُعَبِّي الفاكهة ديناران. وأما القراء فكان لهم رسوم غير ذلك. ومن حين يركب الخليفة من القصر إلى الجامع حتى يعود، الصدقات تعم الناس.

قلت: وأظن أن الدينار كان غير دينار زماننا هذا؛ فإنه قال — بعدما ذكر لْمُعَبِّي الفاكهة دينارين —: فأما الفواكه التي كانت تُعَبَّى بالجامع فإنها كانت تباع بجملة كثيرة ويتزاحم الناس على شرائها لبركاتها ويُقسم ثمنها بين الإمام والمؤذنين. قلت: ولعل هذا كان رسماً لْمُعَبِّي غير ثمن الفاكهة. والله أعلم.

ودام هذا الترتيب إلى آخر وقت، إلى أيام العاضد آخر خلفاء مصر من بني عُبيد. ونذكر أيضاً في ترجمة الأمر بأحكام الله من العبيديين كيفية خروج الخليفة إلى الجامع بأزيد من هذا عندما نحكي ما كان يقع له من الوجد في خطبته، إن شاء الله تعالى.

انتهى ترجمة المعز لدين الله، رحمه الله تعالى.

* * *

السنة الأولى من ولاية المعز معذ على مصر

وهي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة:

فيها أعاد عز الدولة بختيار النوح في يوم عاشوراء إلى ما كان عليه.

وفيها أظهر الخليفة المطيع ما كان يستره من علته^(١) وثقل لسانه وتعذر الحركة عليه للفالج الذي كان ناله قديماً، وانكشف ذلك لسُبُكَّتَيْن، فدعا الخليفة المطيع إلى خلع نفسه وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله عبد الكريم ففعل ذلك؛ وعقد له الأمر في يوم الأربعاء لثلاث عشرة^(٢) خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة. فكانت خلافته إلى أن خلع نفسه تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً. وصورة ما كُتِب:

(١) وهو داء الفالج.

(٢) في تاريخ الخلفاء للسيوطي: «في ثالث عشري ذي القعدة».

هذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله، حين نظر لدينه ورعيته وشغل بالعله الدائمة عما كان يُراعيه من الأمور الدينية اللازمة، وانقطع إفصاحه عما يجب عليه الله في ذلك، فرأى اعتزال ما كان إليه من هذا الأمر وتسليمه إلى ناهض به قائم بحقه [ممن يرى له الرأي] ^(١). عقده له وأشهد بذلك طوعاً، وذكر التاريخ المذكور. وفي آخره بخط القاضي أبي الحسن محمد بن صالح: «شهد عندي بذلك أحمد بن حامد ^(٢) بن محمد، وعمر بن محمد بن أحمد، وطلحة بن محمد بن جعفر». قلت: وأنقطع المطيع بداره، وكان يسمى بعد ذلك الشيخ الصالح إلى أن مات في سنة أربع وستين وثلاثمائة، على ما يأتي ذكره في الآتية إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي عبد العزيز بن أحمد بن جعفر، الفقيه الحنبلي العالم المشهور؛ مولده سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وصنف المصنفات الكبيرة؛ منها كتاب «المقنع» مائة جزء، وكتاب «الكافي» مائتي جزء، و«الشافعي» ثمانين جزءاً، وأشياء غير ذلك، ومات في سؤال.

وفيها توفي أبو الفتح علي بن محمد بن أبي الفتح البستي، الشاعر المشهور؛ وكان إماماً فاضلاً، يُعاني الجناس. ومن شعره قوله: [السريع]
يا أيها الذاهب في مكره مهلاً فما المكر من المكرّمات
عليك بالصحة فهي المنيّ يحيا محياك إذا المكرّمات

وفيها توفي محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر الرُملي [المعروف بآبن] ^(٣) النابلسي الزاهد المشهور. بعث إليه كافور الإخشيدي بمال؛ فردّه وقال للرسول: قل لكافور: قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا استعانة بالله وكفى. فردّ كافور الرسول بالمال وقال: قل له: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فإين ذكر كافور ها هنا! الملك والمال لله.

(١) زيادة عن المتظم: ٦٦/٧.

(٢) كذا في المتظم وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي الأصل: «حامد بن أحمد».

(٣) زيادة عن الذهبي.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّي جُمُحُ بن القاسم المؤذن، وأبوبكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد^(١) صاحب الخلّال، وأبوبكر محمد ابن أحمد بن سهل الرمليّ بن النابلسي الشهيد، وأبو العباس محمد بن موسى [ابن]^(٢) السمسار، ومُظَفَّر بن حاجب بن أركين^(٣)، والنُّعْمان بن محمد أبو حنيفة المغربي^(٤) الباطنيّ قاضي مملكة المعز، وكان حنفيّ المذهب لأنّ الغرب كان يوم ذاك غالبه حنفيّة، إلى أن حمل الناس على مذهب مالك فقط المعز بن باديس الآتي ذكره.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصباعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية المعز معزاً على مصر

وهي سنة أربع وستين وثلاثمائة:

فيها في المحرم أوقع العيّارون^(٥) ببغداد حريقاً من الخشابين^(٦) إلى باب الصغير، فأحترق أكثر هذا السوق، وهلك شيء كثير. واستفحل أمر العيّارين ببغداد حتى ركبوا الجند وتلقّبوا بالقوّاد وغلبوا على الأمور، وأخذوا الخفارة عن الأسواق

(١) في الأصل هنا: «عبد العزيز بن حفص». وما أثبتناه عن الذهبي وشذرات الذهب والبداية والنهاية والأعلام. وفي طبعة دار الكتب المصرية أورد المحقق أن الرواية الصحيحة لاسمه هي: «عبد العزيز بن أحمد بن جعفر» وفقاً للمصادر التي بين يديه، ولم يذكرها.

(٢) زيادة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام.

(٣) كذا في شذرات الذهب. وفي الأصل: «أوكين».

(٤) في كتاب «المعز لدين الله» ترجمة وافية له: ص ٢٥٨ - ٢٦٨.

(٥) راجع الجزء الثالث من هذا المطبوع، ص ١٠٢، حاشية (١).

(٦) كذا في عقد الجمان. وعبارة الأصل: «أوقع العيارون حريقاً بالخشابين مبدؤه من باب الصغير فأحترق».

والدروب. وكان فيهم أسود يقال له الزبد، كان يأوي «قنطرة الزبد»^(١) يشحذ وهو عريان. فلما كثُر الفساد رأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ بالسيف، فطلب الأسود سيفاً ونهب وأغار، وحفّ به طائفةً وتقوى وأخذ أموال الناس، وتمول حتى اشترى جارية بألف دينار؛ فراودها فتمنعت؛ فقال: ما تُكرهين مني؟ قالت: أكرهك كلّك؛ قال: ما تُحبّين؟ قالت: تبيعني؛ قال: أو [أفعل]^(٢) خيراً لك من ذلك؛ فحملها إلى القاضي وأعتقها ووهبها ألف دينار؛ فتعجب الناس من سماحته. ثم خرج إلى الشام فهلك هناك.

وفيها خرج الخليفة الطائع ومعه سُبُكْتِكِين من بغداد في المحرم يريدان واسطاً لقتال بختيار؛ فمات الخليفة المطيع الفضل في يوم الاثنين لثمانٍ بَقِيْنَ من المحرم. وكان المطيع قد خرج مع ولده الخليفة الطائع يريد واسطاً، فردّه ولده في تابوت إلى بغداد فدُفِنَ بها، ثم مات سُبُكْتِكِين بعده بيوم واحد، فحُيِلَ أيضاً إلى بغداد. وكان أصل سُبُكْتِكِين من ممالك عَزَّ الدولة الأتراك، وخلع عليه الخليفة الطائع بالإمارة عوضاً عن أستاذه عَزَّ الدولة، وخرجا لقتاله فمات. وكانت مدّة إمارته شهرين وثلاثة عشر يوماً. ولما مات سُبُكْتِكِين عَقَدَ الأتراك لَأَفْتِكِين الرّامي مولى مُعزِّ الدولة، وكان أعور، وأطاعوه. وعرض عليه الطائع اللّقب فأمتنع وأقتصر على الكُنية. وعمل على لقاء عَزَّ الدولة؛ فاستنجد عَزَّ الدولة بأبن عمّه عَضُدُ الدولة فنجاه؛ وقاتل الأتراك وكسرهم بعد حروب كثيرة. ثم طَمِعَ عَضُدُ الدولة في الإمارة وعَزَلَهُ عَزَّ الدولة، وخلع عليه الخليفة الطائع مكانه؛ وعظّم أمرُ عضد الدولة بعد ذلك.

وفيها تُوفِّي الخليفة المطيع لله أبو القاسم الفضل أمير المؤمنين المقدم ذكر وفاته لما خرج مع ولده الطائع. وهو ابن الخليفة المقتدر جعفر ابن الخليفة المعتضد أبي العباس أحمد الهاشمي العباسي. وأمه أم ولد أسماها مَشْعَلَة^(٣).

(١) قنطرة الزبد: وهي قنطرة على نهر الصلة، وتسمى أيضاً قنطرة رحا البطريق.

(٢) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان.

(٣) كذا في عقد الجمان. وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: «شغلة». وفي الأصل: «مشيلة».

ببيع بالخلافة بعد المستكفي في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وكان مولده سنة إحدى وثلاثمائة. وخلع نفسه من الخلافة غير مُكرَه لذلك، حسب ما ذكرناه في السنة الماضية؛ ونزل عن الخلافة لولده الطائع، ومات في المحرم في هذه السنة، كما تقدّم.

وفيها تُوفي الأمير محمد بن بدر الحمّامي، وكنيته أبوبكر. كان والده بدر الحمّامي مولى أحمد بن طولون، وكان أميراً على فارس فمات؛ فقام ولده هذا بعده. قال أبو نعيم: وكان ثقة، مات ببغداد.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفي أبوبكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدّينوريّ بن السّني، وأبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السّلمي، والمطيع لله الفضل بن المقتدر، ومحمد بن بدر الحمّامي أمير فارس، ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم السّليطيّ أبو الحسن.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشرون إصباعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية المعز معدّ على مصر

وهي السنة التي مات فيها، حسب ما تقدم ذكره في ترجمته، وهي سنة خمس وستين وثلاثمائة:

فيها كتب ركن الدولة أبو علي الحسن بن بُويه إلى ولده عضد الدولة أبي شجاع أنّه قد كبرت سنّه ويؤثر مشاهدته، فأجتمعا؛ فقسم ركن الدولة الملك بين أولاده، فجعل لعضد الدولة فارس وكرمان [وَأَرْجَان] (١)، ولمؤيد الدولة الرّبي وأصبهان، ولغفر الدولة هَمَذان والدّينور، وجعل ولده الأصغر أبا العباس في كَنَف عضد الدولة.

(١) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان.

وفيها عاد جواب ركن الدولة إلى عز الدولة بما يطيب خاطره. وكان لما بلغ عز الدولة ما فعل ركن الدولة من قسمة البلاد بين أولاده كتب إليه يخبره ما عمله عضد الدولة ويسأله زجره عنه، وأن يؤمنه مما يخاف؛ فخطب ركن الدولة ولده عضد الدولة في الكف عنه؛ فشكا إليه عضد الدولة ما عامله عز الدولة به وأنضمام وزيره آبن بقية^(١) عليه؛ فلم يزل به ركن الدولة حتى أجابه بالكف عنه.

وفيها خلع على أبي عبد^(٢) الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي لإمارة الحاج من دار عز الدولة، وركب معه أبو طاهر الوزير آبن بقية إلى داره وحج بالناس.

وفيها حج بالناس من مصر من جهة العزيز بن المعز، عندما تخلف بعد موت أبيه المعز، [رجل علوي]^(٣)، وأقيمت له الدعوة بمكة والمدينة بعد أن منع أهل مكة والمدينة من الميرة، ولاقوا من عدم ذلك شذائد حتى اذعنوا له.

وفيها توفي الأمير أبو صالح منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان، وقام ولده أبو القاسم نوح مقامه وسنه ثلاث عشرة سنة.

وفيها توفي ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة أبو الحسن صاحب التاريخ^(٤)؛ كان طبيباً فاضلاً، عاشر الخلفاء والملوك، وكان ثقة فريداً في وقته.

وفيها توفي الحسين بن محمد بن أحمد بن ماسرجس الحافظ أبو علي الماسرجسي.

(١) هو الوزير نصير الدولة، أبو الطاهر، محمد بن محمد بن بقية بن علي التوفي سنة ٣٦٧ هـ. نqm عليه عز الدولة أمراً فقبض عليه سنة ٣٦٦ هـ بواسط، وسمل عينيه، فلزم بيته. ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبه وألقاه تحت أرجل الفيلة وصلبه. ولم يزل مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة، فأنزل عن خشبته ودفن. (الأعلام: ٢٠/٧، ووفيات الأعيان: ١١٨/٥، وما سيأتي ذكره في حوادث سنة ٣٦٧ هـ من هذا الجزء).

(٢) في الأصل: «أبي عبيد الله». وما أثبتناه عن المتنظم وعقد الجمان.

(٣) زيادة عن المتنظم وعقد الجمان.

(٤) ألف تاريخاً ذكر فيه ما كان في أيامه. ابتداء بسنة ٢٩٥ هـ، وختم بوفاته. (الأعلام: ٩٨/٢).

أسلم ماسرجس على يد عبد الله بن المبارك وكان نصرانياً. أخذ^(١) بدمشق عن أصحاب هشام بن عمار، [و] ما صنّف في الإسلام أكبر من مسنده، وصنّف «المسنّد الكبير» مهذباً معلّلاً في ألف وثلاثمائة، وجمع حديث الزهريّ جمعاً لم يسبقه إليه أحدٌ [وكان يحفظه مثل الماء]^(٢).

وفيها توفي عبد الله بن عديّ بن عبد الله بن محمد بن المبارك، الحافظ أبو أحمد الجرجانيّ. ويُعرف بآبن القَطّان. رَحَلَ إلى الشام ومصر رحلتين، وأولاهما سنة سبع وتسعين^(٣). قال الذهبيّ: كان لا يعرف العربية مع عَجْمَةٍ فيه، وأما في العِلَل والرّجال فحافظ لا يُجارى.

وفيها توفي محمد بن عليّ بن إسماعيل، أبو بكر الشاشيّ، الفقيه الشافعيّ المعروف بالفقّال الكبير؛ كان إمامَ عصره بما وراء النهر، ولم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله.

وفيها توفي عبد السلام بن محمد بن أبي موسى، أبو القاسم الصوفيّ البغداديّ؛ سافر ولقي الشيوخ من أهل الحديث والتصوّف، وجمع بين علم الشريعة والحقيقة.

وفيها توفي عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر، أبو الأصبغ^(٤) الأمويّ الأندلسيّ. وُلِدَ بقرطبة ثم رَحَلَ إلى بُخارى وأستوطن بها. قال الحاكم أبو عبد الله: سمعته ببخارى يروي أنّ مالك بن أنس كان يحدث، فجاءت عَقْرَبٌ فلدغته ست عشرة مرّة فتغيّر لونه ولم يتحرّك؛ فقليل له في ذلك فقال: كَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) كذا في تاريخ الإسلام للذهبي. وفي الأصل: «قال هشام بن عمار: ما صنّف في الإسلام... إلخ». وهشام بن عمار مات سنة ٢٤٥هـ، وابن ماسرجس ولد في سنة ٢٩٧هـ، فلا يعقل أن يدي هشام بن عمار رأياً في مؤلفات ابن ماسرجس وهو لم يولد بعد.

(٢) زيادة عن الذهبي.

(٣) في الأصل: «وسبعين» والتصحيح عن تاريخ الإسلام وتذكرة الحفاظ.

(٤) في الأصل: «الأصبغ» بالعين المهملة. وهو تصحيف. والتصحيح عن نفح الطيب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ذكر ولاية العزيز^(١) نزار على مصر

هو نزار أبو منصور العزيز بالله بن المعزّ لدين الله أبي تميم معزّ بن المنصور بالله أبي طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن^(٢) المهديّ أبي محمد عبيد الله العبديّ الفاطميّ المغربيّ ثمّ المصريّ، ثاني خلفاء مصر من بني عبيد، والخامس من المهديّ إليه ممّن وليّ من آبائه الخلافة بالمغرب. مولده بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب في يوم عاشوراء^(٣) سنة أربع وأربعين، وقيل: سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة. وخرج مع أبيه المعزّ من المغرب إلى القاهرة ودام بها إلى أن مات أبوه المعزّ معزّ بعد أن عهد إليه بالخلافة. فولّي بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وله اثنتان وعشرون سنة، وملك مصر وخُطب له بها وبالشام وبالمغرب والحجاز، وحسّنت أيامه. وكان القائم بتدبير مملكته مولى أبيه جوهرًا القائد. وكان العزيز كريماً شجاعاً سيّوساً، وفيه رفقٌ بالرعيّة.

قال المُسَبِّحِيّ: «وفي أيامه بُني قصرُ البحر^(٤) بالقاهرة الذي لم يكن مثله

(١) أخباره وترجمته في: خطط المقرئ: ٢/٢٨٤ - ٢٨٥، ووفيات الأعيان: ٥/٣٧١ - ٣٧٦، والبيان المغرب: ١/٢٢٩ - ٢٣٢، والمتنظم: ٧/١٩٠، وابن خلدون: ٤/٥١، وعبر الذهبي: ٣/٣٤، والشذرات: ٣/١٢١، واتعاظ الحنفا: ١/٢٣٦، وابن الأثير: ٧/٣٦٠ وما بعدها، وحسن المحاضرة: ١٧/٢.

(٢) يرى بعض الباحثين أن القائم لم يكن ابناً للمهدي. وبالتالي فإن العزيز ووالده المعز لم يكونا من سلالة المهدي عبيد الله. راجع ما كتبناه في الحاشية (٣) ص ٨١ من هذا الجزء. وانظر أيضاً الفصل الذي عقده الأستاذ محمد عبد الله عنان حول نسب الخلفاء الفاطميين في كتابه: الحاكم بأمر الله: ٤٧ - ٧٥.

(٣) في المتنقي من أخبار مصر لابن ميسر: «يوم الخميس الرابع عشر من المحرم».

(٤) قصر البحر: كان من جملة القصور بداخل القصر الكبير الشرقي، وكان يدخل إليه من باب البحر المنسوب لهذا القصر. وموضعه اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف دار بشتاك التي بشارع بين القصرين بين درب قرمز وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف الدار المذكورة. (م. رمزي). وانظر المقرئ: ٣٨٣/١.

لا في الشرق ولا في الغرب، وقصرُ الذهب^(١)، وجامعُ القرافة^(٢). قلت: وقد مُجِي آثار هؤلاء المباني حتَّى كأنها لم تكن. قال المسبّحي: وكان أسمر، أصهبَ الشعر، أعينَ أشهل، بعيدَ ما بين المنكبين، حسنَ الخلق، قريباً من الناس، لا يُؤثر سفك الدماء؛ وكان مُغرّياً بالصيد، وكان يتصيد السباع، وكان أديباً فاضلاً^(٣). انتهى.

وذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر^(٤)، وذكر له هذه الأبيات وقد مات له أبن في العيد فقال: : [المنسرح]

نحن بنو المصطفى ذوو مَحَنٍ يَجْرَعُهَا في الحياة كاظِئُنا
عجيبةً في الأنام محتنتُنا أولُّنا مُبْتَلًى وخاتِئُنا
يفرح هذا السورى بعيدهم طُراً وأعيادُنا ماتِئُنا

وأما بناؤه القصر بالبحر فكان في (.....)(٥).

(١) قصر الذهب: قال المقرئزي: ٣٨٥/١: «قاعة الذهب، ويقال لها قصر الذهب، وهو أحد قاعات القصر الكبير الشرقي، وكان يدخل إليه من باب الذهب، ويدخل إليه أيضاً من باب البحر». وموضع هذا القصر اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف مدرسة النحاسين الأميرية التي بشارع بين القصرين بين شارع بيت القاضي وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف المدرسة المذكورة. (م. رمزي).

(٢) جامع القرافة: بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله نزار بالقرافة الكبرى. وأصله مسجد بني عبد الله بن مانع ويعرف بمسجد القبة، وكان يعرف في زمن المقرئزي باسم جامع الأولياء. وأما اليوم فيعرف باسم حوش أبي علي. وقد زال ولم يبق منه إلا آثار بعض جدران. وموقعه في الجنوب الشرقي بمسجد قديم يعرف اليوم بحوش خضراء الشريفة آثاره قائمة في الفضاء الواقع بين جبانة سيدي عقبة ومصر القديمة. (م. رمزي).

(٣) قارن بما ذكره ابن ميسر في هذا المجال ببعض اختلاف، والأرجح أنه كان ينقل عن المسبّحي. (المتقى من أخبار مصر: ١٧٥). ونقل النويري: نهاية الأرب: ٤٩/٢٦ عن ابن ميسر قال: «وجند في أيام العزيز من الأبنية قصر الذهب، وجامع القرافة، والفوارة، ويستان السردوس، وقصور عين شمس، والمصلى الجليلد بالقاهرة. وهو أول من بنى دار الفطرة وقرّر الرواتب، ومن إعطاء الضحايا للأولياء، وكان قريباً من الناس بصيراً بالخيول والجوارح والصيد». المرجع السابق: ص ١٧٦، حاشية.

(٤) يتيمة: ٢٩٣/١.

(٥) بياض بالأصل. ولم يعين المقرئزي في كلامه عن هذا القصر تاريخ بناء العزيز له، بل ذكر سنة إتمام الخليفة المستنصر له وهي سنة ٤٥٧ هـ (انظر خطط المقرئزي: ٤٥٧/١).

وقال أبو منصور^(١) أيضاً: «سمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار هذا (يعني العزيز صاحب مضر) كتاباً يسبّه فيه ويهجوّه؛ فكتب إليه الأموي: «أما بعد، قد^(٢) عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجنبناك. [والسلام]»^(٣). قال: فاشتد ذلك على نزار المذكور وأفحمه عن الجواب. يعني أنه غير شريف وأنه لا يعرف له قبيلة حتى كان يهجوّه. انتهى كلام أبي منصور.

ولما تم أمر العزيز بمصر وأستفحل أمره وأخذ في تمهيد أمور بلاده، خرج عليه قسام الحارثي وغلب على دمشق. وكان قسام المذكور من الشجعان، وكان أصله من قرية «تلفيتا» من قرى^(٤) جبل سنير. كان ينقل التراب^(٥) على الحمير؛ وتنقلت به الأحوال حتى صار له ثروة وأتباع وغلب بهم على دمشق حتى لم يبق لنوابها معه أمر ولا نهى؛ ودام على ذلك سنين. فلما ملك العزيز وعظم أمره أراد زواله، فندب إليه جيشاً مع تكين^(٦)، فسار تكين إليه وحاربه أياماً، وصار العزيز

(١) الخير في يتيمة الدهر: ٢٩٤/١.

(٢) في اليتيمة: «فإنك».

(٣) زيادة عن اليتيمة.

(٤) في الأصل: «من عمل سنير» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية. وسنير: جبل بين حصص وبعليق على الطريق، وعلى رأسه قلعة سنير، من أعمال دمشق.

(٥) ولذلك قيل له: قسام التراب. وقيل له أيضاً: السقاط والزبال، على اختلاف بين المؤرخين. ولكنهم جميعاً يتفقون على وصفه بأنه كانت له الرياسة على حمال السلاح من الشطار والذغار. ويصفون حربه بأنه

من العيارين. وهذا الزعيم الشعبي كانت له السيطرة الفعلية في دمشق ما بين سنة ٣٦٥ وسنة ٣٧٣ هـ.

وبلغ به الأمر أن بعض الولاة الرسميين كان يمنع من دخول البلد بأمر منه، وبعضهم كان يقف على بابه يتمثل أوامره. وكانت ترأسه الخلفاء والملوك والأمراء. وقد اتخذ قسام التراب لنفسه لقب «ملك

الرجال» واصطنع لنفسه ولأصحابه أعلاماً وطوارق على صفة «قحف» وجعل لنفسه «رنكاً» — أي شعاراً — واتخذ القحف شعاراً له على الرنك ليذكره دوماً بأصله كتراب وزبال، وفي هذا ما فيه من معنى

التحدي الطبقي والوعي لقوة الجموع الشعبية، كما يقول الدكتور شاكر مصطفى (في كتابه: الحركات الشعبية وزعمائها في دمشق، في العهد الفاطمي، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق) الذي يرى أنه

على الرغم من فشل ثورة قسام التراب فإنها لم تذهب دون أن تترك في الضمير الشعبي الدمشقي أثراً عميقاً ظل قائماً في النفوس عدة قرون. (انظر حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي للدكتور

محمد رجب النجار: ص ١٦١ — ١٦٧).

(٦) في معجم البلدان ومعجم زامبور: «بلتكين».

يَمُدُّهُ بالعساكر إلى أن ضَعُفَ أمرُ قَسَّامٍ وأَخْتَفَى أَيَّاماً، ثم آسَأتَمَنَ؛ ففَقِيدُوهُ وحَمَلُوهُ إلى العزيز إلى مصر.

وقال القِفْطِيُّ غَيْرَ ذَلِكَ، قال: «فَغَلَبَ على دِمَشْقَ رجل من العِيَّارِين يُعْرِفُ بِقَسَّامٍ وتَحَصَّنَ بها (يعني دِمَشْقَ) وخالف على صاحب مصر، فسار لحربه الأمير الفضل من مصر، فحاصر دِمَشْقَ وضاق بأهلها الحال؛ فخرج قَسَّامٌ مَتَنَكِّراً فَأَخَذَتْهُ الحرسُ؛ فقال: أنا رسول، فأحضره إلى الفضل؛ فقال له: أنا رسول قَسَّامٍ إليك لتحلف له وتُعَوِّضَهُ عن دِمَشْقَ بلداً يعيش به، وقد بعثني إليك سرّاً؛ فحلف الفضل له. فلَمَّا تَوَثَّقَ منه قام وقَبَلَ يديه وقال: أنا قَسَّامٌ؛ فأعجب الفضل ما فعله وزاد في إكرامه وردَّه إلى البلد وسلَّمه إليه؛ وقام الفضل بكل ما ضَمِنَهُ وعَوَّضَهُ موضعاً عاش به. فلَمَّا بلغ ذلك العزيز أحسن صلته». انتهى.

وقال الذهبي روايةً أخرى في أمر قَسَّامٍ، قال: «وهو الذي يتحدَّث الناس أنه ملك دِمَشْقَ، وأنه قسم البلاد، وقَدِمَ لقتاله سَلْمَانُ بن جعفر بن فلاح إلى دِمَشْقَ بجيش، فنزل بظاهرها ولم يمكنه دخولها؛ فبعث إليه قَسَّامٌ بخطه: أنا مقيم على الطاعة. وبلغ العزيز ذلك فبعث البريد إلى سلمان ليردَّه؛ فترحل سَلْمَانُ من دِمَشْقَ؛ وولَّى العزيز عليها أبا محمود^(١) المغربي؛ ولم يكن له أيضاً مع قَسَّامٍ أمر ولا حل ولا عقد». انتهى كلام الذهبي.

قلت: ولعل الذي ذكره الذهبي كان قبل توجه عسكر تكين والفضل؛ فإن الفضل لما سار بالجيش أخذ دِمَشْقَ من قسام وعَوَّضَهُ بلداً، وهو المتواتر. والله أعلم.

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: «كان العزيز قد ولَّى عيسى بن نسطورس^(٢) النصراني ومنشأ^(٣) اليهودي؛ فكتبت إليه امرأة: بالذي أعزَّ اليهود

(١) هو إبراهيم بن جعفر الكتامي القائد، كما في ابن الأثير.

(٢) كذا في المنتظم، وحسن المحاضرة للسيوطي، والإشارة إلى من نال الوزارة للصيرفي، وأخبار مصر لابن ميسر، وبدائع الزهور. وفي الأصل: «نسطور». وذكر الصيرفي أن اسمه: «عيسى بن نسطورس بن سورس».

(٣) كذا في أكثر المصادر التي ذكرنا. وفي المنتظم وحسن المحاضرة: «ميشا» بالياء المثناة. وفي بدائع الزهور: =

بمنشا، والنصارى بابن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك، إلّا نظرت في أمري». فقبض العزيز على اليهودي والنصراني، وأخذ من ابن نسطورس ثلاثمائة ألف دينار^(١). انتهى.

وقال ابن خلكان: وأكثر أهل العلم لا يُصحّحون نسب المهديّ عبّيد الله والد خلفاء مصر، حتّى إنّ العزيز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة، فوجد هناك ورقة فيها: [السريع]

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَباً مُنْكَرًا يُتَلَى عَلَى الْمِنْبَرِ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعِي صَادِقًا فَأَذْكَرُ أَبَا بَعْدَ الْأَبِ الرَّابِعِ
وَإِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ فَأَنْسُبُ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ

= «منشأ». وفي مآثر الإنافة للقلقشندي: «ميسا» بالسين المهملة. وذكره ابن العبري في تاريخ الزمان باسم «منسى بن القزّاز».

(١) ذكر ابن إياس في بدائع الزهور: ١٩٦/١ هذه الرواية باختلاف عما هنا. قال: «وفي سنة ٣٨٠هـ توفي الوزير يعقوب بن كلّس، فلما مات خلع العزيز على شخص من النصارى يقال له نسطورس، واستقرّ به وزيراً، فعُدّت هذه القعدة من مساوئه؛ وخلع على شخص من اليهود يقال له منشأ، واستقرّ به وزيراً بالشام، فوقع منها الأذى البالغ في حق المسلمين بمصر والشام. فاتفق أن العزيز ركب يوماً، وشق من القاهرة فزينت له، فعمد بعض الناس إلى مبخرة من الجريد، وألبسها ثياب النساء، وزيّرها بإزار وشعرية، وجعل في يدها قصة كتب فيها: «بالذي أعز النصارى بنسطورس وأعز اليهود بمنشا، وأذل المسلمين بك، إلّا ما رحمتهم، وأزلت عنهم هذه المظالم». فلما مرّ العزيز على تلك الصورة، ظن أنها امرأة لها حاجة، فوقف وطلب قصتها، فلما قرأها اشتدّ به الغضب، وأمر بشق الوزير نسطورس، فشق على باب قصر الزمرد في ذلك اليوم، ثم أرسل إلى الشام بشق اليهودي منشأ، فشق على باب قلعة دمشق». انتهى. والواقع أن العزيز بالله لم يأمر بشنقهما وإنما عزلها وصادهما - كما في ابن الأثير ومآثر الإنافة وفيما يذكره المؤلف هنا - وكان العزيز في كثير من الأمور، خصوصاً الشؤون المالية، يعتمد فيها على عيسى بن نسطورس الذي حابى أبناء جلدته من النصارى وعينهم في وظائف الدولة المختلفة، مما جعل المسلمين يضجون بالشكوى، فقبض عليه العزيز مدة حتى شفعت له ست الملك بنت الخليفة فردّه وولاه الوزارة وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوينه وأعماله. وظل في منصبه حتى رمضان سنة ٣٨٦هـ، حيث اضطر الحاكم إلى عزله تحت ضغط المغاربة الذين طالبوا بتولي ابن عمار زمام الأمور. وفي المحرم سنة ٣٨٧هـ قبض ابن عمار على عيسى بن نسطورس وقتله. (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ص ٢٤٤، وأخبار مصر لابن ميسر ص ١٨٠). قارن أيضاً برواية ابن العبري في تاريخ الزمان: ص ٧٠.

أَوْ قَدَعَ^(١) الْأَنْسَابَ مُسْتَوْرَةً وَأَدْخَلَ بَنَاءَ فِي النِّسْبِ الْوَاسِعَ
فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ
فَقَرَأَهَا الْعَزِيزُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ. ثُمَّ صَعِدَ الْعَزِيزُ الْمَنْبِرَ يَوْمَ آخِرِ فَرَأَى وَرَقَةً فِيهَا
مَكْتُوبٌ: [مَخْلَعُ الْبَسِيطِ]

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْحِمَاقَةِ
إِنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ فَقُلْ لَنَا كَاتِبُ الْبِطَاقَةِ
قَالَ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ آدَعَوْا عِلْمَ الْمُغَيَّبَاتِ وَالنُّجُومِ. وَأَخْبَارَهُمْ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ.
إِنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ خُلَكَانَ بِإِخْتِصَارٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ الْعَزِيزُ نَاهِضًا، وَفِي أَيَّامِهِ فَتَحَتْ جِمْعُصُ وَحَمَاءُ وَحَلَبُ،
وَحَطَبَ لَهُ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ أَبُو الدَّوَادِ^(٢) مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بِالْمَوْصِلِ، وَخُطِبَ لَهُ
بِالْيَمَنِ. ثُمَّ انْتَقَضَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ حَلَبِ أَبِي الْفَضَائِلِ بْنِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ وَمَذَبَّرَ
مُلْكُهُ لَوْلُوْ بَعْدَ وَفَاةِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ صَاحِبِ حَلَبِ لَمَّا قَتَلَ
بَكْجُورَ وَهَرَبَ كَاتِبُهُ (أَعْنَى كَاتِبَ بَكْجُورَ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَغْرِبِيِّ) مِنْ حَلَبِ
إِلَى مَشْهَدِ الْكَوْفَةِ عَلَى الْبَرِّيَّةِ؛ ثُمَّ اجْتَهَدَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مِصْرَ، وَاجْتَمَعَ بِالْعَزِيزِ
هَذَا وَعَظَّمَ أَمْرَ حَلَبِ عِنْدَهُ وَكَثَّرَهَا، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ حَصُونَهَا وَأَمَرَ مَتَوَلِّيَهَا أَبِي الْفَضَائِلِ.
قُلْتُ: وَلَوْلُوْ وَأَبُو الْفَضَائِلِ يَأْتِي بَيَانُ ذِكْرِهِمَا فِيمَا يَقَعُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْعَزِيزِ، وَتَأْتِي
أَيْضًا وَفَاتُهُمَا فِي الْحَوَادِثِ، فَيُظْهِرُ بِذَلِكَ أَمْرُهُمَا عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُمَا.

فَلَمَّا هَوَّنَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ أَمْرَ حَلَبِ عَلَى الْعَزِيزِ، تَشَوَّقَتْ نَفْسُهُ إِلَى أَخْذِ
حَلَبِ مِنْ أَبِي الْفَضَائِلِ. وَكَانَ لِلْعَزِيزِ غَلَامَانِ، أَحَدُهُمَا يُسَمَّى مَنُجُوتَكِينَ وَالْآخَرُ
بَارِزَكِينَ^(٣) مِنَ الْأَتْرَاكِ، وَكَانَا أَمْرَدَيْنِ مُشْتَدِّينَ؛ فَأَشَارَ عَلَى الْعَزِيزِ الْمَغْرِبِيِّ الْمَذْكُورِ
بِإِنْفَازِ أَحَدِهِمَا لِقِتَالِ الْحَلَبِيِّينَ لَتَنْقَادَ إِلَيْهِ الْأَتْرَاكِ مِمَّا لِيكَ سَعْدِ الدَّوْلَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ قَبْلَ

(١) فِي ابْنِ خُلَكَانَ: «أَوْ لَا دَعَ...».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «ابْنُ الدَّوَادِ» وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الْأَعْلَامِ: ٩٨/٧.

(٣) فِي الْأَصْلِ غَيْرُ مَعْجَمِ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ. وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ طَبْعَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ.

ذلك قد آستأمن إلى العزيز جماعةً من أصحاب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان بعد موت سعد الدولة، فأمنهم العزيز وأحسن إليهم وقربهم؛ منهم وفي الصَّقلبي في ثلاثمائة غلام (يعني مملوكاً) وبشارة الإخشيد في أربعمئة غلام، ورباح السيفي؛ فولى العزيز وفي الصَّقلبي عكاً، وولى بشارة طبرية، وولى رباحاً غزّة. ثم إنَّ العزيز ولى مملوكه منجوتكين حرب حلب، وقدمه على العساكر وولاه الشام، وأستكتب له أحمد بن محمد النُّشوري، ثم ضمَّ إليه أيضاً أبا الحسن علي بن الحسين المغربيّ المقدم ذكره ليقوم المغربيّ بأمر منجوتكين وتديره مع الحلبيين، فإنه كان أصل هذه الحركة. وخرج العزيز حتى شيعهم بنفسه وودّعهم^(١). فسار منجوتكين حتى وصل دمشق، فتلّقاه أهلها والقوَّاد وعساكر الشام والقبائل، فأقام منجوتكين بعساكره عليها مدّة، ثم رَحَلَ طالباً لحلب في ثلاثين ألفاً. وكان بحلب أبو الفضائل بن سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ومعه لؤلؤ، فأغلقا أبوابها وأستظهرا في القتال غاية الاستظهار على المصريّين. وكان لؤلؤ لما قدِمَ عسكرُ مصر إلى الشام كاتب بسيل^(٢) ملك الروم في النجدة على المصريّين ومَتَّ^(٣) له بما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة، وأنَّ هذا ولده قد حُصِرَ مع عساكر المصريّين؛ وحثّه على إنجاده؛ ثمَّ بعث إليه بهدايا وتُحَفَ كثيرة، وسأله في المعونة والنُّصرة على المصريّين، وبعث الكتاب والهدايا مع ملكون

(١) وقد أنفق العزيز أموالاً طائلة في تجهيز منجوتكين إلى الشام وحلب، واحتفى بتسييره شخصياً احتفاءً كبيراً. انظر تفصيل ذلك في أخبار مصر لابن ميسر: ص ١٧٠، وأخبار منجوتكين التركي مفصلة في الجزء السادس والعشرين من نهاية الأرب للنويري.

(٢) في الأصل: «كاتب يسال» وهو تحريف. وهو الإمبراطور باسيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥م) معاصر العزيز بالله وولده الحاكم بأمر الله. وكانت الدولة البيزنطية ترى، منذ استولى الفاطميون على مصر والشام، أن هذه القوة الإسلامية الجديدة تمثل خطراً جديداً عليها، تجب مقاومته قبل أن يستفحل. ولما زحف القرامطة على الشام، وعمه الاضطراب والفوضى، انتعشت آمال السياسة البيزنطية حيناً؛ فلما تحطم خطر القرامطة، ضاعف البيزنطيون جهودهم لمنازلة الفاطميين، وألفوا في بني حمدان نكاة حسنة لهذا النضال. وكانت الدولة البيزنطية تجوز في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر مرحلة من القوة والنهوض في عصر الأسرة السيلية، ولا سيما عهد باسيل الثاني المذكور. (انظر: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان: ص ٨٢ وما بعدها).

(٣) في الأصل: «ربت له ما كان» وهو تحريف. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

السرياني؛ فتوجه ملكون السرياني إلى فوجد ملك الروم يُقاتل ملك البلغار^(١)؛ فأعطاه الهدية والكتاب، فقبل الهدية وكتب إلى البرجي^(٢) نائبه بأنطاكية أن يسير بالعساكر إلى حلب ويدفع المغاربة (أعني عساكر العزيز) عن حلب. فسار البرجي في خمسين ألفاً؛ ونزل البرجي بعساكره الجسر الجديد^(٣) بين أنطاكية وحلب. فلما بلغ ذلك منجوتكين آستشار علي بن الحسين المغربي والقواد في ذلك، فأشاروا عليه بالانصراف من حلب وقصد الروم والابتداء بهم قبل وصول الروم إلى حلب، لئلا يحصلوا بين عدوين. فساروا حتى نزلوا تحت حصن أعزاز^(٤) وقاربوا الروم، وصار بينهم النهر المعروف بالمقلوب^(٥). فلما وقع بصرهم على الروم رمّوهم بالنشاب وبينهم النهر المذكور، ولم يكن لأحد الفريقين سبيل للعبور لكثرة الماء. وكان منجوتكين قد حفظ المواضع التي يقل الماء فيها، وأقام جماعة من أصحابه يمنعون عسكره من العبور لوقت يختاره المنجم. فخرج من عسكره من الدّيلم رجل شيخ كبير في السن ويده تُرس وثلاث روسات^(٦)؛ فوقف على جانب النهر ولبزائه قوم من الروم، فرمّوه بالنشاب وهو يسبح حتى قطع النهر، وصار على الأرض من ذلك البرّ والماء في النهر إلى صدره. فلما رآه^(٧) عساكر منجوتكين رمّوا بأنفسهم في الماء فُرساناً ورجالة، ومنجوتكين يمنهم فلا يمتنعون حتى صاروا مع الروم في

(١) أي البلغار.

(٢) وهو نيقفوروس أورانوس؛ ويعرف في الرواية العربية بالبرجي. (الحاكم بأمر الله: ص ٨٢).

(٣) في الأصل: «الحديد». وما أثبتناه عن ابن الأثير.

(٤) ويقال: أعزاز. وهي بلدة شمالي حلب على مقربة من الحدود التركية. «وهي مدينة كبيرة عامرة، كثير بناؤها، واتسع فناؤها، عمرت قلعتها، وكثرت منفعتها. وكانت قديماً تعرف بتل أعزاز. وفي سنة ٣٦٣ هـ حدثت زلزلة بأرض قنسرين فأخربت قلعتها». انظر الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب: ١٦٨.

(٥) النهر المقلوب: هو نهر العاصي. ينبع من الأراضي اللبنانية ويسير شمالاً في الأراضي السورية، ويصب في المتوسط. وسمي بالعاصي لأنه يسير في مجراه من الجنوب إلى الشمال بعكس سائر الأنهار اللبنانية التي تتجه من الشمال إلى الجنوب. ويسمى أيضاً: نهر الأرند والميماس.

(٦) كذا بالأصل. ولعل المراد بها: الرماح.

(٧) كذا بالأصل. وهذه الصيغة هي الشائعة الاستعمال لدى كتاب العصر المملوكي.

أرض واحدة وقاتلوا الروم؛ فأنزل الله نصره على المسلمين، فولّى الروم وأعطوهم ظهورهم، ورَكِبَهُم المسلمون فأثخنوهم قتلاً وأسرّاً، وأفلت كبيرُ الروم البرجيّ في عدد يسير إلى أنطاكية، وغنم المسلمون من عساكرهم وأموالهم شيئاً لا يُعدّ ولا يُحصى. وكان مع الروم ألفان من عسكر حلب المسلمين فقتل منجوتكين منهم ثلاثمائة. وتبع منجوتكين الروم إلى أنطاكية فأحرق ضياعها ونهب رساتيقها، ثم كرّ راجعاً إلى حلب، وكان وقت الغلات؛ فعلم لؤلؤ أنّه لا له نجدة، وأنّه يضعف عن مقاومة المصريّين؛ فكتب إلى المغربيّ والنُشُوريّ، كاتبَي منجوتكين، وأرغبهما في المال وبذل لهما ما أرضاهما، وسألهما أن يُشيّرا على منجوتكين بالانصراف عن حلب إلى دمشق وأن يعود في العام المُقبِل؛ فخطباه في ذلك، وصادف قولهما له شوق منجوتكين إلى دمشق؛ وكان منجوتكين أيضاً قد ملّ الحرب، فانخدع؛ وكتب هو والجماعة إلى العزيز يقولون: قد نفدت الميرة ولا طاقة للعساكر على المُقام، ويستأذنون في الرجوع إلى دمشق. وقبل أن يجيء جوابُ العزيز رحلوا عن حلب إلى دمشق. وبلغ العزيز ذلك فشقّ عليه رحيْلهم، ووجد أعداءَ المغربيّ طريقاً إلى الطعن فيه عند العزيز، فصرف العزيز المغربيّ وقلّد الأمرَ للأمير صالح بن عليّ الرُودبَارِيّ وأقعده مكانه. ثمّ حمل العزيز من غلات مصر في البحر إلى طرابلس شيئاً كثيراً. ثمّ رجع منجوتكين إلى حلب في السنة الآتية وبنى الدورَ والحمامات والخانات والأسواق بظاهر حلب، وقاتل أهل حلب. وأشدّت الحصارُ على لؤلؤ وأبى الفضائل بحلب، وعُدِمَت الأقوات عندهم بداخل حلب، فكتبوا ملك الروم ثانياً وقالوا له: متى أُخِذَت حلب أُخِذَت أنطاكية، ومتى أُخِذَت أنطاكية أُخِذَت قُسطنطينية. فلما سمع ملك الروم ذلك سار بنفسه في مائة ألف وتبعه من كلّ بلد من معاملته عسكره؛ فلما قُرب من البلاد أرسل لؤلؤ إلى منجوتكين يقول: إنّ الإسلام جامعٌ بيني وبينك، وأنا ناصح لكم، وقد وافاكم ملك الروم بجنوده فخذوا لأنفسكم؛ ثم جاءت جواسيسُ منجوتكين فأخبروه بمثل ذلك، فأحرق منجوتكين الخزائن والأسواق وولّى منهزماً؛ وبعث أثقاله إلى دمشق، وأقام هو بمَرَج قُنْشَرين ثم سار إلى دمشق. ووصل بسيل ملك الروم بجنوده إلى حلب، ونزل موضعَ عسكر المصريّين، فهاله ما كان فعله منجوتكين، وعلم كثرةَ عساكر المصريّين وعظُموا في

عينه؛ وخرج إليه أبو الفضائل صاحب حلب ولؤلؤ وخدماه^(١). ثم سار ملك الروم في اليوم الثالث ونزل على [حصن] شيزر^(٢) وفيه منصور بن كراديس أحد قواد العزيز، فقاتله يوماً واحداً، ثم طلب منه الأمان فأمنه؛ فخرج بنفسه إليه، فأهل^(٣) به بسيل ملك الروم وأعطاه مالاً وثياباً، وسلم الحصن إليه؛ فرتب ملك الروم [عليه] أحد ثقاته. ثم نازل حمص فأفتتحها عنوة وسبى منها ومن أعمالها أكثر من عشرة آلاف نسمة. ثم نزل على طرابلس أربعين يوماً، فقاتلهم فلم يقدر على فتحها، فرحل عائداً إلى الروم. ووصل خبره إلى العزيز فعظم عليه ذلك إلى الغاية، ونادى في الناس بالنفير، وفتح الخزائن وأنفق على جنده. ثم سار بجيوشه ومعه توابيت آبائه فنزل إلى الشام، ووصل إلى بانياس، فأخذه مرض القولنج وتزايد به حتى مات منه وهو في الحمام في سنة ست وثمانين وثلاثمائة. وقيل في وفاته غير ذلك أقوال كثيرة، منها أنه مات بمدينة بلبس^(٤) من ضواحي القاهرة، وقيل: إنه مات في شهر رمضان قبل خروجه من القاهرة في الحمام، وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر. وكانت مدة ولايته على مصر إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأياماً. وتولى مصر بعده ابنه أبو علي منصور الملقب بالحاكم الآتي ذكره إن شاء الله. وكان العزيز ملكاً شجاعاً مقداماً حسن الأخلاق كثير الصفح حليماً لا يؤثر سفك الدماء، وكانت لديه فضيلة؛ وله شعر جيد، وكان فيه عدل وإحسان للرعية. قلت: وهو أحسن الخلفاء الفاطميين حالاً بالنسبة لأبيه المعز ولابنه الحاكم، على ما يأتي ذكره إن شاء الله.

قال ابن خلكان: «وزادت مملكته على مملكة أبيه، وفتحت له حمص وحماء»

(١) في الأصل: «وخدماته».

(٢) شيزر: مدينة قديمة ذات قلعة، وكورة حسنة يجري فيها نهر العاصي. تقع على بعد خمسة عشر ميلاً إلى الشمال الغربي من حماة. وهي شطران: شطر ضمن القلعة على الرابية، وهو البلد، وشرط قرب الجسر على العاصي وهو المدينة. (الدر المنتخب: ٢٣١، وتقويم البلدان: ٢٦٢، ٢٦٣).

(٣) في الأصل: «فأهله بسيل».

(٤) هذه هي رواية ابن الأثير في تاريخه، وابن ميسر والمسيحي في أخبار مصر. وهي الرواية الراجحة عند الباحثين. وسيأتي للمؤلف نقل رواية المسيحي.

وَشَيَزُرْ وُحَلْبُ؛ وَخَطَبَ لَهُ الْمُقَلَّدُ^(١) الْعُقَيْلِيُّ صَاحِبَ الْمَوْصِلِ بِالْمَوْصِلِ [وَأَعْمَالِهَا]^(٢) فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَضَرَبَ أَسْمَهُ عَلَى السَّكَّةِ وَالْبَنُودِ، وَخَطَبَ لَهُ بِالْيَمَنِ. وَلَمْ يَزَلْ فِي سُلْطَانِهِ وَعِظَمِ شَأْنِهِ إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى بَلْبَيسَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الشَّامِ، فَأَبْتَدَأَتْ بِهِ الْعِلَّةُ فِي الْعِشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَلَمْ يَزَلْ مَرُضُهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، حَتَّى رَكِبَ يَوْمَ الْأَحَدِ لَخْمَسَ بَقِيَّةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ إِلَى الْحَمَّامِ بِمَدِينَةِ بَلْبَيسَ، وَخَرَجَ إِلَى مَنْزِلِ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْفَتْوحِ بَرْجَوَانَ، وَكَانَ بَرْجَوَانُ صَاحِبَ خَزَانَتِهِ بِالْقَصْرِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ وَأَصْبَحَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَقَدْ أَشْتَدَّ بِهِ الْوَجَعُ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَصَبِيحَةَ نَهَارِ الثَّلَاثَاءِ، وَكَانَ مَرُضُهُ مِنْ حَصَاةٍ وَقُولَنْجٍ، فَاسْتَدْعَى الْقَاضِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ النُّعْمَانَ وَأَبَا مُحَمَّدَ الْحَسَنِ بْنَ عَمَّارِ الْكُتَّامِيِّ الْمَلْقَبَ أَمِينَ الدَّوْلَةِ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَلَقَّبَ مِنَ الْمَغَارِبَةِ، وَكَانَ شَيْخَ كُتَّامَةٍ وَسَيِّدَهَا - ثُمَّ خَاطَبَهُمَا فِي أَمْرِ وَلَدِهِ الْمَلْقَبِ بِالْحَاكِمِ، ثُمَّ اسْتَدْعَى وَلَدَهُ الْمَذْكُورَ وَخَاطَبَهُ أَيْضًا بِذَلِكَ. وَلَمْ يَزَلْ الْعَزِيزُ فِي الْحَمَّامِ وَالْأَمْرُ يَشْتَدُّ بِهِ إِلَى بَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ النَّهَارِ، وَهُوَ الثَّلَاثَاءُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَتَوَفَّى فِي مَسْلَخِ الْحَمَّامِ. هَكَذَا قَالَ الْمُسَبِّحِيُّ.

قلت: والعزيرُ هذا هو الذي رُتِبَ الْفِطْرَةُ^(٣) فِي عِيدِ شَوَّالٍ، وَكَانَتْ تُعْمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْهَيْئَةِ. وَكَانَتْ الْفِطْرَةُ تُعْمَلُ وَتُفَرَّقُ بِالْإِيَّانِ، ثُمَّ نُقِلَتْ فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ؛ وَكَانَ مَصْرُوفُهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ. وَتَفْصِيلُ الْأَنْوَاعِ: دَقِيقُ أَلْفِ حَمْلَةٍ، سَكَّرُ سَبْعِمِائَةٍ^(٤) قَنْطَارٍ، قَلْبُ فُسْتَقِ سِتَّةِ قَنْطِيرٍ، لُوزُ ثَمَانِيَةِ قَنْطِيرٍ، بَنْدُقُ أَرْبَعَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «ابْنُ الْمُقَلَّدِ الْعُقَيْلِيُّ». وَمَا اثْبَتْنَاهُ عَنْ ابْنِ خُلِكَانَ وَابْنِ الْأَثِيرِ.

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ ابْنِ خُلِكَانَ.

(٣) وَهِيَ فِطْرَةُ الْعِيدِ: أَوَّلُ مَنْ رَتَبَهَا الْعَزِيزُ بِاللَّهِ، وَكَانَتْ تَعْمَلُ بِإِيَّانِ الْقَصْرِ وَتُفَرَّقُ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَحُولَ الْوَزِيرُ الْأَفْضَلُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى مِصْرَ وَسَكَنَ بِهَا فَاسْتَجَدَّ لِلْفِطْرِ دَارًا صَارَتْ فِيهَا بَعْدَ دَارِ الْأَمِيرِ عَزِ الدِّينِ الْأَفْرَمِ بِمِصْرَ قِبَالَةَ دَارِ الْوَكَالَةِ، وَعَمِلَتْ بِهَا الْفِطْرَةُ مَدَّةً، إِلَّا مَا يَخْصُ الْخَلِيفَةَ وَجِهَاتِهِ وَخَوَاصِهِ فَكَانَ يَعْمَلُ بِالْإِيَّانِ. فَلَمَّا تَوَفَّى الْأَفْضَلُ وَتَوَلَّى الْأَمُونَ بَنَى دَارَ الْفِطْرِ خَارِجَ الْقَصْرِ قِبَالَةَ بَابِ الدِّيلِمِ، وَاقْتَطَعَ لَهَا جُزْءًا مِنْ إِصْطَبِلِ الطَّارِمَةِ: (انْظُرْ خُطَطَ الْمُقْرِيزِيِّ: ٤٢٥/١، ٤٢٦، ٤٢٧، وَصَبَحَ الْأَعَشَى: ٣٥٤/٣، ٤٧٦، ٥٢٤، ٥٢٥) وَفِيهَا تَفْصِيلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ بِدَارِ الْفِطْرِ مِنَ الْحُلُوى وَغَيْرِهَا.

(٤) كَذَا أَيْضًا فِي الْمُقْرِيزِيِّ. وَفِي صَبْحِ الْأَعَشَى: «أَرْبَعِمِائَةٍ».

قناطير، تمر أربعمئة إردب، زبيب ثلاثمئة^(١) إردب، خل ثلاثة قناطير، عسل نحل خمسة قناطير^(٢)، شيرج مائتا قنطار، حطب ألف ومائتا حملة، سمس إردبان، أنيسون إردبان، زيت طيب للوقود ثلاثون قنطاراً، ماء ورد خمسون رطلاً، مسك خمس نوافج^(٣)، كافور عشرة مثاقيل، زعفران مائة وخمسون درهماً. ثمن مواعين وأجرة صنّاع وغيرها خمسمئة دينار. إنتهى باختصار. ولنعد^(٤) إلى ذكر وفاة العزيز صاحب الترجمة.

وقال صاحب تاريخ القيروان: «إن الطيب وصف له دواء يشربه في حوض الحمام، وغلط فيه فشربه فمات من ساعته؛ ولم ينكتم تاريخ موته ساعة واحدة. وترتب موضعه ولده الحاكم أبو علي منصور. وبلغ الخبر أهل القاهرة، فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقي الحاكم؛ فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها زيدان الصقلبي، فدخل القصر عند أصفرار الشمس، ووالده العزيز بين يديه في عمارية وقد خرجت رجلاه منها، وأدخلت العمارية القصر؛ وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان، ودفن عند أبيه المعز في حجرة من القصر. وكان دفنه عند العشاء [الأخيرة]^(٥). وأصبح الناس يوم الخميس سألخ الشهر والأحوال مستقيمة، وقد نودي في البلدان: لا مؤونة ولا كلفة، وقد آمنكم الله على أموالكم وأرواحكم؛ فمن نازعكم أو عارضكم فقد حلّ ماله ودمه. وكانت ولادة العزيز يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمئة». إنتهى كلام ابن خلكان باختصار، رحمه الله.

وقال المختار المسبّحي صاحب التاريخ المشهور: «قال لي الحاكم، وقد جرى ذكر والده العزيز: يا مختار، استدعاني والذي قبل موته وهو عاري الجسم،

(١) في الصبح: ٤٣٠ إردب زبيب.

(٢) في المقرزي والصبح: «خمس عشرة قنطاراً».

(٣) في الأصل: «نوافج» وهو تحريف. والتصحيح عن المقرزي والصبح. والنوافج: جمع نافجة، وهي وعاء المسك.

(٤) في الأصل: «ولنعد».

(٥) زيادة عن ابن خلكان.

وعليه الخِرْق والضماد (يعني كونه كان في الحمام) قال: فاستدعاني وقبلني وضمني إليه، وقال: واغمي عليك يا حبيب قلبي! ودمعت عيناه، ثم قال: امض يا سيدي فآلعب فأننا في عافية. قال الحاكم: فمضيتُ والتهيتُ بما يلتهى به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله تعالى العزيز إليه». انتهى كلام المسبّحي.

وقد ذكرنا في وفاة العزيز عدّة وجوه من كلام المؤرخين رحمهم الله تعالى. وكان العزيز حازماً فصيحاً. وكتابه إلى عضد الدولة بحضرة الخليفة الطائع العباسي يدلّ على فضل وقوة. وكان كتابه يتضمّن بعد البسملة:

«من عبد الله وولّيه نزار أبي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين، إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي علي.

سلام عليك؛ فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله الصلاة على جدّه محمد رسول ربّ العالمين، وحجّة الله على الخلق أجمعين، صلاةً باقيةً ناميةً متصلةً دائمةً بعترته الهادية، وذريته الطيبة الطاهرة.

وبعد، فإنّ رسولك^(١) وصل إلى حضرة أمير المؤمنين، مع الرسول المنفذ إليك، فأدّى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودّتك، ومعرفتك بحقّ إمامته، ومحبتك لأبائه الطائعين الهادين المهدّيين. فسّر أمير المؤمنين بما سمعه عنك، ووافق ما كان يتوسّمه فيك وأنك لا تعدّل عن الحقّ.

ثم ذكر كلاماً طويلاً في المعنى إلى أن قال:

وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين، وخراب الشام

(١) وكان العزيز الفاطمي قد أرسل قبل هذا كتاباً إلى عضد الدولة مع رسول من قبله اسمه أبو الوليد عتبة بن الوليد. فأرسل عضد الدولة جواباً مع رسول له هو أبو محمد العماني القاضي وبصحبته رسول العزيز. ونص رسالة العاضد أوردها ابن ظافر كما يلي: «... كان أبو الوليد ورد علينا وافداً عن تلك الحضرة الشريفة — حرسها الله تعالى — ومتحملاً رسائل يعتقد بمثلها المودة، ويستصفي بحكمها الثقة، فأصحننا له، وأعدنا أبا الوليد إلى تلك الحضرة المحروسة موصول الجناح برسولنا فلان». (أخبار الدول المنقطعة لجمال الدين علي بن ظافر: ص ٣٣ - ٣٤).

وضعف أهله، وغلاء الأسعار. ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور، وسوف يُقدّم إلى الحيرة، وكتابه يُقدّم عليك عن قريب، فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله». وفي آخر الكتاب: «وكتبه يعقوب بن يوسف بن كلّس عند مولانا أمير المؤمنين».

فكتب إليه عضد الدولة كتاباً يعترف فيه بفضل أهل البيت، ويُقرّ للعزيز أنه من أهل تلك النّبعة الطاهرة، [وأنه في طاعته]^(١) ويُخاطبه بالحضرة الشريفة، وما هذا معناه. انتهى.

قلت: وأنا أتعجب من كون عضد الدولة كان إليه أمر الخليفة العباسي ونهيه، ويقع في مثل هذا لخلفاء مصر، وقد عَلم كلّ أحد ما كان بين بني العباس وخلفاء مصر من الشّتان. وما أظنّ عضد الدولة كتب له ذلك إلّا عجزاً عن مقاومته؛ فإنّه قرأ كتابه في حضرة الخليفة الطائع، وأجاب بذلك أيضاً بعلمه، فهذا من العجب.

قال الوزير يعقوب بن كلّس: «سمعت العزيز بالله يقول لعمّه حيدر: يا عمّ، أحبّ أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضّة والجوهر، ولهم الخيل واللباس والضّياع والعقار، وأن يكون ذلك كلّهُ من عندي». قال المسبحي: وهذا لم يُسمع بمثله قطّ من ملك. إنتهت ترجمة العزيز. ولما مات رثاه الشعراء بعدة قصائد.

* * *

السنة الأولى من ولاية العزيز نزار العبيدي على مصر

وهي سنة ست وستين وثلاثمائة.

فيها في جمادى الأولى زُفّت بنتُ عزّ الدولة إلى الخليفة الطائع لله العباسي.

وفيها جاء أبو بكر محمد بن عليّ بن شاهويه صاحب القرامطة، ومعه ألف

(١) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

رجل من القرامطة إلى الكوفة، وأقام الدعوة بها لعُضد الدولة، وأسقط خطبة عَزَّ الدولة بِخَيْتَار. وكان قدومه معونةً لعُضد الدولة.

وفيها عُمِل في الدِّيار المصرية المأتمُّ في يوم عاشوراء على الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهو أوَّل ما صُنِع ذلك بديار مصر. فدامت هذه السُّنة القبيحة سنين إلى أن أنقرضت دولتهم، على ما سيأتي ذكره.

وفيها كانت وَقْعَةٌ بين عَزَّ الدولة بن معزِّ الدولة أحمد وبين آبن عمِّه عُضد الدولة بن رُكن الدولة الحسن بن بُويه، وقعة هائلة أُسِر فيها غلامٌ تركيٌّ لعَزَّ الدولة؛ فأشتدَّ حزنه عليه، وأمتنع عَزَّ الدولة من الأكل والشرب وأخذ في البكاء واحتجب عن الناس وحرَّم على نفسه الجلوس في الدُّست؛ وبذل لعُضد الدولة في الغلام المذكور جارييتين عَوادتين كان قد بُذِل له في الواحدة مائة ألف درهم؛ فردَّه عُضد الدولة عليه.

وفيها حجَّ بالناس أبو عبد الله أحمد بن [أبي] ^(١) الحسين العَلَوِي. وحجَّت في السنة جميلة بنت ناصر الدولة بن حَمْدان، ومعها أخوها ^(٢) إبراهيم [وهبة الله] ^(١) حَجَّةً ضُرِب بها المثل، وفرَّقَت أموالاً عظيمةً؛ منها أَنَّها لما رأت الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار، وسقت جميعَ أهل الموسم السَّويق بالسكر والثَّلج. كذا قال أبو منصور الثعالبي. وقُتِل أخوها هبة ^(٣) الله في الطريق. وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية، وفرَّقَت المال في المجاورين حتى أغتتهم، وخلعت على كبار الناس خمسين ألف ثوب. وكان معها أربعمائة عَمَارِيَّة. ثم ضَرَب الدهر ضَرْبَانَهُ وأستولى عُضد الدولة بن بويه على أموالها وحصونها؛ فَإِنَّه كان خطبها فامتنعت،

(١) زيادة عن المنتظم وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) في الأصل: «ومعها أخوها إبراهيم حجة... إلخ»، والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ الإسلام.

(٣) في الأصل: «وقتل أخوها إبراهيم» وما أثبتناه عن عقد الجمان. وسبب قتله أنه جرى قتال بين أصحابها وبين الحجاج الخراسانيين على الماء، فأصاب أخاها هبة الله سهم فقتله.

ولم يَدْع لها شيئاً إلى أن احتاجت وأفتقرت. فأنظر إلى هذا الدهر كيف يرفع ويَضَع^(١)!

وفيهما تُوفِّي المستنصر بالله صاحبُ الأندلس، أبو العاصي، الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي. بقي في الملك ستة عشر عاماً^(٢)، وعاش ثلاثاً وستين سنة. وكان حسن السيرة، جمع من الكتب ما لا يُحَد ولا يُوصَف^(٣). وفيها تُوفِّي السلطان ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه بن فَنَاحُشُرُوبن تمام بن كوهي بن شيرزِيل الأصغر بن شيركوه بن شيرزِيل [الأكبر]^(٤) الدَّيْلَمِي، صاحب أصبهان والرِّي وَهَمَذَان وعِرَاق العجم كُلِّه. وهؤلاء الملوك الثلاثة: عضد الدولة وفخر الدولة ومؤيد الدولة أولاده^(٥). وكان مَلِكاً جليلاً سعيداً في أولاده؛ قسم عليهم الممالك، فقاموا بها أحسن قيام. وملك ركن الدولة أربعاً وأربعين سنة وأشهرًا. وكان أبو الفضل بن العميد وزيره، والصاحبُ إسماعيل بن عَبَّاد كان وزيراً وَلَدِيَه مؤيد الدولة ثم فخر الدولة. ومات ركن الدولة المذكور في المحرم. و«بُوَيَه»: بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة؛ و«فَنَاحُشُرُوبن»: بفتح الفاء وتشديد النون وبعد الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة وبعدها واو. وقد ضبطته لكي يُعَرَف بعد ذلك أسم من يأتي من أولاده في هذا الكتاب.

(١) وكانت جميلة بنت ناصر الدولة إحدى شهيرات النساء في الكرم والعقل والجمال. ولم تتزوج أنفة من أن يتحكم بها زوجها. ولما تغلب عضد الدولة على أخيها أبي تغلب، أمير الموصل، سنة ٥٣٦٩هـ، فر أبو تغلب إلى الرملة، ورحلت معه جميلة في جماعة من حاشيته، فخرج عليهم دغفل بن مفرج، أمير طيء، فقتل أبا تغلب وحمل جميلة إلى حلب ثم إلى بغداد، فاعتقلها عضد الدولة في حجرة، ثم أركبها جلاً وشَهْرَ بها، وألقاها في دجلة فماتت غرقاً سنة ٥٣٧١هـ. (الأعلام: ١٣٩/٢).

(٢) في الحلة السيرة لابن الأثير: «خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام».

(٣) قال ابن الأثير: «ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها... وكان له ورَاقون بأقطار البلاد يتتخون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الأفاق باحثين عنها... حتى غصت بها بيوته وضافت عنها خزائنه». الحلة السيرة: ٢٠٠/١.

(٤) زيادة عن ابن خلكان.

(٥) في الأصل: «إخوته» وهو خطأ سببه سبق قلم من الناسخ، باعتبار أنه سيذكر نسبتهم إليه صحيحة بعد قليل.

وفيهما تُوفِّي إسماعيل الشيخ أبو عمر السلمي^(١). كان من كبار المشايخ وله قدمُ صدق وحكايات مشهورة، رحمه الله.

وفيهما تُوفِّي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام أبو علي، وقيل: أبو محمد، القرمطيّ الجَنَابي الخارجي. ولد بالأحساء في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين، وغلب على الشام لما قُتل جعفر بن فلاح، وتوجّه إلى مصر لقتال المعزّ العبّديّ، كما ذكرناه في ترجمة المعزّ، ثم مات بالرملة في عوده إلى دمشق في شهر رجب. وجده أبو سعيد هو أول القرامطة، وقد مرّ من أخبارهم القبيحة نبذة كبيرة في عدّة سنين. وكان الحسن هذا صاحب الترجمة فصيحاً شاعراً، وكان يُلقب بالأعصم^(٢)، وكان يلبس الثياب القصيرة؛ وهو أحد من قتل العباد، وأخرب البلاد.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد^(٣) الجَنَابي القرمطيّ - كان ملك الشام وحاصر مصر شهراً، وركن الدولة الحسن بن بُوَيْه صاحب عراق العجم، وكانت دولته خمساً وأربعين سنة، ووّر له أبو الفضل بن العميد. وتُوفِّي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكرياء بن حيّويه^(٤) النيسابوريّ بمصر، وأبو الحسن محمد بن الحسن النيسابوريّ السراج المقرئ الزاهد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

(١) في الأصل: «أبو عمرو السلمي». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية.

(٢) في طبعة دار الكتب: «بالأعظم» وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «الحسن بن أحمد بن سعيد بن أبي سعيد».

(٤) في الأصل: «حيوة» وما أثبتناه عن الذهبي.

السنة الثانية من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة سبع وستين وثلاثمائة.

فيها دخل عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بغداد، وخرج منها ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، ثم تقاتلا فأنصر عز الدولة ثم قتل، حسب ما سنذكره في هذه السنة.

وفيها زادت دجلة في نيسان حتى بلغت إحدى وعشرين ذراعاً، فهدمت الدور والشوارع، وهرب الناس في السفن، وهياً عضد الدولة الزبازب تحت داره (والزبازب هي المراكب الخفيفة).

وفيها حج بالناس أبو عبد الله العلوي.

وفيها جاء الخبر بهلاك أبي يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر، وأغلقت الأسواق له بالكوفة ثلاثة أيام، وكان قد توزر لعضد الدولة.

وفيها توفي أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد النصربادي النيسابوري (ونصرباد: محلة من نيسابور. وكل باد يأتي في اسم بلد من هؤلاء البلدان هو بالتفخيم حتى يصح معناه). كان أبو القاسم حافظ خراسان وشيخها، وإليه يرجع في علوم القوم والسير والتواريخ، وكان صحب الشبلي وغيره من المشايخ. مات بمكة حاجاً، ودفن عند قبر الفضيل بن عياض.

وفيها توفي السلطان أبو منصور بختيار عز الدولة بن معز الدولة أحمد بن بويه الدليمي. ولي ملك العراق بعد أبيه، وتزوج الخليفة الطائع لله عبد الكريم بآبنته شاه^(١) زمان على صداق مائة ألف دينار. وكان عز الدولة شجاعاً قوياً يمسك الثور العظيم بقرنيه فلا يتحرك^(٢). وكان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة منافسات وحروب على الملك، وتقاتلا غير مرة آخرها في شوال، قتل فيها عز الدولة المذكور في

(١) كذا في ابن خلكان وشذرات الذهب. وفي الأصل: «شاه نار».

(٢) الرواية المشهورة: «يمسك الثور العظيم بقرنيه فيصرعه».

المعركة^(١)، وحُمل رأسه إلى عَضُد الدولة، فوَضَعَ المِنْدِيل على وجهه وبكى. وتملك عَضُد الدولة العراق بعده، وأستقلَّ بالممالك^(٢). وعاش عَز الدولة ستاً وثلاثين سنة.

وفيهما توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، أبو طاهر الذهلي البغدادي القاضي نزيل مصر وقاضياها. وُلِد ببغداد في ذي الحجة سنة تسع وسبعين ومائتين. وفيها تُوفي الوزير أبو طاهر، محمد بن محمد بن بقيّة، وزير عَز الدولة؛ وكان عَضُد الدولة قد بعث إليه يُمِيله عن عَز الدولة؛ فقال: الخيانة والغدرُ ليستا من أخلاق الرجال. فلَمَّا قُتِل عَز الدولة قَبَض عليه عَضُد الدولة وشهره في بغداد من الجانبين وعلى رأسه بُرُنس، ثم أمر به أن يُطَرَح تحت أَرْجُل الفَيْلَة فقتلته الفيلة، ثم صُلب في طَرَف الجسر من الجانب الشرقي^(٣)، ولم يَشْفَعْ فيه الخليفة الطائع لأمر كان في نفسه منه أيام مخدومه عَز الدولة، وأقيم عليه الحرس. فأجتاز به أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري الصوفي الواعظ، وكان صديقاً لابن بقيّة المذكور، فرثاه بمرثيته المشهورة وهي: [الوافر]

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ	لَحَقُّ أَنْتَ إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ
كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا	وَقُدُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيئاً	وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
مَدَدَتْ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ أَحْتِفَاءً	كَمَدَّهُمَا إِلَيْهِم بِالْهَبَاتِ
وَتَشَعَّلَ عِنْدَكَ النَّيْرَانُ لَيْلاً	كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ

(١) في ابن الأثير وتاريخ الخلفاء للسيوطي أن عَضُد الدولة ظفر بعز الدولة في تلك المعركة، وأخذه أسيراً، ثم قتله بعد ذلك.

(٢) قال السيوطي: «وخلع الطائع على عَضُد الدولة خلع السلطنة، وتوجّه بتاج مجوهر، وطوّقه وسوره، وقلّده سيفاً، وعقد له لواءين بيده، أحدهما مفضض على رسم الأمراء، والآخر مذهب على رسم ولادة اليهود؛ ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله. وكتب له عهداً، وقرئ بحضرته، ولم يبق أحد إلا تعجّب، ولم تجر العادة بذلك؛ إنما كان يدفع العهد إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين، فإذا أخذه قال أمير المؤمنين: هذا عهدي إليك، فاعمل به».

(٣) في ابن خلكان: «ثم صلبه عند داره بباب الطاق».

رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٌ^(١) عَلاهَا فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَاتِ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا تَمَكَّنَ مِنْ عِتَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ فِيهَا تَأْسَى تَبَاعَدَ عَنْكَ تَعْيِيرَ الْعُدَاةِ
أَسَأْتَ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَثَارَتْ فَأَنْتَ قَتِيلٌ ثَارَ النَّائِبَاتِ
وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ جَوْرِ^(٢) اللَّيَالِي فَعَادَ مُطَالِبًا لَكَ بِالتُّرَاتِ
وَصَيَّرَ دَهْرُكَ الْإِحْسَانَ فِيهِ إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ
وَكُنْتَ لِمَعْشَرٍ سَعْدًا فَلَمَّا مَضَتْ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْجِسَاتِ
غَلِيلٌ بَاطِنٌ لَكَ فِي فَوَازِي يُخَفِّفُ بِالدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامٍ لَفَرَضْتُكَ وَالْحَقُوقِ الْوَاجِبَاتِ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظَمِ الْقَوَافِي وَنَحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ
وَلَكِنِّي أَصْبَرْتُ عَنْكَ نَفْسِي مَخَافَةً أَنْ أَعْدَّ مِنَ الْجَنَاةِ
وَمَا لَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولُ تُسْقَى لِأَنَّكَ نُصِبَ هَظْلُ الْهَاطِلَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عَلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَأَسْتَنَابُوا عَنْ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ^(٣)
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتَرَى بِرَحْمَاتِ عَوَادٍ رَائِحَاتِ

قلت: ولم أذكر هذه المراثية بتمامها هنا إلا لغرابتها وحسن نظمها. وأستمر
أبن بقیة مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة.

وفيها توفي الأمير الغضنفر^(٤) بن ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل
وأبن صاحبها.

(١) إشارة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي قتل في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ، وحمل رأسه إلى الشام فنصب على باب دمشق، ثم أرسل إلى المدينة فنصب عند قبر النبي يوماً وليلة، وحمل إلى مصر فنصب بالجامع، فسرقة أهل مصر ودفنوه. وفي بعض الروايات أنهم صلبوه على خشبة إلى سنة ١٢٦هـ، ثم أنزل بعد أربع سنين وأحرق. (الأعلام: ٥٩/٣).

(٢) في ابن خلكان: «من صرف الليالي».

(٣) كذا في ابن خلكان؛ وفي الأصل: «السائحات». والسافيات: الريح تحمل التراب.

(٤) هو الأمير عدة الدولة، فضل الله، أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة. وترجمه ابن الغوطي في تلخيص =

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفي أبو القاسم إبراهيم بن محمد النَّصْرَبَادِي الواعظ العارف، وعزَّ الدولة بَحْتِيَار بن معز الدولة بن بُويه ملك العراق - قتل في مصافِّ بينه وبين آبن عمه عضد الدولة، والغضنفر بن ناصر الدولة بن حَمْدان صاحب الموصل وآبن صاحبها، وأبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الدُّهْلِي بمصر في ذي القعدة، وله ثمان وثمانون سنة، وأبو بكر محمد بن عمر القُرْطُبِي ابن القُوْطَيْبة اللغوي، والوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بَقِيَّة نصير^(١) الدولة، وزير عزَّ الدولة، صلبه عضدُ الدولة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

فيها أمر الخليفة الطائع أن تُضرب على باب عضد الدولة الدبادب (أعني الطبلخانات)^(٢) في وقت الصبح والمغرب والعشاء، وأن يُخطب له على منابر الحضرة. قلت: وهذا أوَّل ملك دُقَّت الطبلخانة على بابه، وصار ذلك عادة من يومئذ. وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: «وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أُطلقا لولاية العهود، [ولا خُطِبَ بحضرة السلطان إلَّا له]^(٣)، ولا ضُربت الدبادب

= مجمع الآداب في معجم الألقاب: «عمدة الحضرة، عمدة الدولة، أبو تغلب، هبة الله». وتاريخ وفاته على الصحيح هوسنة ٣٦٩ هـ؛ وسيأتي للمؤلف ذكر وفاته في حوادث سنة ٣٦٩ هـ من هذا الكتاب. (الأعلام: ١٢٠/٥، والأعلاق الخطيرة: ٦٧٧/٣ - حاشية).

(١) في الأصل: «نصر الدولة». وما أثبتناه من ابن خلكان.

(٢) الطبلخانات: كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أوبيت الطبل. وهي طبول متعددة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص. (صبح الأعشى: ٨/٤، ٩، ١٣. والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٢٨).

(٣) راجع ص ١٣٤، حاشية (٢).

إِلَّا عَلَى بَابِهِ^(١). وقد كان معز الدولة أحبَّ أن تُضْرَبَ له الدبَابُ بمدينة السلام، فسأل الخليفة المطيع لله في ذلك فلم يأذن له». قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وما ذاك إِلَّا لضعف أمر الخلافة. انتهى.

وفيها تُوفِّي أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، الحافظ أبو بكر القَطِيعِي البَغْدَادِي؛ كان يسكن قطيعة الرقيق. ومولده في أوائل سنة أربع وسبعين ومائتين. وكان مُسِنِدَ العراق في زمانه وسمع الكثير، وروى عنه الدارقُطَنِي وأبن شاهين والحاكم وخلق سواهم.

وفيها تُوفِّي عبد الله بن إبراهيم بن يوسف، الحافظ أبو القاسم الجُرْجَانِي^(٢) الأَبْنَدُونِي، وَأَبْنَدُون: قرية من قرى جُرْجَان. كان رفيقَ آبن عديّ في الرحلة؛ سكن بغداد وحدث بها عن جماعة، وروى عنه رفيقه الإمام أبو بكر الإسماعيلي^(٣) وغيره.

وفيها تُوفِّي محمد بن عيسى بن عمروه، الشيخ أبو أحمد الجُلُودِي الزاهد، راوي صحيح مسلم؛ سمع الكثير، وروى عنه غير واحد. قال الحاكم: كان من أعيان الفقراء الزهّاد، وأصحاب المعاملات في التصوّف؛ ضاعت سماعته من آبن سفيان، فنسخ البعض من نسخة لم يكن له فيما سماع.

وفيها تُوفِّي هفتكين الأمير أبو منصور التركي الشرابي^(٤). هَرَبَ من بغداد خوفاً من عضد الدولة، ووقع له أمور مع العزيز هذا صاحب الترجمة بمصر، ثم

(١) زيادة عن المنتظم لابن الجوزي.

(٢) كذا أيضاً في أنساب السمعاني. وذكر ثلاث روايات لوفاته: ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ هـ. وفي المنتظم وعقد الجمان: «الزنجاني».

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس، أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي: ٩٤٧/٣. وفيه أن وفاته سنة ٣٧١ هـ.

(٤) في الأصل: «الشيرازي» وهو تحريف. وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب. ويقال له: أفتكين وهفتكين. وكان أفتكين هذا غلاماً لمعز الدولة بن بويه، وكان من أكابر الجند ذوي النفوذ في بلاط بغداد. ولكنه هزم في بعض الحروب الداخلية، ففرّ في بقية من جنده إلى الشام، واستطاع بمؤازرة بعض العناصر الناقمة أن يستولي على دمشق وأن يتزعمها من حاميتها الفاطمية. ودعا أفتكين في دمشق للخليفة العباسي، واستقدم إليه القرامطة، وتحالف معهم على غزو مصر، ولكنه فشل في مشروعه كما مر معنا.

أطلقه العزيز. وصار له موكب؛ فخافه الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس، فدرس عليه من سقاه السم. وكان إليه المنتهى في الشجاعة..

وفيها توفي تميم بن المعز مَعَدَّ العَبِيدِيّ الفاطميّ أخو العزيز هذا صاحب مصر. وكان تميم أُمَيْرَ أولاد المعز، وكان فاضلاً جَوَاداً سَمُحاً يقول الشعر. وشقّ موته على أخيه العزيز.

وفيها توفي الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبَان، أبو سعيد السَّيرافيّ النحويّ القاضي. كان أبوه مجوسياً وأسمه بَهْزَاد فأسلم فسَمِيَ عبد الله. سكن الحسن بغداد، وولي القضاء بها؛ وكان مُفْتَنّاً في علوم القراءات والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب وسائر العلوم، وشرح كتاب سيبويه، مع الزهد والورع.

وفيها توفي عبد الله بن محمد [بن] (١) وَرَقَاء أبو أحمد الشيبانيّ؛ كان من أهل البيوتات، وأسرته من أهل الثغور؛ مات في ذي الحجة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن يعقوب النيسابوريّ من ولد الحجاج بن الجراح؛ سمع الكثير، وكان عابداً صالحاً حافظاً ثقة صدوقاً.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن جعفر القَطِيعِيّ في ذي الحجة عن خمس وتسعين سنة، وأبو سعيد الحسن بن عبد الله السَّيرافيّ النحويّ في رجب وله أربع وثمانون سنة، وأبو القاسم عبد الله بن إبراهيم الجرجانيّ الأَبْدُونِيّ الحافظ الزاهد ببغداد وله خمس وتسعون سنة، وعيسى بن حامد الرُّخَجِيّ (٢) القاضي، وأبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجُلُودِيّ في ذي الحجة وله ثمانون سنة، وأبو الحسين محمد بن محمد بن يعقوب الحَجَّاجِيّ الحافظ المفيد الصالح في ذي الحجة بنيسابور عن ثلاث وثمانين سنة،

(١) زيادة عن المنتظم.

(٢) نسبة إلى الرخجة، قرية ببغداد.

وهفتكين التركي الذي هرب خوفاً من عضد الدولة، وتملك دمشق وحارب المصريين مرات.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

السنة الرابعة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة تسع وستين وثلاثمائة.

فيها تزوج الخليفة الطائع بنت عضد الدولة؛ وقد مر^(١) ذلك، ولكن الأصح في هذه السنة. وعُقد العقد بحضرة الخليفة الطائع على صداق مبلغه مائتا ألف دينار. وكان الوكيل عن عضد الدولة في العقد أبا علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، والخطيب أبو علي المحسن بن علي القاضي التتوخي وكيلاً عن الخليفة.

وفيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العلوي.

وفيها توفي فارس بن زكرياء، والد آبن فارس^(٢) أبي الحسين اللغوي صاحب كتاب «المُجمل في اللغة». وكان عالماً بفنون العلوم، وروى عنه الأئمة، ومات ببغداد.

وفيها توفي أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء، أبو عبد الله الروذباري، ابن أخت أبي علي الروذباري. كان شيخ الشام في وقته، وكان ممن جمع بين علم الشريعة والحقيقة، ومات بقرية بين عكا وصور يقال لها منوات^(٣).

وفيها توفي الحسين^(٤) بن علي أبو عبد الله البصري؛ ويعرف بالجعل، سكن

(١) الذي مرّ في حوادث سنة ٣٦٦هـ أن التي زفت إلى الطائع هي بنت عز الدولة.

(٢) وهو أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ. وله أيضاً «مقاييس اللغة» وغيره.

(٣) كذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان: بنون ساكنة، وثاء مثلثة في الأخير. وفي الموسوعة الفلسطينية: منوات (بنون مفتوحة وثناء مثناة في الأخير). وهي قرية تبعد ١٧ كلم شمال شرق عكا.

(٤) كذا أيضاً في شذرات الذهب وتاريخ بغداد. وفي المتظم وعقد الجمان: «الحسن».

بغداد. وكان من شيوخ المعتزلة، وصنّف على مذاهب المعتزلة، ومات يوم الجمعة ثاني ذي الحجة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد الراسبيّ؛ كان بغداديّ الأصل وكان من كبار المشايخ وأرباب المعاملات. ومن كلامه قال: خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمواصلة، والمؤمنين للمجاهدة. ومن كلامه: أعظم حجاب بينك وبين الحق اشتغالك بتدبير نفسك، وأعتماذك على عاجز مثلك في أسبابك. وتُوفّي ببغداد.

وفيها تُوفّي أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن حمدان التغلبيّ، وقد تقدّم ذكر وفاته، والأصحّ أنّه في هذه السنة. كان ملك الموصل وديار ربيعة وقلاع ابن حمدان، ووقع له حروب مع بني بُويه وأقاربه بني حمدان، إلى أن طرده عضد الدولة وأخذ منه بلاده فأنهزم إلى أخلاط^(١)؛ ثمّ توجه نحو الديار المصرية وحارب أعوان العزيز صاحب مصر فقتل في المعركة، وبُعث برأسه إلى العزيز صاحب الترجمة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان^(٢) الحافظ أبو محمد الأصبهانيّ، أبو الحافظ صاحب التصانيف؛ وُلد سنة أربع وسبعين ومائتين، وسمع في صغره من جدّه لأمه محمود بن الفرّج الزاهد وغيره، وهو صاحب تاريخ بلده^(٣)، والتاريخ على السنين، و«كتاب السنّة» و«كتاب العظمة»^(٤) وغيرها.

وفيها تُوفّي أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون

(١) أخلاط، ويقال خلّاط: مدينة في تركيا. «وهي على الحدود ما بين بلاد المسلمين والأرمن... ويتكلمون بها ثلاث لغات، العربية والفارسية والأرمنية، وأظن أنها سميت أخلّاط لهذا السبب» - سفرنامه: ٣٩، ٤٠.

(٢) كذا في تذكرة الحفاظ ومعجم البلدان وكشف الظنون وتاج العروس وأنساب السمعاني. وفي الأصل وشذرات الذهب والأعلام: حيّان، بالياء الموحدة.

(٣) وهو كتاب «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها».

(٤) وهو رسالة في التاريخ. (الأعلام: ١٢٠/٤).

العجلّي الصُّعلوكيّ النِّسابوريّ الفقيه الشافعيّ. كان أديباً لغوياً مفسراً نحوياً شاعراً صوفيّاً. وُلد سنة ستّ وتسعين ومائتين، ومات في ذي القعدة. ومن شعره:
[الطويل]

أنامُ على سَهْوٍ وتَبْكِي الحمائمُ وليس لها جُرْمٌ ومَنِي الجرائمُ
كذبتُ وبيتَ الله لو كنتُ عاشقاً لَمَّا سبقتني بالبكاء الحمائمُ

وفيهما تُوفيّ محمد بن صالح بن عليّ بن يحيى بن عبد الله، أبو الحسن القاضي القرشيّ الهاشمي، ويُعرف بأبن أمّ شيبان؛ سمع الكثير، وتفقه على مذهب مالك رضي الله عنه، وكان عاقلاً متميزاً كثير التصانيف. ولم يلّ القضاء بمدينة السلام من بني هاشم غيره.

وفيهما تُوفيّ محمد بن عليّ بن الحسن أبوبكر التّيسيّ^(١). سمع منه الدارقطني؛ ورآه وحده فقال له: يا أبا بكر، ما في بلدك مسلم؟ قال: بلى، ولكنهم أشتغلوا بالدنيا عن الآخرة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفيّ أبو عبد الله بن عطاء الروذباريّ، وعبد الله بن إبراهيم بن أيّوب بن ماسي^(٢) في رجب وله خمس وتسعون سنة، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان أبو الشيخ في المحرمّ وله خمس وتسعون سنة، وأبو سهل محمد بن سليمان الصُّعلوكيّ ذو الفنون في آخر السنة وله ثمانون^(٣) سنة، وقاضي العراق آبن أمّ شيبان أبو الحسن محمد بن صالح الهاشميّ فجأة في جمادى الأولى عن ستّ وسبعين سنة، وأبوبكر محمد بن عليّ بن الحسن المصريّ بن النقاش في شعبان، وكان حافظاً، وأبو عمرو^(٤)

(١) في الأصل: «النفليسي» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام. والتّيسّي: نسبة إلى تيس من بلاد مصر.

(٢) في الأصل: «ابن ماش» وهو تحريف. وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام.

(٣) سبق للمؤلف ذكر ولادته سنة ٢٩٦هـ، فتكون سنّه عند وفاته في هذه السنة ثلاثاً وسبعين سنة. وفي شذرات الذهب أنه ولد سنة ٢٩٠هـ، فتكون سنّه عند وفاته حوالي الثمانين سنة كما جاء هنا.

(٤) لم يذكره الذهبي في تاريخه.

محمد بن صالح ببخارى، وأبو عليّ مخلّد بن جعفر الباقرجي^(١).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً
سواء.

* * *

السنة الخامسة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة سبعين وثلاثمائة.

فيها خرج عضد الدولة للقاء الصاحب إسماعيل بن عبّاد؛ فقدم عليه ابن عبّاد من الريّ من عند أخيه مؤيّد الدولة، فبالغ عضد الدولة في إكرامه إلى الغاية لكونه وزير أخيه مؤيّد الدولة وصاحب أمره ونهيه. وتردّد إليه عضد الدولة في إقامته ببغداد غير مرّة إلى أن سافر إلى مخدومه مؤيّد الدولة في شهر ربيع الآخر.

وفيها توجه عضد الدولة إلى همدان. فلما عاد إلى بغداد خرج الخليفة لتلقّيه؛ ولم يكن ذلك بعادة أنّ الخليفة يلاقي أحداً من الأمراء. قلت: وهذا كان أولاً، وأما في الآخر فإنّ الطائع كان قد بقي تحت أوامر عضد الدولة كالأسير.

وفيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلويّ وخطب بمكة والمدينة للعزيز هذا صاحب مصر.

وفيها غرقت بغداد من الجانبين وأشرف أهلها على الهلاك، ووقعت القنطرتان وغُرم على بنائهما أموال كثيرة.

وفيها تُوفيّ أحمد بن عليّ، الإمام العلامة أبوبكر الرازيّ الحنفيّ العالم المشهور. مولده في سنة خمس وثلاثمائة، كان إمام الحنفية في زمانه، وكان مشهوراً بالدين والورع والزهد. قال أبو المظفر في تاريخه: وحاله كان يزيد على حال الرهبان من كثرة التقشّف، وهو صاحب التصانيف وتلميذ أبي الحسن الكرخي.

(١) الباقرجي: نسبة إلى باقرحى، من قرى بغداد.

وفيهما تُوفِّي محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن زكرياء، الحافظ أبو بكر الورّاق المعروف بـغُنْدَرٍ؛ كان حافظاً مُتَقَنّاً، ورحل [إلى] البلاد وسمِع الكثير، وكتب ما لم يكتبه أحد، وكان حافظاً ثقة.

الذين ذكر الذهبِي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّي أبو بكر أحمد بن عليّ الرازيّ عالم الحنفيّة في ذي الحجة وله خمس وستون سنة، وبشر بن أحمد أبوسهل الأسفرايني في شَوَّال عن نَيْف وتسعين سنة، وأبو محمد الحسن بن أحمد السَّبيعيّ الحلبِيّ الحافظ. وأبو محمد الحسن بن رشيّق بمصر في جمادى الآخرة، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خَالَوَيْهِ النحويّ، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن فُورَك في ذي القعدة، وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهرِيّ صاحب [تهذيب]^(١) اللغة في ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ذراع واحدة. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة السادسة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

فيها اتَّفَق فخر الدولة وقابوس^(٢) بن وَشْمِكِيْر على عداوة أخيه عَضْد الدولة في الباطن. قلت: وهذه أوّل فتنة بدت بين الإخوة أولاد ركن الدولة الثلاثة: عضد الدولة، وفخر الدولة، ومؤيد الدولة. وفَطَن عضد الدولة لذلك ولم يظهره، وجَهَّز العساكر لأخيه مؤيد الدولة لقتال قابوس المذكور؛ فتوجّه إليه مؤيد الدولة وحصره وأخذ بلاده، ولم ينفعه فخر الدولة. وكان لقابوس من البلاد طَبْرِسْتَان وغيرها.

(١) زيادة عن كشف الظنون.

(٢) هو قابوس بن وشمكير بن زيار بن وردان شاه الجيلي، أبو الحسن الملقب شمس المعالي: أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان. توفي سنة ٥٤٠٣ هـ. (الأعلام: ١٧٠/٥).

وفيهما حجّ بالناس أبو عبد الله العلويّ من العراق.

وفيهما تُوفيّ أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، الحافظ أبو بكر الجرجانيّ؛ كان إماماً، طاف البلاد، ولقي الشيوخ، وسمع الكثير، وصنّف الكتب الحسان، منها: «الصحيح» صنّفه على صحيح البخاريّ، و«الفرائد» و«العوالي» وغير ذلك، ومات في شهر رجب.

وفيهما تُوفيّ الحسن بن أحمد بن صالح، الحافظ أبو محمد السّيعيّ^(١) الكوفيّ. كان حافظاً أكثرأ إلاّ أنّه كان عسير الرواية؛ وكان الدارقطنيّ يجلس بين يديه جلوس الصبيّ بين يدي المعلّم هيبةً له، ومات في ذي الحجة ببغداد.

وفيهما تُوفيّ عبد العزيز بن الحارث بن أسد، أبو الحسن التميميّ الحنبليّ؛ كان فقيهاً فاضلاً، وله تصانيف في أصول الكلام وفي مذهبه والفرائض وغير ذلك.

وفيهما تُوفيّ عليّ بن إبراهيم أبو الحسن [الحضريّ]^(٢) البصريّ الصوفيّ الواعظ. سكن بغداد وصحب الشّبلّي وغيره، وكان صاحب خلوات ومجاهدات، وله كلام حسن في التوفيق.

وفيهما تُوفيّ محمد بن أحمد بن طالب الأخباريّ؛ رحل وسمع الكثير، وكان فاضلاً محدثاً أخبارياً.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفيّ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيليّ الجرجانيّ في رجب وله أربع وتسعون سنة، وأبو العباس الحسن بن سعيد العبّادانيّ^(٣) المَطَّوعيّ المقرئ وله مائة وستان، وأبو محمد عبد الله بن إسحاق القيروانيّ شيخ المالكية، وأبو زيد محمد بن أحمد المروزيّ الفقيه في رجب، وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشّيرازي شيخ الصوفيّة بفارس.

(١) ذكر وفاته في السنة الماضية.

(٢) زيادة عن ابن الأثير واللباب والسمعيّ. والنسبة إلى بيع الحصر، جمع حصر.

(٣) العبّادانيّ: نسبة إلى عبّادان، من نواحي البصرة. والمطّوعيّ: نسبة إلى المطّوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد، ورابطوا في الثغور وتطوعوا بالغزو.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وإصبعاً.

* * *

السنة السابعة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

فيها وثب أبو الفرج [محمد]^(١) بن عمران بن شاهين على أخيه أبي محمد الحسن^(٢) بن عمران صاحب البطيحة^(٣)، فقتله وأستولى على بلده^(٤).

وفيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي، وقيل: إنه لم يحجّ أحد من العراق من هذه السنة إلى سنة ثمانين، بسبب الفتن والخلف بين خلفاء بني العباس وبين خلفاء مصر بني عبيد.

وفيها أنشأ عضد الدولة بيمارستانه^(٥) ببغداد في الجانب الغربي، ورتّب فيه الأطباء والوكلاء والخزّان وكلّ ما يحتاج إليه.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: «وفي هذا الزمان كانت البدع والأهواء فاشية ببغداد ومصر من الرّفْض والاعتزال والضلال فإنّا لله وإنا إليه راجعون!». قلت: ومعنى قول الذهبي: «ومضر» فإنّه معلوم من كون خلفاء بني عبيد كانوا يُظهرون الرّفْض وسبّ الصحابة، وكذلك جميع أعوانهم وعمّالهم. وأمّا قوله: «ببغداد» فإنّه

(١) زيادة عن معجم زامبور. وفيه أن ذلك حدث سنة ٣٧٠ هـ.

(٢) كذا في الأصل ومعجم زامبور. وفي ابن الأثير: «الحسين».

(٣) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

(٤) وسبب ذلك أن أخاه أبا الفرج حسده على ولايته وعجبة الناس له، فدبّر مؤامرة لقتله، كما جاء في ابن الأثير.

(٥) ويعرف بالمارستان العضدي. قال الدكتور مصطفى جواد: كان هذا المارستان في الجانب الغربي من بغداد عند معبر عربات القطار، على ما استرجعناه؛ وهو ضمن منطقة العطيفية اليوم. (في التراث العربي: ٧٨/١).

كان بسبب عضد الدولة الآتي ذكره، فإنه كان أيضاً يتشيع ويكرم جانب الرافضة.

وفيها تُوفي السلطان عضد الدولة أبو شجاع فَنَاحَسَرُوْا - وقيل بُوِيَه على أسم جدّه، وَفَنَاحَسَرُوْا أشهر - ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه بن فَنَاحَسَرُو الدَّيْلَمِيّ. وَلِي مملكة فارس بعد عمّه عماد الدولة، ثُمَّ قَوِي على ابن عمّه عَزَّ الدولة بَخْتِيَار بن مُعَزَّ الدولة بن بويه، وأخذ منه العراق وبغداد. وقد تقدّم من ذلك نبذة يسيرة في حوادث بعض السنين. وبلغ سلطانه من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بني بويه، ودانت له البلاد والعباد. وهو أوّل من خوطب بالملك شاهنشاه^(١) في الإسلام، وأوّل من خُطِب له على منابر بغداد بعد الخلفاء، وأوّل من ضُربت الدبّادب على باب داره. وكان فاضلاً نحوياً، وله مشاركة في فنون كثيرة، وله صنّف أبو عليّ الفارسيّ «الإيضاح». قال أبو عليّ الفارسيّ: منذ تلقّب شاهنشاه تضعع أمره، وما كفاه ذلك حتّى مدح نفسه؛ فقال: [الرمّل]

عَضْدُ الدَّوْلَةِ وَابْنُ رَكْنِهَا مَلِكُ الْأَمْلَاقِ غَلَابُ الْقَدَرِ

ولمّا أحسّ بالموت تمثّل بشعر القاسم بن عبد الله الوزير، وهو قوله:

[الطويل]

قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ فَلَمْ أَدْعُ عَدُوّاً وَلَمْ أُهْمِلْ عَلَى ظَنَّةٍ خَلَقَا
وَأَخْلَيْتُ دُورَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِلٍ وَبَدَّدْتَهُمْ غَرْباً وَشَرَّدْتَهُمْ شَرْقَا

ثمّ جعل يبكي ويقول: «ما أغنى عني ماليه! هلك عني سلطانيه!» وصار يرَدِّدها إلّٰى أن مات في شَوّال ببغداد وله سبع وأربعون سنة. وتولّى الملك من بعده ابنه صَمَصَامُ الدولة، ولم يجلس للعزاء إلّا في أوّل السنة. أظنّ أنّهم كانوا أخفّوا موت عضد الدولة لأمره، أو أنّه اشتغل بمُلك جديد حتّى فرغ منه.

(١) انظر في تاريخ اللقبين: «الملك» و«شاهنشاه» الألقاب الإسلامية لحسن الباشا: ص ٣٥٣، ٤٩٦. قال: وربما كان لجوء بني بويه إلى التلقب بلقب شاهنشاه نتيجة لاعتراض بعض رجال الدين على إطلاق مرادفه العربي «ملك الملوك»، وذلك استناداً إلى أحاديث النبي ﷺ - صبح الأعشى: ١٦/٦. وقد روى ابن الأثير في الكامل طرفاً من النزاع الذي حدث بين الفقهاء في عهد القائم بأمر الله حين سأل جلال الدولة أن ينعت الخليفة بملك الملوك فامتنع.

وفيها تُوفِّي محمد بن جعفر بن أحمد، أبوبكر الحريريّ المُعَدِّل^(١) البغداديّ؛ وكان يُعرف بزوج الحرّة، وكان جليل القدر، من الثّقات. مات ببغداد، ودفن عند قبر معروف الكرخيّ. رحمة الله عليهما.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الثامنة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

فيها في ثاني عشر المحرم أظْهَرَت^(٢) وفاة عضد الدولة وحُمِلَ تابوتُه إلى المشهد، وجلس أبْنُه صَمْصَامُ الدولة للعزاء، وجاءه الخليفة الطائعُ معزياً، ولَطَمَ عليه الناس في [دوره وفي]^(٣) الأسواق أياماً عديدة. ثم ركب صَمْصَامُ الدولة إلى دار الخلافة، وخلع عليه الخليفة الطائع عبد الكريم سَبْعَ خِلَع، وعقد له لواءين، ولُقِّبَ شمس الدولة^(٤).

وفيها بعد مدّة يسيرة ورد الخبر على صَمْصَامُ الدولة المذكور بموت عمّه مؤيّد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة بجرّجان، فجلس صمصام الدولة أيضاً للتعزية؛ وجاءه الخليفة الطائع مرّة ثانية معزياً في عمّه مؤيّد الدولة المذكور. ولَمَّا مات مؤيّد الدولة كتب وزيره الصاحبُ إسماعيل بن عبّاد إلى أخيه فخر الدولة عليّ بن ركن الدولة بالإسراع إليه وضبط ممالك أخيه مؤيّد الدولة؛ فقدم فخر الدولة

(١) في الأصل: «العدل». وما أثبتناه عن تاريخ بغداد والمنتظم وعقد الجمان.

(٢) في الأصل: «ظهر وفاة».

(٣) زيادة عن المنتظم.

(٤) كذا أيضاً في الألقاب الإسلامية، عن عبر الذهبي. وفي تاريخ الإسلام للذهبي والمنتظم: «شمس الملة».

إليه ومَلِك بلاد أخيه، وأستوزر الصاحب بن عباد المذكور. وعَظُمَ أبْنُ عَباد في أيام فخر الدولة إلى الغاية.

وفيها كان الغلاء المُفْرِط بالعراق، وبلغ الكُرُّ القمح أربعة آلاف وثمانمائة درهم، ومات خلق كثير على الطريق جُوعاً، وعَظُمَ الخطب.

وفيها وَلَّى العزيز نزار صاحب الترجمة خطلخ^(١) القائد إمرة دمشق.

وفيها تُوفِّي السلطان مؤيد الدولة أبو منصور بُويّه أبْن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه المقدّم ذكره. مات بجُرْجان وله ثلاث وأربعون سنة وشهر. وكانت مدّة إمرته سبع سنين وشهراً. وكان قد تزوّج ببنت عمّه معز الدولة، فأنفق في عُرْسها سبعمائة ألف دينار. وكان موته في ثالث عشر شعبان؛ فيكون بعد موت أخيه عضد الدولة بنحو عشرة أشهر. وصفا الوقت لأخيهما فخر الدولة.

وفيها تُوفِّي سعيد بن سَلام أبو عثمان المغربي. مولده بقرية يقال لها كَرَكَنت^(٢)، كان أوحَدَ عصره في الزهد والورع والعزلة.

وفيها تُوفِّي عبد الله بن محمد بن عثمان بن المختار، أبو محمد المُنَزِّي الواسطي الحافظ؛ كان ثقة، مات بواسط. ومن كلامه قال: «الذين وقع عليهم اسم الخلافة ثلاثة: آدم، وداود عليهما السلام، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. قال الله تعالى في حقّ آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣)، وقال في حقّ داود: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، وقَبِضَ رسول الله ﷺ عن ثلاثين ألفَ مسلم كلهم يقول لأبي بكر: يا خليفة رسول الله».

(١) في الأصل: «خطلوا» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) في الأصل: «كركت» بالياء المثناة من تحت. وهو تصحيف. والتصحيح عن الروض المعطار ودائرة المعارف الإسلامية. ويقال لها: كركنت وجرجنت Agrigentum. وهي من مدن جزيرة صقلية. وقعت في يد العرب سنة ٢١٤ هـ.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٤) سورة ص: الآية ٢٦.

أمر النيل في هذه السنة :

الماء القديم أربع أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإصبعان .

* * *

السنة التاسعة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

فيها دخلت القرامطة البصرة لما علموا بموت عضد الدولة، ولم يكن لهم قوة على حصارها، فجمع لهم مال فأخذوه وأنصرفوا .

وفيها وقع الصلح بين صمصام الدولة وبين عمه فخر الدولة بمكاتبة أبي عبد الله بن سعدان^(١) إلى صاحب بن عبّاد . فكان ابن سعدان يُخاطب صاحب بن عبّاد بالصاحب الجليل، والصاحب بن عبّاد يُخاطب ابن سعدان بالأستاذ مولاي ورئيسي .

وفيها ملكت الأكراد ديار بكر بن ربيعة . وسببه أنه كان بجبال حيزان^(٢) رجل كرديّ يقطع الطريق، يقال له أبو عبد الله الحسين^(٣) بن دوستك، ولقبه باد، وأجتمع عليه خلق كثير، وجرت له مع بني حمّدان حروب إلى أن قُتل . فلما قتل باد، المذكور كان له صهر يقال له مروان بن كسرى^(٤) وكان له أولاد ثلاثة^(٥)، وكانوا من قرية يقال لها كرماس^(٦) بين إسعرد^(٧) والمعدن، وكانوا رؤساءها . فلما خرج باد

(١) ابن سعدان: كان صاحب الموصل . توفي سنة ٣٧٦هـ . (تاريخ ابن الأزرقي الفارقي: ص ١١) .

(٢) في تاريخ ابن الأزرقي الفارقي: «كان بجبال باحسمي وهي ولاية حيزان والمعدن» . وحيزان: بلد في تركيا، ومن قلاع الأكراد المهرانية .

(٣) ذكر ابن الأزرقي أن اسمه أبو عبد الله الحسين بن دوستك، ثم ذكر أخاً له يدعى أبا الفوارس الحسين بن دوستك أيضاً . قارن أيضاً بابن الأثير . وقيل إن لقب باد الكردي هو أبو شجاع . وقد قتل باد في سنة

٣٨٠هـ . (٤) في تاريخ الفارقي: «مروان بن لكك الحارنجي صهر باد على أخته» .

(٥) في المصدر السابق: «أربعة أولاد» .

(٦) في تاريخ الفارقي: «كرماس» . قال: وهي الآن قرية عامرة . والفارقي من علماء القرن السادس للهجرة، توفي بعد سنة ٥٧٧هـ .

(٧) كذا ضبطها صاحب تقويم البلدان بالعبارة . ويقال لها أيضاً «سمرت» و«إسمرت» وهي مدينة في تركيا؛ وهي عن ميفارقين على مسيرة يوم ونصف .

خرج معه أولاد مروان المذكور وهم: الحسن وسعيد وأحمد وأخ آخر^(١). فلما قتل باد أنضمّ عسكريه على ابن أخته الحسن، وأستفحل أمره وتقاتل مع من بقي من بني حمّدان فهزمهم^(٢). ثم مات عضد الدولة بن بُوَيْه، فصفا له الوقت وملك ديار بكر وميافارقين، وأحسن السيرة في الناس فأحبته الرعية؛ ثم أفتتح بعد ذلك عدّة حصون، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في محلّها.

وفيهما تُوفي عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نبّانة الخطيب الفارقيّ، صاحب الخطب، والذي من ذريته الشيخ جمال الدين محمد بن نبّانة الشاعر المتأخر، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وكان مولده بميافارقين في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. وكان بارعاً في الأدب، وكان يحفظ «نهج البلاغة» وعامة خطبه بالفاظها ومعانيها، ومات بميافارقين عن تسع وثلاثين سنة. ولولده أبي طاهر محمد خطب أيضاً.

وفيهما تُوفي محمد بن محمد بن مكّي، أبو أحمد^(٣) القاضي الجرجاني؛ رحل في طلب الحديث ولقي الشيوخ، وكان حافظاً فاضلاً أديباً. ومن شعره رحمه الله:

[الوافر]

مضى زمنٌ وكان الناس فيه^(٤) كراماً لا يُخالطهم خبيسٌ
فقد دُفِعَ^(٥) الكرامُ إلى زمانٍ أحسنَ رجالهم فيه رئيسٌ
[تعطّلت المكارمُ يا خليلي وصار الناس ليس لهم نفوسٌ]^(٦)

(١) الأخ الرابع هو «كك» كما في تاريخ الفارقي.

(٢) قال ابن الأزرق: «وعاد الأمير أبو علي الحسن بمن معه إلى حصن كيفا ودخلوا إليها، وكان بها زوجة خاله باد، وكانت ديلمية، فاجتمع بها وقال لها: إن خالي قد قتل، وعرفها الحال. قالت: فما التدبير؟ قال: نطلب ميافارقين، فسارا من وقتها (أي سنة ٣٨٠هـ) إلى ميافارقين فدخلها، وملكها وملك أمد والحصون التي حولها جميعاً في أسرع مدة، وتزوج من زوج خاله باد».

(٣) في الأصل: «أبو القاضي أحمد». والتصحيح عن عقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٤) في الأصل: «فيهم». والتصحيح عن تاريخ بغداد وعقد الجمان.

(٥) في الأصل: «وقع». والتصحيح عن تاريخ بغداد وعقد الجمان.

(٦) زيادة عما سبق ذكره من المراجع.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة العاشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

فيها تُوفي أحمد بن الحسين بن عليّ، الحافظ أبوزُرعة الرازيّ الصغير؛ كان إماماً طاف البلاد في طلب الحديث، وجالس الحفاظ، وصنّف التراجم والأبواب، وكان متقناً صدوقاً؛ فُقد بطريق مكة في هذه السنة.

وفيها تُوفي الحسين بن عليّ بن محمد بن يحيى، الحافظ أبو أحمد النيسابوريّ، ويقال له حُسَيْنُك؛ مولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات بنيسابور في شهر ربيع الآخر، وكان ثقة جليلاً مأموناً حجة.

وفيها تُوفي محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر التميميّ الأبهريّ الفقيه المالكيّ؛ ولد سنة تسع وثمانين ومائتين، وصنّف التصانيف الحسان في مذهبه، وأنتهت إليه رئاسة المالكية في زمانه.

وفيها تُوفي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران، أبو مسلم البغداديّ الحافظ الثقة العابد العارف؛ رحل إلى البلاد وأقام بسمَرْقَنْد وجمع المسند، وكان يُعدّ من الزهاد.

وفيها تُوفي عبد الله بن عليّ بن عبيد الله، أبو القاسم الوارديّ البصريّ القاضي، شيخ أهل الظاهر في عصره؛ سمع الكثير وحدث، وكان موصوفاً بالفضل وحُسن السيرة؛ وولي القضاء بعدة بلاد وحسنت سيرته.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفي أبوزُرعة الرازيّ الصغير أحمد بن الحسين الحافظ، وأبو عليّ الحسين بن عليّ التميميّ حُسَيْنُك،

والحسين بن محمد بن عبيد أبو عبد الله العسكري الدقاق في شوال، وأبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران البغدادي الحافظ الزاهد، وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الداركي^(١) شيخ الشافعية ببغداد، وأبو القاسم عبد العزيز بن جعفر الخرقى، وعمر بن محمد بن علي أبو حفص الزيّات، ومحمد بن عبد الله بن محمد القاضي أبو بكر الأبهري شيخ المالكية بالعراق، ويوسف بن القاسم القاضي أبو بكر الميانجي^(٢).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأثنان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

فيها استقرّ الأمر على الطاعة لشرف الدولة بن عضد الدولة، وتحالف الإخوة الثلاثة أولاد عضد الدولة وتعاقدوا؛ ومضمون ما كتب بينهم:

«هذا ما اتفق عليه وتعاهد وتعاقد شرف الدولة أبو الفوارس، وصمصام الدولة، وأبو النصر أبناء عضد الدولة بن ركن الدولة، اتفقوا على طاعة أمير المؤمنين الطائع لله ولشرف الدولة بن عضد الدولة»، وذكر ما جرت به العادة؛ وكان ذلك بعد أمور وقعت بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة المذكور حتى أذعن له^(٣) صمصام الدولة^(٤).

(١) الداركي: نسبة إلى دارك، من قرى أصبهان.

(٢) الميانجي: نسبة إلى موضع بالشام يقال له: الميانج، كما في الأنساب ومعجم البلدان. وكلاهما نقل عن المقدسي قوله: «ولست أعرف في أي موضع هو من الشام».

(٣) في الأصل: «أذعن عليه».

(٤) وقد كتب نص هذه المواصفة — أو المعاهدة بالصلح — أبو إسحاق الصابي. وهي كتاب طويل أورد نصه القلقشندي في صبح الأعشى: ١٠٥/١٤ - ١١٠، طبعة دار الكتب العلمية، فلنظر.

وفيهما تُوفِّي أبو القاسم المظفر بن عليّ الملقب بالموفق أمير البَطِيحَة، وولي بعده أبو الحسن عليّ بن نصر بعهد منه. فبعث ابن نصر هذا لشرف الدولة ببذل الطاعة وسأل الخلع والتقليد؛ فأجيب إلى ذلك ولقب مهذب الدولة؛ فسار بالناس أحسن سيرة.

وفيهما تُوفِّي الحَكَم^(١) بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الأمويّ المغربيّ أمير الأندلس. وليّ مملكة الأندلس بعد وفاة أبيه يوم مات سنة خمسين وثلاثمائة وكنيته أبو العاصي، ولقبه المستنصر بالله؛ وأقام والياً على الأندلس خمساً وعشرين سنة، ومات في صفر. وأمه أم ولد يقال لها مرجان. وتولّى بعده ولده هشام بن الحكم، وكان مشكور السيرة. وهو الذي كتب إليه العزيز صاحب الترجمة من مصر يهجو، وقد ذكرنا ذلك في أوّل ترجمة العزيز؛ فردّ المستنصر هذا جواب العزيز، وكتب في أوّل كتابه قصيدةً أولها: [الطويل]

ألسنا بني مَروان كيف تقلّبتُ بنا الحال أو دارت علينا الدوائرُ

إلى أن قال:

إذا وُلد المولود مِنّا تهلّلت له الأرض وأهترت إليه المنايرُ

ثم قال: «وبعد، فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لهجوناك. والسلام».

وفيهما تُوفِّي محمد بن أحمد بن حَمْدان بن عليّ بن عبد الله بن سِنان، أبو عمرو الجيّريّ الزاهد؛ صاحب جماعة من الزهاد، وكان عالماً بالقراءات والنحو، وكان متعبداً؛ مات ببغداد في ذي القعدة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّي إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المستملي ببُلخ، طَوْف وخرَج المعجم، وأبو سعيد الحسن بن جعفر السمسار الخرقيّ، وأبو الحسن عليّ^(٢) بن الحسن بن عليّ القاضي الجرجانيّ

(١) تقدم ذكر وفاته في سنة ٣٦٦ هـ على الصحيح. وذكره هنا خطأ.

(٢) في الأصل: «أبو الحسن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي القاضي وأبو الحسين الجرجاني» وهو خطأ. وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان والمشتبه في أسماء الرجال.

الضعيف، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن البَكَّائِي. وأبو القاسم عمر بن محمد بن سَبْنَك^(١)، وقَسَّام الحارثي الغالب على دِمَشق قُبِض عليه في هذه السنة، وأبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الجِيزِي في ذي القعدة عن ثلاث وتسعين سنة، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي الواعظ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصباعاً.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

فيها تُوفيت والدة شرف الدولة، فجاءه الخليفة الطائع لله معزياً.

وفيها في شعبان وُلِدَ لشرف الدولة بن عضد الدولة ولدان توأمان؛ فكنى أحدهما أبا حرب وسماه سلالر، والثاني أبا منصور وسماه فَنَّاخُسْرُو.

وفيها ولّى العزيز صاحب الترجمة بَكْتِكِين التركي إمرة دِمَشق، وندبه لقتال قَسَّام، حسب ما تقدّم ذكره.

وفيها تُوفي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو عليّ الفارسيّ النحويّ الإمام المشهور؛ ولد ببلدة فَسَا^(٢)، وقَدِمَ بغداد، وسمِعَ الحديث وبرَعَ في علم النحو وأنفرد به، وقصده الناس من الأقطار، وعلتْ منزلته في العربيّة، وصنّف فيها كتباً كثيرة لم يُسَبَقْ إلى مثلها حتّى أشتهر ذكره في الآفاق؛ وتقدّم عند عضد الدولة حتّى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي عليّ في النحو. ومن تصانيف أبي عليّ:

(١) في الأصل: «سبنك» بتقديم النون على الباء. والتصحيح عن تاج العروس والمشتبه.

(٢) كذا في ابن خلكان ومعجم البلدان والمتنظم. وفَسَا: مدينة بفارس، والنسبة إليها: فَسَوِي. وفي الأصل: «ولد ببلدة فارس».

«الإيضاح» و«التكملة» وكتاب «الحجة في القراءات»؛ ومات ببغداد في شهر ربيع الأول عن نيف وتسعين سنة.

وفيهما كان قد هياً^(١) العزيز صاحب مصر عدّة شواني^(٢) لغزو الروم، فأحترقت مراكبه فأتهم بها أناساً^(٣). ثم بعد ذلك وصلت رُسُلُ الروم في البحر إلى ساحل القدس بتقاديم^(٤) للعزيز، ودخلوا مصر يطلبون الصلح؛ فأجابهم العزيز وأشترط شروطاً شديدة ألّزموا بها كلّها؛ منها: أنهم يحلفون أنه لا يَبْقَى في مملكتهم أسيرٌ إلّا أطلقوه، وأن يُخطب للعزيز في جامع قسطنطينية كلّ جمعة، وأن يُحمل إليه من أمتعة الروم كلّ ما افترضه عليهم؛ ثم ردّهم بعقد الهدنة سبع سنين^(٥).

وفيهما توفيت سُنَيْتَة، وقيل آمنة، بنت القاضي أبي عبد الله الحسين المَحَامِلِي، وأمّ القاضي أبي الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي، كنيتهما أمة الواحد. كانت فاضلة، من أعلم الناس وأحفظهم لفقه الشافعي، وتقرأ القراءات

(١) كذا في تاريخ الذهبي. وفي الأصل: «فيها شرع العزيز صاحب مصر... إلخ».

(٢) الشواني: جمع شني أوشينية، وتجمع أيضاً على شون. وهي سفن حربية كبيرة، ويظهر أنها كانت أكبر السفن الحربية في مصر وأكثرها استعمالاً. ويقابلها في الفرنسية: galère. وكان أسطول الفاطميين في مصر يزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر حمالات. وكان على الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقوامهم جاشاً. (انظر المقرئ، خطط: ١٩٤/٢، ١٩٥، وصبح الأعشى: ٥١٩/٢، ومعجم دوزي: Supp. Dict. ar.).

(٣) اتهم المصريون التجار الروم الذين كانوا يقيمون قرب دار الصناعة بإحراق المراكب، وقامت فتنة قتل فيها فريق كبير من التجار الروم يقال إن عدتهم مائة وستون رجلاً، حتى استطاع الوزير عيسى بن نسطورس السيطرة على الموقف. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ص ٢٢٠).

(٤) جمع تقديم، وهي الهدية.

(٥) هذه الهدنة لم تستمر إلى نهايتها. ففي سنة ٣٨١هـ عندما توجه بكجور للاستيلاء على حلب استعان صاحبها سعد الدولة بالروم الذين سارعوا إلى نجده، وانتهت حملة بكجور بالفشل وبقتله نتيجة موقف عيسى بن نسطورس وزير العزيز. وكان عيسى هذا على خلاف مع بكجور وكانت بينهما عداوة مستحكمة، فأرسل إلى نزال والي طرابلس - وكان من صناعته - أن يظهر الموالة لبكجور حتى إذا ما تورط في مواجهة الروم تأخر عنه وتخلّى عن مساعدته. ونفذ نزال أوامر الوزير، وكان ذلك سبباً في هزيمة بكجور. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ١٩٦، ٢٢٠).

والفرائض والنحو وغير ذلك من العلوم مع الزهد والعبادة والصدقات، وكانت تُقَيِّم أبي علي بن أبي هريرة؛ وماتت في شهر رمضان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

فيها في المحرم أمر شرف الدولة بأن تُرصد الكواكب السبعة في مسيرها وتَنَقَّلها في بروجها على مثال ما كان المأمون يفعل، وتولَّى ذلك آبنُ رُسْتَم^(١) الكوهي، وكان له عِلْمٌ بالهيئة والهندسة، وبنى بيتاً في دار المملكة بسبب ذلك في آخر البستان، وأقام الرصد لليلتين بقيتا من صفر.

وفيهما كُثِرَت العواصفُ وهبَّت ريح بَمِّ الصَّلح عَظيمة جَرَفَت^(٢) دجلة من غربيها إلى شرقيها، فأهلكَت خلقاً كثيراً وغرقت كثيراً من السفن الكبار.

وفيهما بدأ المرض بشرف الدولة ولحقه سوء مزاج.

وفيهما لحق الناس بالبصرة حرٌّ عظيم في ثيف وعشرين يوماً من تموز، وهو «أبيب» بالقبطي، فكان الناس يتساقطون مَوْتى بالعراق في الشوارع.

(١) هو ويجن بن وشم الكوهي، أبو سهل، كما في تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٧٦). قال: كان حسن المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة، متقدماً فيها إلى الغاية المتناهية. وكان رصده لحلول الشمس برجي السرطان والميزان سنة ١٢٩٩ للإسكندر، وكان من جملة من حضر هذين الرصدتين من العلماء إبراهيم بن هلال الصابىء صاحب الرسائل. انتهى. وورد اسمه في الأعلام: ويجن بن رستم الكوهي المتوفى نحو ٥٣٩٠ هـ. وله ترجمة وافية في تاريخ الحكماء للقفطي.

(٢) في الأصل: «خرقت». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية.

وفيهما وَلَّى العزيز صاحب مصر على دِمَشق منيراً الخادم، وعزل عنها بَكْتِكِينَ التركي، لأنه كان قد قيل عنه إنه خرج عن الطاعة.

وفيهما تُوفِّي أحمد بن الحسين بن أحمد بن عليّ بن محمد العلويّ الدمشقيّ، ويعرف بالعقيقي، صاحب الدار المشهورة بدمشق؛ وكان من وجوه الأشراف جواداً مُمدّحاً، مات بدمشق في جمادى الأولى.

وفيهما تُوفِّي الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل، أبو سعيد السُّجَريّ القاضي الحنفيّ، وقيل: أسمه محمد، والخليل لقب له، ويعرف أيضاً بآبن جَنَك. كان شيخَ أهل الرأي في عصره، وكان مع كثرة علمه أحسنَ الناس كلاماً في الوعظ والتذكير، وكان صاحبَ فنون من العلوم، وطاف الدنيا شرقاً وغرباً وسمع الحديث؛ وكان شاعراً فصيحاً؛ مات قاضياً بسمَرْقند في جُمادى الآخرة، ورثاه أبو بكر الخُوَارَزْمِيّ.

وفيهما تُوفِّي عبد الله بن عليّ بن محمد، أبو نصر السراج الصوفي الطوسي؛ كان من كبار مشايخ طوس وزُهّادهم؛ مات بنيسابور في شهر رجب وهو ساجد. ومن شعره: [البسيط]

ما ناصحتك خبايا الودّ من أحدٍ ما لم تنلك بمكروهٍ من العَدْلِ
مودّتي فيك تأبى أن تُسامحني بأن أراك على شيءٍ من الزَّلَلِ

وفيهما تُوفِّي محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أبو أحمد الحافظ النيسابوريّ الكَرابيسيّ الحاكم الكبير، إمام عصره، صاحب التصانيف؛ سمِع الكثير وروى عنه خلق كثير؛ وصنّف على كتابي البخاريّ ومسلم وعلى جامع أبي عيسى الترمذيّ؛ وصنّف كتابي الأسماء والكنى والعِلل والمخرّج على كتاب المُزنيّ وغير ذلك؛ وولي القضاء بمُدُن كثيرة؛ ومات في شهر ربيع الأوّل عن ثلاث وتسعين سنة.

وفيهما تُوفِّي [أبو] ^(١) القاسم بن الجَلَّاب المالكي، وقيل أسمه عبد الرحمن بن عبيد الله، وسمَّاه القاضي عِيَّاض: محمد بن الحسين، تفقَّه بالقاضي أبي بكر محمد الأبهري، وصنَّف كتاباً جليلاً في مسائل الخلاف، وكتاب «التفريع» في مذهبه، وكان أحفظ أصحاب الأبهري.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأثنتا عشرة إصباعاً.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة.

فيها مات شرف الدولة شيرزِيل ^(٢) بن عضد الدولة بُويّه، وقيل: فَتَّاحُشُرُو، ابن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي بعد أن عهدَ بالملك إلى أخيه أبي نصر. وجاء الطائع الخليفة لأبي نصر وعزَّاه في أخيه شرف الدولة، ثم ركب أبو نصر إلى دار الخليفة وحضر الأعيان. وخلع الخليفة الطائع على أبي نصر المذكور سَبْعَ خِلَعٍ أعلاها سوداء وعمامة سوداء، وفي عُنُقِهِ طَوْقٌ كبير، وفي يديه سُوَّارَان، ومشى الحِجَاب بين يديه بالسيوف. فلَمَّا حصل بين يدي الطائع قَبْل الأرض، ثم أُجْلِس على كرسي، وقرأ أبو الحسن ^(٣) علي بن عبد العزيز بن ^(٤) حاجب النعمان كاتب الخليفة عهدَه، وقَدَّم إلى الطائع لواءه فعقدته ولقبه بهاء الدولة وضيء الملة. قلت:

(١) التكملة عن كتابه «متن التفريع». وهو أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن الحسن الجلاب (يفتح الجيم وتشديد اللام وباء موحدة بعد الألف) وهو إمام جليل اشتهر بكنيته، صاحب القاضي أبا بكر الأبهري، وله تأليف جليلة وتفقه به القاضي عبد الوهاب وغيره من الأئمة. وكتابه متن التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس. منه نسخة مخطوطة محفوفة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٢٩٥ فقه مالكي). حاشية عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) كذا في ابن الأثير وياقوت وعقد الجمان. وفي الأصل: «شبرويه».

(٣) في الأصل: «أبو الحسين». وما أثبتناه عن ابن الأثير والبداية والنهاية والذهبي وعقد الجمان.

(٤) في الأصل: «عبد العزيز صاحب النعمان». والتصحيح عن ابن الأثير والذهبي.

وهذا الثالث من بني عضد الدولة بُنْ بُوَيْه؛ فَإِنَّه وَلِي بعد عضد الدولة صَمَّصَامُ الدولة، ثُمَّ شرف الدولة، ثُمَّ بهاء الدولة هذا.

وكان بهاء الدولة المذكور من رجال بني بُوَيْه. وبلغ الأتراك بفارس ولايته فوثبوا وأخرجوا صمصام الدولة من مُعْتَقَلِه، وكان أعتقله أخوه شرف الدولة. ولَمَّا خرج صمصام الدولة وأستفحل أمره، وَقَّع بينه وبين الأتراك، فتركوه وأقاموا ابن أخيه أبا عليّ ولقبوه شمس الدولة. ووقع لهم أمور يطول شرحها.

وفيها تُوفِّي محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى، أبو الحسين البزاز البغدادي الحافظ المشهور؛ ولد سنة ستّ وثمانين ومائتين في المحرم، ورحل وسمع الكثير، وروى عنه خلاّق؛ كتب عنه الدارقطني. وقد رويّا مسنده الذي جمعه من حديث أبي حنيفة رضي الله عنه عن المسند المعمر الحاكم عبد الرحيم بن الفرات الحنفي. أنبأنا ابن أبي عمر وغير واحد قالوا: أنبأنا أبو الحسن بن البخاري، أنبأنا الخشوعي، أنبأنا ابن خُشْرُو البُلْخِي عن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي عن أبي محمد الفارسي عن ابن المظفر. وقال محمد بن أبي الفوارس: انتهى إليه علم الحديث مع الفقه والأمانة وحسن الخط.

وفيها تُوفِّي شرف الدولة شيرزِيل بن عَضُد الدولة بُوَيْه بن ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه بن قَنَاحُشْرُو الديلمي سلطان بغداد وابن سلطانها. ظفر بأخيه صمصام الدولة بعد حروب وحبسه وملك العراق. وكان حسن السيرة، يميل إلى الخير، وأزال المصادرات. وكان مرضه بالاستسقاء، وأمتنع من الحمية فمات منه في جُمَادَى الآخرة عن تسع وعشرين سنة، وملك سنتين وثمانية أشهر. وتولّى السلطنة بعده أخوه أبو نصر^(١) بهاء الدولة، حسب ما ذكرناه في أوّل هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصباعاً.

* * *

(١) في الأصل هنا: «أبو منصور» وقد تقدم باسم أبي نصر، وكذلك فيما سيأتي.

السنة الخامسة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة ثمانين وثلاثمائة.

فيها قُلد أبو أحمد الحسين بن موسى المَوْسَوِيّ العَلَوِيّ نقابة الطالبين والنظر في المظالم وإمرة الحاجّ، وكتب عهده على جميع ذلك؛ وأستخلف ولديه المرتضى والرضي على النقابة، وخُلع عليهما من دار الخلافة ببغداد.

وفيها تغيّر بهاء الدولة على الخليفة الطائع لله عبد الكريم حتّى نكبه في السنة الآتية.

وفيها حجّ بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبّيد الله نيابة عن الشريف أبي أحمد الموسويّ.

وفيها توفّي حمزة بن أحمد بن الحسين الشريف، أبو الحسن العلويّ الدمشقيّ؛ كان جَوَاداً رئيساً، يسكن بباب الفراديس^(١). ولما قرئ نسب خلفاء مصر الفاطميّين على منبر دمشق آستهزأ بهم ونال منهم، فبعث ابنُ كِلْس وزير العزيز [مَنْ]^(٢) قبض عليه، وحبسه بالإسكندرية إلى أن مات بها.

وفيها توفّي الوزير يعقوب بن يوسف بن كِلْس أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر. كان يهودياً من أهل بغداد ثمّ أنتقل إلى الرملة وعمل سمساراً، فأنكسر عليه مالٌ فهُرَبَ إلى مصر. وتاجرَ لكافور الإخشيدّي فرأى منه فطنةً، فقال: لو أسلم لصلح للوزارة، فأسلم؛ فقصده الوزير^(٣) يوم ذلك، فهرب ابنُ كِلْس هذا إلى المغرب، وترقّى إلى أن ورّره العزيزُ صاحب الترجمة سنة خمس^(٤) وستين وثلاثمائة.

(١) باب الفراديس: أحد أبواب دمشق. منسوب إلى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس. والفراديس بلغة الروم: البساتين. (الأعلاق الخطيرة: ٧٦١: ٢/٣، حاشية).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) المراد بالوزير هنا أبو الفضل جعفر بن الفرات.

(٤) الصواب أنه تولى الوزارة للعزيز سنة ٣٦٧هـ في أول المحرم. وكان المعز لدين الله قد عهد إليه أمور الحراج وجميع وجوه الأموال والحسبة وذلك في سنة ٣٦٣هـ. وفي سنة ٣٦٨هـ لقبه العزيز بالوزير الأجلّ، وأمر ألا يخاطبه أحد ولا يكتبه إلا به. وقد عظمت مكانته حتّى كتب اسمه على الطراز. (انظر: وفيات

فأستقامت أمور العزيز بتدبيره إلى أن مات. فلما أشرف على الموت عاده العزيز وغمه أمره. فقال له العزيز: وَدِدْتُ أَنْكَ تَبَاعَ فَأَشْتَرِكَ بِمُلْكِي، أَوْ تُفْتَدِيَ فَأُفْدِيكَ بَوْلَدِي، فهل من حاجة [توصي بها؟] ^(١) فبكى ابن كلّس وقبّل يده وجعلها على عينيه، ثم أوصى العزيز بوصايا ^(٢) ومات. فصلّى عليه العزيز وألحده في قبره بيده في قبة في دار العزيز كان بناها العزيز لنفسه، وأغلق الدواوين بعده أياماً. وقيل: إنه كان حسن إسلامه وقرأ القرآن والنحو، وكان يجمع العلماء والفضلاء. ولمّا مات خلف شيئاً كثيراً. وقيل: إنه كُفّن وحُطّ بما قيمته عشرة آلاف دينار، قاله الذهبي وغيره من المؤرخين، ورثاه مائة شاعر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد، وأبو عبد الله محمد ^(٣) بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مُفَرِّج القُرْطُبِيّ قاضي الجماعة، ووزير مصر يعقوب بن يوسف بن كلّس، وأبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن صُبّر الحنفيّ المعتزليّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشرون إصباعاً.

* * *

= الأعيان: ٢٧/٧ - ٣٥، والإشارة إلى من نال الوزارة: ١٩ - ٢٣، وأخبار مصر لابن ميسر: ١٧٥، والوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٦٣، ٢٤١، وخطط المقرئ: ٥/٢ - ٨، وصفحات متفرقة من اتعاظ الحنفاء.

(١) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان.

(٢) ذكر ابن منجب الصيرفي أنه أوصاه قائلاً: «أما فيما يخصني فانت أرعى لحقي من أن أسترعك إياه، وأراف على من أخلفه من أن أوصيك به، لكنني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك: سالم الروم ما سالوك، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة، ولا تبق على مفرج بن دغفل حتى اعترضت لك فيه فرصة». قارن أيضاً بابن خلكان.

(٣) في الأصل: «أبو عبد الله بن محمد... إلخ». وما أثبتناه يوافق رواية شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ.

السنة السادسة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

فيها خلع الخليفة الطائع عبد الكريم في تاسع عشر شعبان، وتولى القادر الخلافة. وسببه أن أبا الحسين^(١) بن المعلم كان من خواص بهاء الدولة فحبسه الطائع؛ وجاء بهاء الدولة إلى دار الخلافة وقد جلس الطائع متقلداً سيفاً. فلما قرب بهاء الدولة قبل الأرض وجلس على كرسي؛ وتقدم أصحابه فجدبوا الطائع بحمائل سيفه وتكاثروا عليه ولقوه في كساء، وحمل في زرب^(٢) في الدجلة وأصعد إلى دار الملك. وارتج^(٣) البلد، وظن أكثر الناس أن القبض على بهاء الدولة، ونهبت دار الخلافة، وماج الناس، إلى أن نودي بخلافة القادر. وكُتب على الطائع كتاب بخلع نفسه، وأنه سلم الأمر إلى القادر بالله؛ فشعبت الجند يطلبون رسم البيعة، وترددت الرسل بينهم وبين بهاء الدولة، [ومنعوا الخطبة باسم القادر]^(٤)، ثم أرضوهم وسكنوا؛ وأقيمت الخطبة للقادر في الجمعة الآتية^(٥).

والقادر هذا ابن عم الطائع المخلوع عن الخلافة به. وأسمه أحمد، وكنيته أبو العباس ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر. والطائع الذي خلع أسمه عبد الكريم، وكنيته أبو بكر ابن الخليفة المطيع الفضل ابن الخليفة جعفر المقتدر المذكور؛ حبس وأقام سنين بعد ذلك إلى أن مات، على ما سيأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

(١) في الأصل: «أبا الحسن بن المعلم». وما أثبتناه عن المنتظم وشذرات الذهب والذهبي.

(٢) الزرب: سفينة صغيرة.

(٣) في الأصل: «وشاش البلد». وما أثبتناه عن تاريخ الخلفاء للسيوطي. وفي المنتظم: «واختلط الناس وظن أكثرهم... إلخ».

(٤) زيادة عن المنتظم.

(٥) قال السيوطي: واستمر الطائع في دار القادر بالله مكرماً محترماً في أحسن حال، حتى إنه حمل إليه ليلة شعبة أوقد نصفها، فأنكر ذلك، فحملوا إليه غيرها، إلى أن مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

وفيها حجّ بالناس^(١) أبو الحسن محمد بن الحسن بن يحيى العلويّ الشريف أمير الحجّ، [وكذلك]^(٢) حجّ بالناس عدّة سنين.

وفيها توفيّ أحمد بن الحسين بن مهران، أبو بكر النيسابوريّ المقرئ العابد، مصنف كتاب «الغاية في القراءات»^(٣). قال الحاكم: كان إمام عصره في القراءات، وكان أعبد من رأينا من القراء، وكان مجاب الدعوة. مات في شوال وله ستّ وثمانون سنة.

وفيها توفيّ أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الجراح أبو بكر الخزّاز^(٤)؛ كان أديباً فاضلاً فارساً شجاعاً.

وفيها توفيّ بكجور التركي؛ وليّ إمرة دمشق لأستاذه العزيز صاحب الترجمة؛ نقل إليها من ولاية جمنص. وكان ظالماً جباراً، ساءت سيرته في ولايته. ولما كثر ظلمه عزله العزيز صاحب مصر وولّى مكانه مُميراً الخادم سنة ثمانٍ وسبعين. فلم يُسلم بكجور المذكور البلد إلاّ بعد قتال، وتوجّه إلى جهة حلب؛ ثم قُتل بمكان يقال له الناعورة^(٥). وكان أصل بكجور المذكور من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن حَمْدان.

وفيها توفيّ سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان التغلبيّ الأمير صاحب حلب وأبن صاحبها في شهر رمضان. وعُهد إلى ولده أبي الفضائل، ووُصّي لؤلؤاً الكبير به وبولده الآخر أبي الهيثجاء. ووقع بينهم وبين

(١) في الأصل: «وفيها توفي أبو الحسن محمد بن الحسن...» وهو خطأ. لأن الشريف هذا ولي إمارة الحاج نيابة عن الشريف المرتضى، وتولى الإمارة عدة سنوات بعد هذه السنة. وتوفي سنة ٥٤١٥ هـ. وما أثبتناه عن المنتظم والبداية والنهاية وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) الغاية في القراءات العشر، مخطوط، في جامعة الرياض، مصور عن عارف حكمت: ٢٠ ورقة. (الأعلام: ١١٥/١).

(٤) كذا في تاج العروس وتاريخ بغداد. وفي الأصل: «الجواد».

(٥) الناعورة: موضع بين حلب وبالس، بينه وبين حلب ثمانية أميال، وفيه قصر مسلمة بن عبد الملك بن مروان. (معجم البلدان).

العزيز صاحب مصر وقائع وحروب، ذكرناها في أول ترجمة العزيز هذا، وما وقع له معهم إلى أن مات العزيز.

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن حَمَوَيْه بن يوسف بن أَعْيَن أبو محمد السَّرْحَسِيّ؛ مولده في سنة ثلاث وتسعين ومائتين. قال أبو ذَرٍّ^(١): قرأت عليه. وهو صاحب أصولٍ حسان.

وفيها توفي عُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الرحمن بن محمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن سعد بن إبراهيم^(٢) بن عبد الرحمن بن عَوْف، أبو الفضل الزُّهْرِيّ العَوْفِيّ^(٣)؛ هو إمام مُسْنَدٍ كبير القَدْر. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة. وُلِدَ سنة تسعين ومائتين.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن عليّ بن عاصم بن زَادَانَ الحافظ أبو بكر بن المقرئ مُسْنَدُ أَصْبَهَانَ؛ طاف البلاد وسمِعَ الكثير وروى عنه خَلْقٌ. قال آبن مِرْدَوَيْهِ^(٤): هو ثقة مأمون صاحب أصول؛ مات في شَوَّالِ وَلِه سِتِّ وتسعون سنة.

وفيها توفي عُبَيْدُ اللَّهِ بن أحمد بن معروف أبو محمد القاضي؛ وَلِيَّ القضاة من الجانيين ببغداد، وكانت له منزلة عالية من الخلفاء والملوك خصوصاً من الطائع؛ وكان من العلماء الثقات الفضلاء العقلاء.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وأثنتا عشرة إصباعاً. مبلغ الزيادة ستَّ عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصباعاً.

* * *

(٢) هو أبو ذر الهروي، عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفر الأنصاري المالكي ابن السَّمَاكِ شيخ (١) الحرم المتوفى سنة ٥٤٣٤ هـ. (تذكرة الحفاظ: ١١٠٣/٣).

(٢) في تاريخ بغداد: «ابن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم».

(٣) في الأصل: «العزاري». والتصحيح عن شذرات الذهب.

(٤) ابن مردويه: هو أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفى سنة ٥٤١٦ هـ. (تذكرة الحفاظ: ١٠٥٠/٣).

السنة السابعة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

فيها منع أبو الحسين علي بن محمد بن المعلم الكوكبي، صاحب أمر بغداد، الرافضة من أهل الكرخ وباب الطاق من النوح في يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح؛ وكان ذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة.

وفيها جلس الخليفة القادر بالتاج وحضر القضاة والأشراف والأعيان، وأحضر رسول صاحب المولتان^(١)، فذكر الرسول رغبة مرسيله في الإسلام والدخول فيه برعيته، وسأل أن يُنفذ إليه الخليفة من يعلمهم السنن والفرائض والشرائع والحدود؛ فكتب على يده كتاباً ووعد بكل جميل، وسر الناس بذلك غاية السرور.

وفيها شغب الديلم والترك والجند على بهاء الدولة وطلبوا منه تسليم أبي الحسين بن المعلم، وكان ابن المعلم قد استولى على بهاء الدولة وحكم عليه وقصر في حق الجند؛ فامتنع بهاء الدولة من تسليمه؛ ثم غلب وسلمه لخاله شيرزيل، فسقاه السم مرتين فلم يعمل فيه، فخنقه بحبل الستارة حتى مات ودفنه.

وفيها غلت الأسعار ببغداد، فبيع رطل الخبز بأربعين درهماً، والجوزة بدرهم.

وفيها حج بالناس محمد بن الحسن العلوي.

وفيها توفي أحمد بن علي بن عمر أبو الحسين الحريري. ولد سنة اثنتين وثلاثمائة، وهو غير صاحب المقامات. أخرج له الخطيب حديثاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما». ومات أبو الحسين في شهر رمضان.

(١) المولتان والمالتان: مدينة من نواحي الهند قرب غزنة. (انظر عنها: معجم البلدان، وبلدان الخلافة الشرقية، والروض المعطار، ومروج الذهب الجزء الأول، والمسالك والممالك: ٥٦، ١٥٣، وتقويم البلدان).

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، أبو سعيد الرازي القرشي الصوفي نزيل نيسابور؛ كان كالريحانة بين الصوفية، سيداً ثقة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في ذي الحجة، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد بن يعقوب النسائي الشافعي راوي مسند الحسن بن سفيان عنه، وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي وله أربع وتسعون سنة، وأبو عمر محمد بن العباس بن حيوة^(١) الخزاز في [شهر] ربيع الآخر عن سبع وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثمانين عشرة إصبعاً.

• • •

السنة الثامنة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

فيها تزوج الخليفة القادر بالله سكينة^(٢) بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار؛ فماتت قبل الدخول بها.

وفيها عظم الغلاء حتى بلغ ثمن كُر القمح ببغداد ستة آلاف درهم وستمائة درهم غيائي^(٣)، والكاراة الدقيق مائتين وستين درهماً.

وفيها آبتنى الوزير أبو نصر سابور بن أردشير داراً بالكرخ سماها «دار العلم» ووقفها على العلماء ونقل إليها كتباً كثيرة.

(١) في الأصل: «ابن حسويه» والتصحيح عن شذرات الذهب والمتنظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٢) في الأصل: «ستينة». وما أثبتناه عن المتنظم وعقد الجمان والذهبي.

(٣) في الأصل: «درهم عباسي». وما أثبتناه عن المتنظم وتاريخ الإسلام وابن الأثير. والدرهم الغيائية منسوبة إلى غياث الدين، وهو لقب بهاء الدولة بن بويه.

وفيهما توفي أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان الحافظ أبو بكر البزاز^(١)،
وُلد في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين، ومات في شوال ببغداد. وكان
ثَبَتًا ثِقَةً صاحبَ أصول. قيل له: أَسَمِعْتَ من الباغندي^(٢) شيئاً؟ قال: لا أعلم؛ ثُمَّ
وجد سماعه منه، فلم يُحَدِّث به تورُّعاً.

وفيهما توفي جعفر بن عبد الله بن يعقوب أبو القاسم الرازي. روى عن
محمد بن هارون الروياني^(٣) مُسَنِّده، وسمع عبد الرحمن بن أبي حاتم وجماعة.
قال أبو يعلى^(٤) الخليلي: موصوف بالعدالة وحُسن الديانة، وهو آخر من رَوَى عن
الروياني.

وفيهما توفي عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب، أبو محمد المقرئ
الدمشقي المفسر العدل، إمام مسجد عطية داخل باب الجابية^(٥). كان يحفظ
خمسین ألف بيت من شعر العرب في الاستشهادات على معاني القرآن واللغة. مات
بدمشق في شوال. ومن شعره قوله: [الكامل - المجزوء]

إِحْدَرُ مَوْدَةَ مَاذِقٍ^(٦) مَزَجَ المرارةَ بِالْحَلَاوَةِ
يُحْصِي الذنوبَ عَلَيْكَ آيَ سَامِ الصداقةِ لِلْعداوَةِ

وفيهما توفي عبد الله بن محمد بن [القاسم بن]^(٧) حَزَمَ أبو محمد الأندلسي

(١) كذا أيضاً في المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية. وفي شذرات الذهب وتاريخ بغداد: «البزار» بالراء المهملة في آخره.

(٢) هو محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث، أبو بكر الواسطي المتوفى سنة ٣١٢ هـ.

(٣) في الأصل: «الروماني» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب والمشتبه في أسماء الرجال وكشف الظنون. والرويان: نسبة إلى رويان بأمل طبرستان.

(٤) هو الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، أبو يعلى الخليلي المتوفى سنة ٤٤٦ هـ. له كتاب «الإرشاد في علماء البلاد» مخطوط في الرباط (٥٢٨ ك) ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه. (الأعلام: ٣١٩/٢) وسماء في تذكرة الحفاظ: ١١٢٣/٣: «الإرشاد في معرفة المحدثين».

(٥) باب الجابية: أحد أبواب دمشق، عنده مقبرة من مقابر دمشق.

(٦) في الأصل: «مودة حاذق». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية. والماذق: الذي لا يخلص الود.

(٧) زيادة عن شذرات الذهب.

القَلْعِيّ، من أهل قلعة أيوب^(١). رحل إلى مصر والشام والعراق سنة خمسين وثلاثمائة، وسمِع الكثير وعاد إلى الأندلس؛ وصنّف الكتب. وكانوا يشبهونه بسُفيان الثوريّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومات في شهر ربيع الآخر وله ثلاث وستون سنة.

وفيها توفيّ محمد بن صالح بن محمد بن سعد، أبو عبد الله الأندلسيّ الفقيه المالكيّ؛ سمِع بمصر والشام والجزيرة وبغداد، ثم أقام ببخارى حتّى مات بها في شهر رجب. وكان فاضلاً أديباً ثقة. ومن شعره: [الكامل]

ودَعْتُ قلبي ساعةً التوديع وأطعْتُ قلبي وهو غير مطيع
إن لم أشيعهم فقد شيعتهم بمُشيّعين: حُشاشتي ودموعي

وفيها توفيّ نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب، أبو الفضل الطوسيّ العطار الصوفيّ الحافظ، أحد أركان الحديث بخراسان، مع الدّين والزهد والسّخاء والعِفّة. وقد سافر إلى العراق ومصر والشام والحجاز، وجمع من الحديث ما لم يجمعه أحد، وصنّف الكتب. ومات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثمانية عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

فيها تزوّج مهذّب الدولة عليّ بن نصر بنت بهاء الدولة بن بُويه؛ وعقد أيضاً

(١) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس، بقرب مدينة سالم. قال ياقوت: وهي بالثغر، ويتّسبب ليها فيقال: ثغري. (معجم البلدان والروض المعطار).

للأمير أبي منصور^(١) بن بهاء الدولة على بنت مهذب الدولة، كل صدق مائة ألف دينار.

وفيها سار صمصام الدولة بن عضد الدولة من شيراز يريد الأهواز، فخرج بهاء الدولة من بغداد ونزل واسطاً، وأرسل جيشاً لقتال صمصام الدولة بن بويه، فالتقوا مع صمصام الدولة وانتصروا عليه.

وفيها عزل الشريف أبو أحمد الموسوي عن نقابة الطالبين، وصرف ولداه الرضي والمرتضى عن النيابة عنه، وتولى عوضه الشريف الزينبي^(٢).

وفيها رجع الحاج إلى بغداد، ولم يحج أحد من العراق خوفاً من القرامطة.

وفيها توفي إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الصابىء صاحب الرسائل؛ كان فاضلاً شاعراً؛ نكب غير مرة بسبب رسائله. ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، ومات في هذه السنة، ودفن بالشونيزية^(٣). ورثاه الشريف الرضي الموسوي بقصيدته الدالية التي أولها: [الكامل]

أرأيت مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أرأيتَ كيف خبا ضياءَ النادي^(٤)

وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً ورثى صابئاً؛ فقال: إنما رثيت فضله. قال ابن خلكان: وجهد فيه عز الدولة أن يُسلم فلم يفعل. وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ.

وفيها توفي عبد^(٥) الله بن محمد بن نافع بن مكرم، أبو العباس البُستِي الزاهد؛ كان ورث من آبائه أموالاً عظيمة أنفقها على الفقهاء والفقراء؛ أقام سبعين سنة لا يستند إلى جدار ولا إلى غيره، ومات في المحرم.

(١) في الأصل هنا: «أبونصر». وقد سبق تصحيحه.

(٢) هو أبو الحسن محمد بن علي بن أبي غام الزينبي، كما في الذهبي وعقد الجمان والمتنظم.

(٣) الشونيزية: مقبرة ببغداد، بالجانب الغربي منها. وهي مقبرة الجنيد الحالية، في الشمال الغربي من مقبرة الشيخ معروف على مئات أمتار منها. (مصطفى جواد: في التراث العربي، ص ٦٣).

(٤) كذا في ديوانه وابن خلكان. وفي الأصل: «الوادي».

(٥) في الأصل: «عبيد الله» وما أثبتناه عن المتنظم وعقد الجمان وابن الأثير.

وفيهما توفي علي بن عيسى بن علي، الإمام أبو الحسن الرّماني النحوي. مولده سنة ست وتسعين ومائتين؛ وبرع في علم النحو واللغة والأصول والتفسير وغيرها. وله كتاب «التفسير الكبير»، وهو كثير الفوائد إلا أنه صرح فيه بالاعتزال؛ وسلك الزمخشري سبيله وزاد عليه. مات ببغداد ودفن بالشونيزية.

وفيهما توفي محمد بن العباس بن أحمد بن محمد، الحافظ أبو الحسن بن الفرات. ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وكتب الكثير، وجمع ما لم يجمعه أحد من أقرانه؛ وكان عنده عن علي بن محمد المصري وحده ألف جزء، وكتب مائة تفسير ومائة تاريخ، وخلف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً غير ما سرق^(١) منه، وأكثرها بخطه. وكانت له جارية تعارض^(٢) معه بما يكتبه. ومات ببغداد في شوال، وكان مأموناً ثقة. انتهى كلام صاحب مرآة الزمان.

وفيهما توفي محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله، أبو عبد الله^(٣) الكاتب المرزباني؛ كان صاحب أخبار وروايات للأدب، وصنف كتباً في فنون العلوم. وكان أبو علي الفارسي يقول عنه: هو من محاسن الدنيا.

وفيهما توفي المُحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، القاضي أبو علي التّوخي^(٤) مصنف كتاب «الفرج بعد الشدة». مولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة. وكان أديباً شاعراً. تقلّد القضاء بسُرّ من رأى، ومات ببغداد في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأثنتان وعشرون إصباعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

(١) كذا في عقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية. وفي الأصل: «غير ما حرق».

(٢) أي تقابل ما يكتبه.

(٣) كذا أيضاً في معجم الأدباء ومعجم البلدان. وفي ابن الأثير والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان:

«عبيد الله».

(٤) في الأصل: «والد علي مؤلف كتاب الفرج»، وهو خطأ.

السنة العشرون من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

فيها تحرّكت القرامطة على البصرة، فجهّز بهاء الدولة إليهم جيشاً فرجعوا عنها.

وفيها زلزلت الدنيا زلزلة عظيمة، مات فيها تحت الهدم خلق كثير.

وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من كان بفارس من الأتراك، كلّ ذلك ولم يُتّج أمر صمصام الدولة^(١).

وفيها توفي طغان صاحب بهاء الدولة الذي كان ندبه لقتال صمصام الدولة بشيراز.

وفيها حجّ بالناس أحمد بن محمد بن عبد الله العلويّ من العراق؛ وبعث بدر بن حسنويه الكرديّ خمسة آلاف دينار إلى الأصفير الأعرابيّ الذي كان يقطع الطريق على الحاجّ عوضاً عما كان يأخذه من الحاجّ، وجعل ذلك رسماً عليه في كل سنة من ماله، رحمه الله.

وفيها توفي الوزير صاحب إسماعيل بن عبّاد بن العباس، أبو القاسم وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة الحسن بن بويه، ثم ورّ لأخيه فخر الدولة. كان أصله من الطالقان، وكان نادرة زمانه وأعجوبة عصره في الفضائل والمكارم. أخذ الأدب عن الوزير أبي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه، وسمع الحديث من أبيه ومن غير واحد، وحديث باليسير. وهو أول وزير سُمّي بالصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة من الصّبا فسماه الصاحب، فغلب عليه، ثم سُمّي به كلّ من وليّ الوزارة^(٢).

(١) في حاشية طبعة دار الكتب، جاء تفصيل هذا الخبر نقلاً عن مرآة الزمان: «... وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من كان بفارس من الأتراك، وكانوا قد أفسدوا وعاثوا ونهبوا المال والحريم، وكانوا سبعمائة غلام، فلما هدر صمصام الدولة دماءهم هربوا إلى السند وراسلوا صاحبها في الدخول عليه، فأذن لهم، وخرج للقائهم، وصفت أصحابه صفين، فلما صار الترك بينهم وضعوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم أحدهم. قارن أيضاً بابن الأثير في حوادث نفس السنة.

(٢) انظر في ذلك الألقاب الإسلامية لحسن الباشا، ص ٣٦٧ وما بعدها.

حتى حَرَافِيشُ زماننا حَمَلَةُ اللحم وَأَخَذَةُ المُكُوسِ! وقيل: إنه كان يَصْحَبُ
ابنَ العميد فقيل له صاحب ابن العميد، ثم خُفِّفَ فقيل الصاحب. ولَمَّا وَلِيَ الوزارة
قال فيه أبو سعيد الرُّسْتَمِيّ^(١): [الكامل]

ورثَ الوزارةَ كَابِرًا عن كَابِرٍ مَوْضُوعَةً الإِسْنَادِ بالإِسْنَادِ
يُرَوِّي عن العباسِ عِبَادُ وَزَا رَتَهُ وإِسْمَاعِيلُ عن عِبَادِ

ولَمَّا مات مؤيِّد الدولة تَوَلَّى السلطنةَ أخوه فخر الدولة، فأَقَرَّ الصاحبُ هذا على
وزارته؛ فعَظُمَ أمره أكثرَ ما كان؛ وَبَقِيَ في الوزارة ثمانية عشرَ عاماً، وفتحَ خمسين
قلعةً وسَلَّمَهَا إلى فخر الدولة. وكان عالِماً بفنون كثيرة. وأما الشعرُ فَإِلَيْهِ المنتهى
فيه. ومن شعره: [الكامل]

رَقُّ الزُّجَاجِ وِرَاقَتِ الخمرِ وتشابها فتشاكلُ الأمرُ
فكَأَنَّمَا خمرٌ ولا قَدَحُ وكَأَنَّمَا قَدَحٌ ولا خمرُ

وله القصيدة التي أولها: [الوافر]

تَبَسُّمٌ إِذْ تَبَسُّمٌ عن أَقَاجِي وأسفرَ جِينَ أسفرَ عن صباح

وقيل: إِنَّ القاضي العميري^(٢) أُرْسِلَ إلى الصاحب كُتُباً كثيرة، وكتبَ معها
يقول: [الخفيف]

العميريُّ عبدٌ كافي الكُفَاةِ^(٣) وإن^(٤) أَعْتَدُ في وجوه القُضَاةِ
خَدَمَ المجلسَ الرفيعَ بَكُتَبٍ مُفَعَّمَاتٍ^(٥) من حُسْنِهَا مُتَرَعَاتِ

فأَخَذَ منها الصاحبُ بن عِبَادٍ كتاباً واحداً، وكتبَ معها: [الخفيف]

(١) هو محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم، كما في يتيمة الدهر للثعالبي:
٣/٣٠٠. وروى الثعالبي جملة وافرة صالحة من شعره.

(٢) هو قاضي قزوین، كما في اليتيمة.

(٣) كافي الكفاة: لقب للصاحب بن عباد. (الألقاب الإسلامية).

(٤) في اليتيمة: «ومن اعتد».

(٥) في الأصل: «منعمات». وما أثبتناه عن اليتيمة.

قد قَبَلْنَا من الجميع كِتَاباً وَرَدَدْنَا لوقتها الباقيات
لستُ أَسْتَغْنَم الكثير فطبيعي قول «خُذْ» ليس مذهبي قول «هَاتِ»

ومات الصاحب بالرِّيَّ عشية ليلة الخميس خامس عشرين صفر، وأُغْلِقَتْ له
مدينة الرِّيَّ، وحضر مَخْدُومُهُ فخر الدولة وجميع أعيان مملكته، وقد غَيَّرُوا لِبَاسَهُمْ.
فلَمَّا خَرَجَ نَعَشَهُ صاح الناس صيحةً واحدة، وقَبَلُوا الأرض لنعشه، ومشى فخر الدولة
أمام نعشه، وقعد للغزاء أياماً، ورثاه الشعراء بعدة قصائد.

قلت: وأخبار ابن عباد كثيرة، وقد استوعبنا أمره في كتاب «الوزراء»^(١).
وليس هذا محل الإطناب في التراجم سوى تراجم ملوك مصر التي بسببها صُنِّفَ هذا
الكتاب.

وفيها توفي عليّ بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن
عبد الله أبو الحسن البغدادي الدارقطني^(٢)، الحافظ المشهور صاحب التصانيف.
سَمِعَ من أبي القاسم البَغَوِيِّ وخلق كثير ببغداد والكوفة والبصرة وواسط، ورحل
في كهولته إلى الشام ومصر، فسمع القاضي أبا الطاهر^(٣) الذُّهْلِيَّ وطبقته؛ وروى
عنه أبو حامد الأسفرايني وأبو عبد الله الحاكم وعبد الغني بن سعيد المصري وخلق
سواهم. قال الخطيب أبو بكر: كان الدارقطني فريداً عصره، ووحيد دهره، ونسيج
وحده، وإمام وقته؛ انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعِلَلِ الحديث وأسماء الرجال
[وأحوال الرواة]^(٤)، مع الصدق والثقة، وصحة الاعتقاد. وكانت وفاته في ثامن
ذي القعدة.

وفيها توفي عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن أزداد، الشيخ
أبو حفص بن شاهين، الحافظ الواعظ محدث بغداد ومفيدها؛ سَمِعَ الكثير وحديث؛

(١) لا نعرف كتاباً باسم «الوزراء» للمؤلف.

(٢) هذه النسبة إلى «دار القطن»، عملة بغداد.

(٣) ورد ذكره في حوادث سنة ٣٦٧ هـ من هذا الكتاب.

(٤) زيادة عن تاريخ بغداد.

ومولده سنة سبع وتسعين ومائتين. قال ابن ماكولا: كان ثقة مأموناً؛ سَمِعَ بالشام والعراق والبصرة وفارس، وجمَعَ الأبواب والتراجم، وصنَّف كثيراً.

وفيها توفي أبو الحسن عَبَاد بن العباس والد الصاحب بن عَبَاد المقدم ذكره، مات بعد آبنه بمدة يسيرة. وكان فاضلاً جليلاً؛ سَمِعَ الحديث، وصنَّف كتاب «أحكام القرآن». وقد تقدَّم أن أصلهم من «الطَّالِقَان» وهي قرية كبيرة بين قزوين وأبهر، وحولها عدَّة قُرَى؛ وقيل: هو إقليم يقع عليه هذا الاسم. وبخُرَاسان مدينة يقال لها «طالِقَان» غير هذه.

وفيها توفي بشر بن هارون أبو نصر النصراني الكاتب؛ كان شاعراً هجاءً خبيث اللسان كتب مرةً إلى إبراهيم الصابىء: [السريع]

حَضَرْتُ بِالْجِسْمِ وَقَدْ كُنْتُ بِالنَّفْسِ وَإِنْ لَمْ تَرْنِي حَاضِراً^(١)
أَنْطَقَنِي بِالشَّعْرِ حُبِّي لَكُمْ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَاعِراً
فَكُتِبَ إِلَيْهِ الصَّابِيُّءُ تَحْتَ خَطِّهِ: «ولا بعدها».

وفيها توفي الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد، أبو محمد الأديب الشاعر؛ كان فاضلاً يتجر وله مال كثير. ولما قَدِمَ المتنبِّي بغداد خدمه؛ فقال له المتنبِّي: لو كنتُ مادحاً تاجراً لمدحتك.

وفيها توفي عقيل بن محمد^(٢) [بن عبد الواحد]^(٣)، أبو الحسن الأحنف العُكْبَرِيُّ الأديب الشاعر. ومن شعره: [الرمْلُ مجزوء]

مَنْ أَرَادَ الْعِزَّ^(٤) وَالرَّاحَةَ مِنْ هَمٍّ طَوِيلٍ
فَلْيَكُنْ قَرْدًا مِنَ النَّاسِ سِرٍّ وَيَرْضَى بِالْقَلِيلِ

(١) كذا في طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان، ورواية البيت في الأصل:

حضرت بالجسم وقد كنت لو بالنفس لما ترني حاضراً

(٢) في الأصل: «عقيل بن أحمد». والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ ~~البلدان~~ البداية والنهاية.

(٣) زيادة عن البداية والنهاية.

(٤) في الأصل: «الملك». وهي لا تستقيم في المعنى. وما أثبتناه عن البداية والنهاية.

وفيهما توفي محمد بن عبد الله [بن محمد]، بن سكرة^(١)، أبو الحسن الهاشمي البغدادي الشاعر المشهور، ويُعرف بآبن رابطة^(٢). هو من ولد علي بن المهدي من بني العباس. كان شاعراً ظريفاً فصيحاً؛ وشعره في غاية الجودة والرقّة. من ذلك قوله: [المنسرح]

في وجه إنسان^(٣) كَلَفْتُ بها أربعة ما أَجْتَمَعْنَ في أَحَدٍ
الوجه بدرٌ والصَّدْعُ غَالِيَةٌ والرِّيقُ خمرٌ والثَّغْرُ من بَرَدٍ

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الحادية والعشرون من ولاية العزيز نزار على مصر، وفيها مات وهي سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

فيها في المحرم آدعى أهل البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتاً [طرياً]^(٤) بشيابه وسيفه، وأنه الزبير بن العوام؛ فأخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد؛ وبنى عليه أبوالمسك عنبر بناءً^(٥) وجعله مشهداً، وأوقف عليه أوقافاً ونقل إليه القناديل والآلات. قال الذهبي: فالله أعلم مَنْ ذلك الميت.

وفيهما توفي أحمد بن علي بن أحمد، أبو علي المدائني، ويُلقب بالهائم. رَوَى عن السري الرفاء ديوان شعره. وكان شاعراً ماهراً. ومن شعره في كَوْسَج^(٦):
[المنسرح]

(١) في الأصل: «سكارة» وهو خطأ. والتصحيح والزيادة عن يتيمة الدهر وابن خلكان.

(٢) في تاريخ بغداد: «ابن راططة».

(٣) كذا في البداية والنهاية وبيتمة الدهر وعقد الجمان وتاريخ بغداد. ورواية الأصل:

«في وجه إنسان قد كلفت به»

(٤) زيادة عن المنتظم والذهبي.

(٥) كذا في المنتظم وعقد الجمان. وفي البداية والنهاية: «مسجداً». وفي الأصل: «بيتاً».

(٦) الكوسج: هو الذي لا شعر على عارضيه.

وَجْهَ الْيَمَانِيِّ مَنْ تَأَمَّلَهُ أَبْصَرَ فِيهِ الْوَجُودَ وَالْعَدَمَ

قَدْ شَابَ عُثُونُهُ وَشَارِبُهُ وَعَارِضُهُ لَمْ يَلْغَا الْحُلُمَا

وفيها توفي محمد بن علي بن عطية أبو طالب الحارثي، مصنف كتاب «قوت القلوب»^(١). كان من أهل الجبل ونشأ بمكة وترهّد، وكان له لسان حُلُو في الوعظ والتصوّف.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن أحمد، أبو بكر السوسي، شيخ الصوفية بدمشق؛ كان زاهداً عابداً؛ ما عقّد على درهم ولا دينار، ولا اغتسل من حلال ولا حرام؛ حدّث عن أحمد بن عطاء الروذباري وأقرانه، ولقي المشايخ.

الذين ذكر الذهبية وقلّتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو حامد^(٢) أحمد بن عبد الله النعيمي بهرة في شهر ربيع الأول، وأبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون السامري، وأبو أحمد عبيد الله بن يعقوب بن إسحاق الأصبهاني، روى عن جده مسند أحمد بن منيع، وأبو الحسن علي بن عمر الحربي السكري^(٣) في سؤال وله تسعون سنة، وأبو عبد الله الختن^(٤) شيخ الشافعية محمد بن الحسن الإستراباذي^(٥)، وأبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي صاحب «القوت» في جمادى الآخرة، والعزيز نزار بن المعز العبيدي في رمضان عن ثلاث وأربعين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصباعاً.

(١) هو كتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» في التصوّف. قالوا: لم يصنف مثله في دقائق الطريقة. وقد طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣١٠ هـ. (طبعة دار الكتب المصرية، حاشية). وانظر كشف الظنون: ١٣٦١/٢.

(٢) في الأصل: «أبو أحمد حامد». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمشتبه.

(٣) في الأصل: «اليشكري». والتصحيح عن تاريخ بغداد وشذرات الذهب وعقد الجمان وابن الأثير.

(٤) في الأصل: «وأبو عبد الله الحسن شيخ الشافعية ومحمد بن الحسن الإستراباذي» والتصحيح عن شذرات الذهب والأعلام. والختن: الصهر، أو كل من كان من قبل المرأة كأيها وأخيها. وهو ختن أبي بكر الإسماعيلي الفقيه الشافعي، كما في شذرات الذهب.

(٥) نسبة إلى إستراباذ، من بلاد مازندران بين سارية وجرجان. وفي الأعلام: «الجراباذقاني» نسبة إلى جراباذقان، بين جرجان وإستراباد.

ذكر ولاية الحاكم^(١) بأمر الله على مصر

هو أبو علي منصور، الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله نزار بن المُعِزَّ بالله مَعَدَّ بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عُبَيْد الله، العبيدي الفاطمي المغربي الأصل، المصري المولد والدار والمنشأ، الثالث من خلفاء مصر من بني عُبيد والسادس منهم ممن وَلِيَ من أجداده بالمغرب، وهم: المهدي والقائم والمنصور المقدم ذكرهم.

مولده يوم الخميس لأربع ليالٍ بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة بالقاهرة؛ وقيل: في الثالث والعشرين منه. وولاه أبوه العزيز عهدَ الخلافة في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وبويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة؛ فَوَلِيَ الخلافة وله إحدى عشرة سنة ونصف، وقيل: عشر سنين ونصف وستة أيام، وقيل غير ذلك.

قال العلامة أبو المظفر بن قزأوغلي في تاريخه: «وكانت خلافته مُتضادة بين شجاعة وإقدام، وجُبْن وإحجام، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء. وكان الغالب عليه السخاء؛ وربما يخل بما لم ييخل به أحد قط. وأقام يلبس الصوف سبع سنين، وأمتنع من دخول الحمام؛ وأقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً، ثم عنَّ له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة. وقتل من العلماء والكتاب والأمثال ما لا يُحصى؛ وكتب على المساجد والجوامع

(١) ترجمته وأخباره في: خطط المقرئ: ٣٥٤/١ و ٢٨٥/٣ - ٢٨٩، وابن خلكان: ٢٩٢/٥ - ٢٩٨، وأخبار الدول المنقطعة لابن طاهر الأزدي: ٤٣ - ٦٢، والحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عثان، والحاكم بأمر الله لعبد المنعم ماجد. وكتب التاريخ العام.

سبَّ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، ثم محاه في سنة سبع وتسعين؛ وأمر بقتل الكلاب و[حرم] بيع الفُقاع^(١) [وعمله] ثم نهى عنه؛ ورَفَعَ المُكُوس عن البلاد وعمَّا يُباع فيها؛ ونهى عن النجوم، وكان ينظر فيها؛ ونهى المُنْجَمين وكان يرصدها؛ ويخْذُم زُحَل، وطالعه المَرِيخ، ولهذا كان يَسْفِك الدِّماء. وبني جامع القاهرة^(٢)، وجامع راشدة^(٣) على النيل بمصر، ومساجد كثيرة، ونقل إليها المصاحف المفصَّضة والستور الحرير وقناديل الذهب والفضة؛ ومنع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها؛ وقطع الكروم ومنع من بيع العنب، ولم يُبق في ولايته كَرَمًا؛ وأراق خمسة آلاف جرة من عسل في البحر خوفاً من أن تُعَمَل نبيذاً؛ ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلاً ونهاراً؛ وجعل لأهل الذمة علامات يُعرفون بها، وألبس اليهود العمامات السود، وأمر ألا يركبوا مع المسلمين في سفينة، وألا يَستَخدموا غلاماً مسلماً، ولا يركبوا حمار مسلم، ولا يدخلوا مع المسلمين حمّاماً، وجعل لهم حمامات على حدة؛ ولم يُبق في ولايته ديراً ولا كنيسة إلا هدمها؛ ونهى عن تقبيل الأرض بين يديه والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات؛ وجعل مكان الصلاة عليه: السلام على أمير المؤمنين، ثم رجع عن ذلك؛ وأسلم خلقاً من أهل الذمة خوفاً منه ثم آرتدوا؛ وأعاد الكنائس إلى حالها. انتهى كلام أبي المظفر.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه: «كان جَوَاداً سَمَحاً، خبيثاً

(١) شراب يتخذ من الشعير؛ سمي بذلك لما يرتفع في رأسه ويعلوه من الزيد. وكان الفُقاع مسكراً ذائعاً في ذلك الوقت.

(٢) المراد جامع الحاكم الذي يقال له الجامع الأنور؛ وهو بشارع باب الفتوح بالقاهرة. أسسه والده العزيز سنة ٤٣٨٠هـ، وأكمله هوسنة ٤٤٠١هـ. (خطط المقرئ: ٢/٢٧٧).

(٣) كان هذا الجامع واقعاً بين مدينة الفسطاط ودير الطين، وعرف بهذا الاسم لأنه بني في خطة راشدة بن أدب بن جديلة من لحم. وخطتهم بمصر بالجبل المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش. (خطط: ٢/٢٨٢) وقد زال هذا الجامع، وعمله اليوم مساكن قائمة بالجهة الغربية من عزبة إصطبل عنتر قبلي الطريق الموصلة بين هذه العزبة وبين جسر النيل في الزاوية التي تتقابل فيها هذه الطريق بالجسر الفاصل بين العزبة وبين الأراضي الزراعية. وهذا الموضع يعرف عند أهل الجهة بمقام الست راشدة. (م. رمزي).

ماكراً، رديء الاعتقاد، سفاكاً للدماء؛ قتل عدداً كبيراً من كبراء دولته صبراً؛ وكان عجيب السيرة، يخترع كل وقت أموراً وأحكاماً يحمل الرعية عليها؛ فأمر بكتب سب الصحابة على أبواب المساجد والشوارع، وأمر العمال بالسب في الأقطار في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وأمر بقتل الكلاب في مملكته وبطل الفقاع والملوخيا؛ ونهى عن السمك، وظفر بمن باع ذلك فقتلهم؛ ونهى في سنة اثنتين وأربعمائة عن بيع الرطب ثم جمع منه شيئاً عظيماً فأحرق الكل؛ ومنع من بيع العنب وأباد كثيراً من الكروم^(١)؛ وأمر النصارى بأن تعمل في أعناقهم الصلبان، وأن يكون طول الصليب ذراعاً وزنه خمسة أرتال بالمصري؛ وأمر اليهود أن يحملوا في أعناقهم قرامي الخشب في زنة الصلبان أيضاً، وأن يلبسوا العمائم السود، ولا يكثرُوا من مسلم بهيمة، وأن يدخلوا الحمام بالصلبان، ثم أفرد لهم حمامات. وفي العام أمر بهدم الكنيسة المعروفة بالقمامة^(٢). ولما أرسل إليه

(١) يقول العلامة دوزي: «لم تكن قوانين الحاكم سخيفة كما يجب أن يصورها الرواة السنيون الذين اعتادوا أن يقدموا إلينا من هذا الأمير شخصية مضحكة لا صورة حقة... لقد أراد الحاكم أن يكافح الانحلال الشامل الذي سرى إلى مجتمع عصره، بقوانين بوليسية صارمة، وأحياناً غريبة شاذة». ويقول ميللر بعد أن يلخص قوانين الحاكم الاجتماعية: «إن هذه التصرفات ليست كلها تنم عن الحماسة، وإذ كنا لا نستطيع أن نعلل كل أعماله، فليس ذلك مما يحملنا على أن نعتبر تصرفاته فورة أهواء مستبد، ولا سيما ونحن نراها في نواحي أخرى سليمة معقولة...». انظر كتاب محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية: ١٥١ - ١٧٤. وفي هذا الفصل عرض وتحليل لشخصية الحاكم وخلاله.

(٢) قال ناصر خسرو في مذكراته التي كتبها عن رحلته إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، وسماها: سفرنامه: «وللنصارى في بيت المقدس كنيسة يسمونها بيعة القمامة، لها عندهم مكانة عظيمة. ويحج إليها كل سنة كثير من بلاد الروم، ويزورها ملك الروم متخفياً، حتى لا يعرفه الناس. وقد زارها أيام عزيز مصر الحاكم بأمر الله، فبلغ ذلك الحاكم، فأرسل إليه أحد حراسه - بعد أن عرفه أن رجلاً بهذه الحلية والصورة يجلس في كنيسة بيت المقدس - وقال له: «اذهب عنده وقل له: إن الحاكم أرسلني إليك ويقول: لا تحسبي أجهل أمرك، ولكن كن آمناً، فلن أقصذك بسوء» وقد أمر الحاكم هذا بالإغارة على الكنيسة فهدمها وخربها، وظلت خربة مدة من الزمن. وبعد ذلك بعث القيصر إليه رسلاً وقدم كثيراً من الهدايا والخدمات وطلب الصلح والشفاعة ليؤذن له بإصلاح الكنيسة، فقبل الحاكم وأعيد تعميرها». انتهى. قال ياقوت في معجم البلدان: «والنصارى يسمونها كنيسة القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته في هذا المكان. والصحيح أن اسمها قمامة، لأنها كانت مزبلة أهل البلدة. قلت: وقد هدمت الكنيسة سنة ٤٠٠هـ، وظلت خربة حتى سنة ٤٢٩هـ حين عقد الامبراطور ميشال الخامس Michel V Le Paphlagonien هدنة مع والي بيت المقدس من قبل =

أبن باديس^(١) يُنكر عليه أفعاله، أراد آستمالته فأظهر التفقه وحمل في كمه الدفاتر وطلب إليه فقيهين وأمرهما بتدريس مذهب مالك في الجامع؛ ثم بدا له فقتلهما صبراً؛ وأذن للنصارى الذين أكرههم إلى الإسلام في الرجوع إلى الشرك. وفي سنة أربع وأربعمئة منع النساء من الخروج في الطريق، ومنع من عمل الخفاف لهن؛ فلم يزلن ممنوعات سبع سنين وسبعة أشهر حتى مات. ثم إنه بعد مدة أمر ببناء ما كان أمر بهدمه من الكنائس. وكان أبوه العزيز قد ابتدأ ببناء جامع الكبير بالقاهرة (يعني الذي هو داخل باب النصر) فتممه هو. وكان على بنائه ونظره الحافظ عبد الغني^(٢) بن سعيد. وكان الحاكم يفعل الشيء ثم ينفضه. وخرج عليه أبو ركوّة الوليد بن هشام العثماني الأموي الأندلسي بنواحي برقة فمال إليه خلق عظيم؛ فجهز الحاكم لحربه جيشاً فانتصر عليهم أبو ركوّة وملك؛ ثم تكاثروا عليه وأسروه؛ ويقال: إنه قُتل من أصحابه مقدار سبعين ألفاً. وحُمل أبو ركوّة إلى الحاكم فذبحه في سنة سبع وتسعين. انتهى كلام الذهبي باختصار.

قلت: ونذكر واقعة مع عساكر الحاكم وكيف ظفر به الحاكم وقتله مفصلاً في سنة سبع وتسعين المذكورة في الحوادث بأوسع من هذا، إن شاء الله تعالى؛ لأن قصته غريبة فتتظر هناك.

وقال ابن خلّكان: «وكان أبو الحسن عليّ المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له «الزيج» المعروف بالحاكمي وهو زيج كبير مبسوط. قال: نقلت من خط الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي رحمه الله تعالى أن الحاكم المذكور كان

= المستنصر بالله، وقد تعهد بتحرير خمسة آلاف أسير مسلم، ومنح الحق في إعادة بناء الكنيسة، فأرسل المهندسين والمعماريين فوراً من القسطنطينية وبنيت الكنيسة من جديد.

وتقول رواية كنسية معاصرة (سير البيعة المقدسة) أن السجل الشهير بهدم كنيسة القيامة صيغ بهذه العبارة الموجزة: «خرج أمر الإمامة إليك (أي إلى يارختكين والي الرملة) بهدم قمامة؛ فاجعل سماءها أرضاً، وطولها عرضاً». وتزيد على ذلك أن الذي كتبه كاتب نصراني يسمى ابن شترين، وأنه توفي بعد كتابته بأيام قلائل ندماً وحزنًا. (الحاكم بأمر الله: ص ١٣٦).

(١) ابن باديس: هو المعز (أبو تميم منصور) بن باديس (نصير الدولة أبي مناد) الصنهاجي.

(٢) هو الإمام الحافظ عبد الغني بن سعيد، أبو محمد المصري. كان إمام زمانه في علم الحديث. توفي سنة

جالساً في مجلسه العام وهو حَفِلٌ بأعيان دولته، فقرأ بعض الحاضرين: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾^(١)، والقارئ في أثناء ذلك كله يشير إلى الحاكم. فلما فرغ من القراءة قرأ شخص يعرف بأبن المشجر (والمشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء مهملة) وكان ابن المشجر رجلاً صالحاً فقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢). فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم، ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار، ولم يُطلق للآخر شيئاً. ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر، قال له: أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما تأمن أن يحقد عليك [وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت]^(٣) ثم يؤاخذك بعدها فالمصلحة عندي أن تغيب عنه. فجهز ابن المشجر إلى الحج وركب في البحر وغرق. فراه صاحبه في النوم [فسأله عن حاله]^(٤) فقال: ما قصر الربان معنا، أرسى بنا على باب الجنة. انتهى كلام ابن خلكان رحمه الله.

وقال ابن الصابى^(٥): «كان الحاكم يُواصل الركوب^(٦) ليلاً ونهاراً، ويتصدى له الناس على طبقاتهم، فيقف عليهم ويسمع منهم، فمن أراد قضاء حاجته قضاها

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٣، ٧٤.

(٣) زيادة عن ابن خلكان.

(٤) هو هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى الحزاني، أبو الحسين أو أبو الحسن. أسلم في أواخر عمره. وولي ديوان الإنشاء ببغداد زمناً. من كتبه: «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» وله كتاب التاريخ باسم «ذيل تاريخ ثابت بن سنان» و«غرر البلاغة» و«رسوم دار الخلافة» وغيرها. (الأعلام: ٩٢/٨) وهو من المعاصرين للفترة التي عاش فيها الحاكم، فقد توفي الصابى سنة ٥٤٨ هـ.

(٥) كان يقصد غالباً إلى المقطم، وكان قد أنشأ له هناك منزلاً منفرداً، يخلو فيه إلى نفسه ويقيم في عوالمه وتصويراته. وموصداً خاصاً يرصد منه النجوم ويستطلعها، وربما قصد إلى بعض الحدائق والمواقع المنعزلة. وكان مثل والده العزيز يؤثر ركوب الحمير ولا سيما الشهباء منها، ويخرج دون موكب ولا زينة، ومعه نفر قليل من الركابية، ويرتدي ثياباً بسيطة ساذجة. (الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان:

في وقته، ومن منعه سقطت المراجعة في أمره. وكان المصريون مؤثرون منه؛ فكانوا يذسّون إليه الرّقاع المختومة بالدعاء عليه والسب له ولأسلافه، والوقوع فيه وفي حرّمه، حتى انتهى فعلهم إلى أن عمّلوا تمثال امرأة من قراطيس بخف وإزار، ونصبوها في بعض الطّرق وتركوا في يدها رقعة ظلّامة؛ فتقدّم الحاكم وأخذها من يدها. فلما فتحها رأى في أولها ما استعظمه، فقال: انظروا هذه المرأة من هي؟ فقيل له: إنها معمولة من قراطيس؛ فعلم أنهم قد سخّروا منه، وكان في الرقعة كلّ قبيح. فعاد من وقته إلى القاهرة، ونزل في قصره وأستدعى القوّاد والعرفاء، وأمرهم بالمسير إلى مصر وضربها بالنار ونهّيها، وقتل من ظفّروا به من أهلها^(١)؛ فتوجّه إليها

(١) بعض الروايات الأخرى - على اتفاقها مع هذه الرواية في وقوع هذه الجريمة الشنعاء - ترجعها إلى مناسبة أخرى وإلى تاريخ متأخر عن هذا التاريخ بنحو خمسة أعوام أي أوائل سنة ٤١١ هـ. وقد تابع ابن الأثير ابن الصّايء في روايته. ويقول بالرواية الثانية كل من: يحيى بن سعيد الأنطاكي في تاريخه المذيل به على كتاب نظم الجوهر المعروف بتاريخ سعيد بن بطريق، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، والوزير جمال الدين المصري في أخبار الدول المنقطعة، ويتابعه في ذلك التويري في نهاية الأرب: ٦٠/٢٦. وملخص الرواية الثانية أنه في الثاني عشر من صفر سنة ٤١١ هـ ركب فريق من أصحاب حمزة بن علي (وكان من أبرز الدعاة لألوهية الحاكم) على خيول وبغال ودخلوا الجامع العتيق عليها ركباناً، وهم يجاهرون بمذهبهم. وأخذوا يلقون على الحضور أصول دعوتهم وفكرتهم في الألوهية، فضج الناس بالتكبير والتهليل والتضرع لله؛ ولما حضر القاضي إلى المسجد، وهو يومئذ أحمد بن محمد بن أبي العوام، قدّم إليه أحد الدعاة رقعة من حمزة أولها «بسم الحاكم لله الرحمن الرحيم» وفيها يأمره بالاعتراف بألوهية الحاكم وإذاعة ذلك في الكافة، فأجاب القاضي محتجاً منكراً، فأغلظ له الدعاة الكلام، فثار الناس ووثبوا بالدعاة - وكانوا ثلاثة - فقتلوه في الحال؛ ثم انقضوا على باقي الملاحدة فقتلوهم أشنع قتل، وانطلقوا يتبعون أصحاب وأتباع حمزة حيث وجدوا يقتلونهم ثم يحرقونهم. ولما وقف الحاكم على هذه الحوادث ثارت نفسه غضباً وأعدم عدداً من قتلة الدعاة؛ فاشتد سخط الكافة، وشاطرهم الجند شعورهم، وأحاط جماعة من الترك بدار أنوشكين الدرزي فالتجأ إلى القصر (وفي رواية المقرئزي أنه قتل أثناء ركوبه في موكب الحاكم ذاته). وقد ثارت نفس الحاكم غضباً على الجند والكافة لأنهم اجترأوا على مطاردة الدعاة وتمزيقهم بهذه القسوة دون اكتراث لما أولاهم من رعاية ظاهرة، وعول على الانتقام لنفسه وللدعاة. بيد أنه لم يكن ليجرؤ على معاقبة الجند خشية الفتنة، فلم يلبث أن أظهر الرضى عنهم. وغى إليه أن أهل مصر (الفسطاط) هم الذين حرصوا الجند والعامّة على مطاردة الدعاة وقتلهم، فعول على أن يختص مصر وأهلها بانتقامه وأن ينكل بهم ويمدّيتهم شرّ تنكيل، فاستدعى العرفاء والقادة... إلخ. وبعد هذا تتفق الروايات في أكثر تفاصيل جريمة إحراق مصر والتنكيل بأهلها. (انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ١٩٧ - ٢٠٨).

العبيد والروم والمغاربة وجميع العساكر. وعَلِمَ أهل مصر بذلك فَاجْتَمَعُوا وَقَاتَلُوا عَنْ نفوسهم، وأوقعوا^(١) النار في أطراف البلد؛ فَاسْتَمَرَّتْ الحرب بين العبيد والعامّة والرعيّة ثلاثة أيّام، والحاكم يركب في كلّ يوم إلى القرافة، ويطلّع إلى الجبل ويُشاهد النار ويسمع الصّياح ويسأل عن ذلك؛ فيقال له: العبيد يحرقون مصر وينهبونها، فيُظهر التوجّع، ويقول: لعنهم الله! مَنْ أمرهم بهذا.

فلَمَّا كان اليوم الرابع^(٢) اجتمع الأشراف [والشيوخ]^(٣) إلى الجوامع ورفعوا المصاحف وضجّوا بالبكاء وأبتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء، فرحمهم الأتراك [والمغاربة]^(٤) ورَقُوا لهم وأنحازوا إليهم وقاتلوا معهم، وكان أكثرهم مُخَالِطاً لهم ومُدَاخِلًا ومصاهراً، وأنفرد العبيد وصار القتال معهم؛ وعَظُمَتِ القِصَّةُ وزادت الفتنة، وأستظهرت كُتامة الأتراك عليهم، وراسلوا الحاكم، وقالوا: «نحن عبيد ومماليك، وهذا البلد بلدك وفيه حُرْمَتنا وأموالنا وأولادنا وعقارنا، وما علمنا أَنَّ أهلَه جَنَوْا جناية تقتضي سوء المقابلة، وتدعو إلى مثل هذه المعاملة. فإن كان هناك باطن لا نعرفه فأخبرنا به، وأنتظرنا حتّى نخرج بعيالنا وأموالنا منه. وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفاً لرأيك فأطلقنا في معاملتهم بما يُعامل به المفسدون والمخالفون». فأجابهم بأنه ما أراد ذلك، ولَعَنَ الفاعلَ له والأمر به، وقال: أنتم على الصواب في الذبّ عن المصريين، وقد أَذِنْتُ لكم في نُصْرَتهم، والإيقاع بمن تعرّض لهم. وأرسل إلى العبيد سرّاً يقول: كونوا على أمركم؛ وحَمَلْ إليهم سلاحاً قوّاهم به. وكان غرضه في هذا أن يطرح بعضهم على بعض، وينتقم من فريق بفريق.

وعَلِمَ القومُ بما يفعل، فراسلته كُتامة الأتراك: «قد عرفنا غرضك، وهذا هلاك هذه البلدة وأهلها وهلاكنا معهم؛ وما يجوز أن نسلم نفوسنا والمسلمين لقتل

(١) الضمير هنا عائد على العبيد والعساكر.

(٢) في المنتظم والذهبي: «فلما كان في اليوم الثالث».

(٣) زيادة عن المنتظم.

(٤) زيادة عن كتاب الحاكم بأمر الله المذكور سابقاً.

الحريم وذهاب المُهَج. ولئن لم تكفهم لنحرقن القاهرة، وتستقرن^(١) العرب وغيرهم؟ فلما سمع الرسالة - وكانوا قد استظهروا على العبيد - ركب حماره ووقف بين الصّفتين وأومأ للعبيد بالانصراف قائصرفوا؛ واستدعى كتامة والأتراك ووجوه المصريين وأعتذر إليهم، وحلف أنه بريء مما فعله العبيد؛ وكذب في يمينه؛ فقبلوا الأرض بين يديه وشكروه، وسألوه الأمان لأهل مصر، فكتب لهم، وقرىء الأمان على المنابر، وسكنت الفتنة وفتح الناس أسواقهم وراجعوا معاشهم. وأحترق من مصر مقدار ثلثها، ونهب نصفها. وتبع المصريون من أخذ أزواجهم وبناتهم وأخواتهم، وأبتاعوهن من العبيد بعد أن فضحوهن، وقتل بعضهن نفوسهن خوفاً من العار. واستغاث قوم من العلويين الأشراف إلى الحاكم، وذكروا أن بعض بناتهم في أيدي العبيد على أسوأ حال، وسألوه أن يستخلصهن؛ فقال الحاكم: [انظروا]^(٢) ما يطالبونكم به عنهن لأطلقه لكم؛ فقال له بعضهم: أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلنا وأولادنا، فقد أطرحت الديانة والمروءة بأن رضيعت لبنات عمك بمثل هذه الفضيحة، ولم يلحقك منهن أمتاع^(٣) ولا غيره. فحلّم عنه الحاكم وقال له: «أنت أيها الشريف مُخرج^(٤) ونحن حقيقون بأحتمالك، وإلا غضبنا عليك» وزاد الأمر على الناس فيما يفجؤهم به حالاً بعد حال من كل ما تنخرق به العادات وتفسد الطاعات.

ثم عن له أن يدعي الربوبية، وقرب رجلاً يُعرف بالأخرم^(٥) ساعده على

(١) في الأصل: «واستقرن العرب وغيرهم» ولا يستقيم بها الكلام.

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب، عن مرآة الزمان.

(٣) في الأصل: «انتفاص». والتصويب عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٤) في الأصل: «مخرج» وهو تحريف. والتصويب عن المرجع السابق.

(٥) الأخرم: هو حسن بن حيدرة الفرغاني، المعروف بالأخرم. ظهر بالقاهرة عقب ظهور حمزة بن علي بن أحمد الزوزني المعروف باللباد، ودعا إلى مثل ما دعا إليه حمزة من التناسخ والحلول والوهية الحاكم. فاستدعاه الحاكم وخلع عليه وقرّبه. بيد أن الأخرم ما لبث أن قتل بعد أيام، وذلك أنه كان يسير في ركه في القاهرة ذات يوم، فوثب به رجل من متعصبي السنة وأرداه قتيلًا. فحفر في الحال صجبه وانهارت دعوته؛ ونهب دار الأخرم وطورد أنصاره في كل مكان. وغضب الحاكم لذلك، وأمر بإعدام القتال في الحال. وكفن الأخرم بأكفان من القصر ودفن في حفل رسمي. (الحاكم بأمر الله: =

ذلك؛ وضمَّ إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الديانة. فلما كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه، وقصد مصر ودخل الجامع راكباً دابته، ومعه أصحابه على دوابهم، وقاضي القضاة ابن [أبي] (١) العوام جالس فيه ينظر في الحكم، فنهبوا الناس وسلبوهم ثيابهم وسلموا للقاضي رقعة فيها فتوى، وقد صُدِّرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم. فلما قرأها القاضي رفع صوته منكرأً، وأسترجع (٢)، وثار الناس بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو. وشاع الحديث في دعواه (٣) الرُّبُوبِيَّة، وتقرَّب إليه جماعة من الجهال، فكانوا إذا لقَّوه قالوا: «السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت»، وصارت له دُعاة يدعون أوباش الناس، ومن سَخَفَ عقله إلى اعتقاد ذلك، فمال إليه خَلْق [كثير] (٤) طمعاً في الدنيا والتقرَّب إليه. وكان اليهودي والنصراني إذا لقَّيه يقول: إنَّه قد رَغِبْتُ في شريعتي الأولى، فيقول الحاكم: افعل ما بدا لك، فيرتد عن الإسلام. وزاد هذا الأمر بالناس.

وقال الشيخ شمس الدين في تاريخه مرآة الزمان: «رأيت في بعض التواريخ

= (ص ١٩٩) - وقد أورد الدكتور محمد عبد الله عنان في كتابه عن الحاكم مضمون وثيقة هامة تلقي الضوء على نظرية الأخرم الفرغاني الإلحادية. والوثيقة عبارة عن رسالة كتبها كبير دعاة الحاكم حميد الدين الكرمانى أثناء وجوده في القاهرة في أواخر سنة ٤٠٩ هـ، تحت عنوان «الرسالة الواعظة» وفيها يرَدُّ على الفرغاني ويفند آراءه ويسفِّه دعوة الألوهية. ومن هذه الوثيقة الهامة نستفيد، إلى جانب المعرفة بمضمون دعوة الأخرم، أن الدعوة إلى ألوهية الحاكم لم تكن مسيطرة على جهاز الدعوة الفاطمي، بدليل أن كبير الدعاة كان ضدها علناً. وبالتالي نستطيع القول إن ما يشهده عهد الظاهر لإعزاز دين الله من عودة إلى الأصول الفاطمية الإسماعيلية المعتدلة، وإلى سياسة التسامح الديني هو أمر طبيعي، بل هو الأمر الطبيعي. وغير الطبيعي هو ذلك الانحراف الذي شهده عهد الحاكم في النصف الأخير منه على يد نفر من الدعاة، برزوا فجأة على مسرح الأحداث - وهو أمر يدعو إلى التأمل - وكانوا من أصول غير مصرية وغير عربية.

(١) زيادة عن الولاية والقضاة للكندي وحسن المحاضرة للسيوطي. وقد بقي في القضاء حتى وفاته سنة ٤١٨ هـ في أيام الظاهر لإعزاز دين الله.

(٢) استرجع: أي قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

(٣) الضمير عائد على الحاكم بأمر الله.

(٤) زيادة عن عقد الجمان.

بمصر أن رجلاً يعرف بالدرزي^(١) قديم مصر، وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ؛ فاجتمع بالحاكم وساعده على آداء الربوبية وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى علي بن أبي طالب، وأن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انتقلت إلى الحاكم. فنفق عند^(٢) الحاكم وقربه وفوض الأمور إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث إن الوزراء والقواد والعلماء^(٣) كانوا يقفون على بابه ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده. وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطيعونه. فأظهر الدرزي الكتاب الذي فعله وقراه بجامع القاهرة؛ فثار الناس عليه وقصدوا قتله، فهرب منهم؛ وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية، وبعث إليه في السرّ مალأً، وقال: اخرج إلى الشام وأنشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعو الانقياد. فخرج^(٤) إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة، غربي دمشق من أعمال بانياس، فقرأ الكتاب على أهله، وأستمالهم إلى الحاكم وأعطاهم المال، وقرّر في نفوسهم الدرزي التناسخ، وأباح لهم شرب الخمر والزنا وأخذ مال من

(١) هو محمد بن إسماعيل الدرزي، ويعرف بأنوشتكين الدرزي. وقد كان الدرزي من تلاميذ حمزة بن علي ودعائه، وكان يسمى نفسه «سند الهادي» أي سند حمزة لأن الهادي هو حمزة. ويشير حمزة في رسائله إلى ما كان بينه وبين الدرزي من علائق وخصوصيات، وذلك في الرسالة الموسومة بـ «الغاية والنصيحة» فيها يحمل على الدرزي الذي هو نوشتكين ويقول إنه «تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين، وهو الضد الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإمام، ويدعي منزلته؛ وكان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبّر، وخرج من تحت الثوب، والثوب هو الداعي، والسترة التي أمره بها إمامه حمزة بن علي الهادي إلى توحيد مولانا جلّ ذكره». ثم يقول حمزة إن الدرزي أنكر التعاليم وقمرد، وغرّه ما كان يضربه من زغل الدنانير والدراهم. ويبدو من إشارة حمزة أن الدرزي كان يشتغل بضرب النقود، وربما كان يشغل منصباً في دار الضرب، أو ربما كان يشتغل بتزييفها لحسابه وحساب الدعاة. (انظر الحاكم بأمر الله: ص ٣٢٠).

(٢) في الأصل: «نفق على الحاكم» وهي غير مستقيمة.

(٣) في الأصل: «والعلماء».

(٤) واقعة نزوح الدرزي إلى الشام ليست محققة من الوجهة التاريخية، فهناك أكثر من رواية بأنه قتل في مصر، وأن مقتله كان سنة ٤٠٨ هـ أثناء الفتنة. وهذه هي رواية الأنطاكي: ٢٢٣، والمكيني بن العميد: ٢٦٤. ولرواية الأنطاكي قيمة خاصة لأنه كان قريباً من العصر الذي وقعت فيه الحوادث. (انظر الحاكم بأمر الله: ص ٣٢٠).

خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه؛ وأقام عندهم يُبيح [لهم] المحظورات إلى أن أنهى».

وقال الذهبي: «وكان يحبّ العزلة - يعني الحاكم - ويركب على بهيمة وحده في الأسواق، ويقيم الحسبة بنفسه؛ وكان خبيث الاعتقاد، مضطرب العقل. يقال: إنه أراد أن يدعي الإلهية وشرع في ذلك؛ فكلّمه أعيان دولته وخوفوه، بخروج الناس كلّهم عليه فأنتهى. [وأتفق أنّه خرج ليلة في شوال سنة إحدى عشرة]^(١) من القصر إلى ظاهر القاهرة، فطاف ليلته كلّها، ثم أصبح فتوجّه إلى شرقيّ حلوان ومعه ركابيان^(٢)، فردّ أحدهما مع تسعة من العرب السّويديين^(٣)، ثم أمر الآخر بالانصراف. فذكر أنه فارقه عند قبر الفقاعي^(٤)، فكان آخر العهد به (يعني الحاكم). انتهى كلام الذهبي».

ونذكر أمر موته بأطول من هذا من طرق عديدة.

قال ابن الصابيّ وغيره: «إنّ الحاكم لما بدت عنه هذه الأمور الشنيعة استوحش الناس منه. وكان له أخت يقال لها سيّ الملك، من أعقل النساء وأحزمهنّ، فكانت تنهاه وتقول: يا أخي، احذر أن يكون خراب هذا البيت على يدك. فكان يسمعها غليظ الكلام ويتهدّدها بالقتل. وبعث إليها يقول: رفع إليّ أصحاب الأخبار أنّك تُدخِلين الرجال إليك وتمكّنينهم من نفسك، وعمل على إنفاذ

(١) زيادة عن الذهبي.

(٢) في الأصل: «كاتبان». وما أثبتناه عن ابن خلّكان والذهبي.

(٣) وكان هؤلاء الأعراب قد اعترضوا الحاكم في الطريق والتمسوا منه صلة وإحساناً؛ ولم يكن معه مال يحمله فيلقيه إليهم؛ وبناءً على طلبهم وإلحاحهم، أرسل معهم أحد الركابيين إلى صاحب بيت المال ليحقق ملتسمهم. وذكر النويري في نهاية الأرب أنهم كانوا عشرة، وأنهم إنما كانوا من عبيد ابن دواس، أعدهم لتنفيذ جريمة قتل الحاكم، وأنهم سبقوا الحاكم ليلة خروجه إلى الجبل، ثم انقضوا عليه وقتلوه.

(٤) كان واقفاً في طريق الذهاب من القاهرة إلى ناحية البساتين، وقد زال. وموقعه اليوم في الفضاء الواقع غربي جبانة سيدي عقبة قبلي الإمام الشافعي، وعلى بعد ٥٠٠ متر تقريباً من الجهة الغربية للجامع سيدي عقبة. (م. رمزي).

القوابل لاستبرائها^(١)، فعلمت أنها هالكة معه. وكان بمصر سيف الدولة بن دؤاس^(٢) من شيوخ كتامة، وكان شديد الحذر من الحاكم، وممتنعاً من دخول قصره ولقائه إلا في الموابك على ظهر فرسه؛ وأستدعاه الحاكم مرة إلى قصره فامتنع. فلما كان يوم الموكب عاتبه الحاكم على تأخره، فقال له سيف الدولة المذكور: قد خدمت أباك، ولي عليكم حقوق كثيرة يجب لمثلها المراعاة؛ وقد قام في نفسي أنك قاتلي، فأنا مجتهد في دفعك بغاية جهدي، وليس لك حاجة إلى حضوري في قصرك. فإن كان باطن رأيك في مثل ظاهره فدعني على حالي، فإنه لا ضرر عليك في تأخري عن حضور قصرك. وإن كنت تريد بي سوءاً، فلن تقتلني في داري بين أهلي وولدي يكفونني ويتولوني أحب إلي من أن تقتلني في قصرك وتطرحني تأكل الكلاب لحمي؛ فضحك الحاكم وأمسك عنه.

وراسلت ست الملك أخت الحاكم آبن دؤاس هذا مع بعض خدمها وخواصها، وهي تقول له: لي إليك أمر لا بد لي فيه من الاجتماع بك؛ فلما تنكرت وجئتني ليلاً، أو فعلت أنا ذلك. فقال: أنا عبدك والأمر لك. فتوجهت إليه ليلاً في

(١) في انهام ست الملك بهذه الفضائح ما يدعو إلى التأمل؛ ذلك أنها كانت يومئذ قد جاوزت عهد الشباب بعيد، وأشرفت على الثانية والخمسين من عمرها، ولم تذكر الروايات عنها ما يشينها قط، بل نراها تجمع على امتداحها والإشادة بحزمها وعقلها وكياستها. (الحاكم بأمر الله للدكتور عنان: ص ٨٩، ٢١٤). ولعل المؤرخ النصراني السرياني ابن العبري ينفرد برواية تؤكد تلك الفضائح الأخلاقية وتشير أيضاً إلى استمرار ست الملك فيها بعد مقتل أخيها، كما يذكر أنها - أي ست الملك - كانت في تلك الفترة في أول شبابه. قال ابن العبري: «... ولما خمد غضب الحاكم أرسل يقول لأخته: إن المصريين يكتبون لي، ويتحاملون علي بسببك مدعين أنك تدخلين رجالاً إلى بيتك وكذا وكذا... ثم عرفت سراً أنه مزعم أن يرسل إحدى القوابل لتشرف على بكارتها، فخافت خوفاً شديداً، وانطلقت تحت الليل إلى بيت شيخ كان يهاب الحاكم مثلاً (يريد ابن دؤاس) واستحلفته أن يحفظ السر، ثم قالت له: إن أخي ساحط عليّ عليك وعلى كل الأهالي رجالاً ونساء؛ وأنا كما تعلم ما زلت في ميعة الشباب، وما فائدتني ما دمت محرومة لذتي الطبيعية. فإن أمكنك أن تحتال في إهلاكه فإني أضرب لك عهداً بأن تكون لي زوجاً... إلى أن قال بأنها أهلكت أباها وجميع من اطلعوا على السر وهكذا نجت من كل خطر، وتولت تدبير المملكة، وأطلقت الحرية لأهوائها دون وجل». (تاريخ الزمان: ٧٩، ٨٠).

(٢) هو الحسين بن دؤاس، زعيم كتامة. وكانت كتامة، من بين القبائل المغربية التي شددت بأزر الدولة الفاطمية، أقواها وأوفرها بأساً وعصية. غير أنها فقدت في ظل الحاكم بأمر الله كثيراً مما كانت تتمتع به من النفوذ.

داره متكررة؛ ولم تُصحب معها أحداً. فلما دخلت عليه قام وقبل الأرض بين يديها دَفَعَاتٍ ووقف في الخدمة، فأمرته بالجلوس، وأخلي المكان. فقالت: يا سيف الدولة، قد جئت في أمر أحرص به نفسي ونفسك والمسلمين، ولك فيه الحظُّ الأوفر، وأريد مساعدتك فيه؛ فقال: أنا عبدك. فاستحلفتها وأستوثقت منه، وقالت له: أنت تعلم ما يَقْصِدُهُ أخي فيك، وأنه متى تمكّن منك لم يَبْقَ عليك، وكذا أنا، ونحن على خَطَرٍ عظيم. وقد أنضاف [إلى] (١) ذلك [تظاهراً] (٢) بادّعاءه الإلهية وهتكهُ ناموسَ الشريعة وناموسَ آبائه؛ وقد زاد جنونه. وأنا خائفة أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه، وتنقضي هذه الدولة أقبحَ أنقضاء. فقال سيف الدولة: صدقتِ يا مولاتنا، فما الرأي؟ قالت: قتله، ونستريح منه؛ فإذا تمّ لنا ذلك أقمنا ولده مَوْضِعَهُ وبذلنا الأموال؛ وكنتِ أنتِ صاحبَ جيشه ومدبره، وشيخ الدولة والقائمَ بأمره؛ وأنا امرأة من وراء حجاب، وليس غرضي إلا السلامة منه، وأني أعيش بينكم أمنةً من الفضيحة. ثم أقطعته إقطاعات كثيرة، ووعدته بالأموال والخلع والمراكب. فقال لها عند ذلك: مُرِّي بأمرك؛ قالت: أريد عبدَيْن من عبيدك تثق بهما في سرّك، وتعتمد عليهما في مهماتك، فأحضر عبدَيْن ووصفهما بالشهامة؛ فاستحلفتها ووهبتهما ألفَ دينار، ووَقَّعت لهما بثياب وإقطاعاتٍ وخيل وغير ذلك، وقالت لهما: أريد منكما أن تصعدا غداً إلى الجبل، فإنها نوبة الحاكم في الركوب، وهو ينفرد ولا يبقى معه غير القَرَافيِّ الرُّكابيِّ، وربما رده، ويدخل الشَّعب وينفرد بنفسه؛ فأخرجاً عليه فأقتلاه وأقتلا القَرَافيِّ والصَّبِيَّ إن كانا معه؛ وأعطتهما سيكّين من عمل المغاربة تسمى [الواحدة منهما] (٣): «يافورت» ولهما رأس كرأس المَبْضَع الذي يَقْصِد به الحجاج، ورجعت إلى القصر وقد أحكمت الأمر وأتقنته.

وكان الحاكم (٣) [ينظر في النجوم فنظر مولده وكان] قد حكم عليه بالقطع في هذا الوقت، فإن تجاوزه عاش نيفاً وثمانين سنة. وكان الحاكم لا يترك الركوب بالليل وطُوف القاهرة. فلما كان تلك الليلة قال لوالدته: عليّ في هذه الليلة وفي غدٍ

(١) زيادة عن عقد الجمان.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في الأصل: «وكان للحاكم مولده قد حكم...» وما أثبتناه عبارة الذهبية.

قطع عظيم، والدليل عليه علامة تظهر في السماء طلوع^(١) نجم سماء، وكأنني بك وقد أنتهكت وهلكت مع أختي، فإنني ما أخاف عليك أضراً منها. فتسلمني هذا المفتاح فهو لهذه الخزانة، وفيها صناديق تشتمل على ثلاثمائة^(٢) ألف دينار، خذها وحولها إلى قصرك تكون ذخيرة لك. فقبلت الأرض وقالت: إذا كنت تتصور هذا فأرحمني وأقض حقي ودع ركوبك الليلة، وكان يحبها، فقال: أفعل، ولم يزل يتشاغل حتى مضى صدر من الليل، وكان له قوم ينتظرونه كل ليلة على باب القصر، فإذا ركب ركبوا معه ويتبعه أبو عروس صاحب العسس. ومن رسيه أن يطوف كل ليلة حول القصر في ألف رجل بالطبول الخفاف والبوقات البحرية. فإذا خرج الحاكم من باب القاهرة قال له: أرجع وأغلق الأبواب؛ فلا يفتحها حتى يعود. وضجر الحاكم من تأخره عن الركوب في تلك الليلة، ونازعته نفسه إليه؛ فسألته أمه وقالت: ثم ساعة، فنام ثم أنتبه وقد بقي من الليل ثلثه، وهو ينفخ ويقول: إن لم أركب الليلة وأفترج، وإلا خرجت رُوحِي. ثم قام فركب جماره، وأخته تُراعي ما يكون من أمره، وكان قصرها مقابل قصره، فإذا ركب علمت.

ولما ركب سار في درب يقال له درب السباع^(٣)، ورد صاحب العسس ونسيماً الخادم صاحب السُّر والسيف، وخرج إلى القراقة ومعه القرافي الركابي والصبي. فحكى أبو عروس صاحب العسس أنه لما صعد الجبل وقف على تل كبير ونظر إلى النجوم وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! وضرب بيد على يد، وقال: ظهرت يا مشؤوم^(٤)! ثم سار في الجبل، فعارضه عشرة فوارس من بني قرة، وقالوا: قد طال مقامنا على الباب، وبنا من الفاقة والحاجة ما نسأل معه حسن النظر والإحسان؛

(١) في الأصل: «وطلع نجم سماء».

(٢) في روايات أخرى: «خمسائة ألف دينار».

(٣) سمي بذلك لأن دار السباع كانت تقع فيه. وكان موقعه في طريق القراقة الموصلة إلى مقبرة الشافعي.

قال محمد رمزي: وموقعه اليوم شارع الأشرف الواقع بين شارعي الخليفة والسيدة نفيسة بقسم الخليفة بالقاهرة.

(٤) في الأصل: «يا مشؤوم».

فأمر الحاكم القرافي أن يحملهم إلى صاحب بيت المال ويأمره أن يُعطيهم عشرة آلاف درهم؛ فقالوا له: لعل مولانا يُنكر تعرّضنا له في هذا المكان فيأمر بنا بمكروه، ونحن نريد الأمان قبل الإحسان، فما وقفنا إلّا من الحاجة؛ فأعطاهم الأمان وردّ القرافي معهم^(١)؛ وبقي هو والصبيّ، فسار إلى الشَّعب الذي جرت عاداته بدخوله، وقد كَمَنَ العبدان الأسودان له، وقد قَرُبَ الصُّباح، فوثبَا عليه وطرحاه إلى الأرض، فصاح: ويلكما! ما تريدان؟ فقطعا يديه من رأس كَتِفِيه، وشقّا جوفه وأخرجا ما فيه، ولقّاه في كِسَاء، وقتلا الصبيّ، وحملا الحاكم إلى آبن دَوّاس بعد أن عَرَقَبَا الجِمار؛ فحمّله آبن دَوّاس مع العبدین إلى أخته ستّ الملك، فدفتته في مجلسها وكنمت أمره، وأطلقت لابن دَوّاس والعبدین مالاً كثيراً وثياباً. وأحضرت خطير^(٢) الملك الوزير وعرفته الحال، وأستكتمته وأستحلفته على الطاعة والوفاء، ورسمت له بمكاتبة وليّ العهد [عبد الرحيم بن الياس]، وكان مقيماً بدمشق نيابةً عن الحاكم، بأن يحضر إلى الباب، فكتب إليه بذلك. وأنفذت عليّ بن داود أحد القوّاد إلى الفرما (وهي مدينة على ساحل البحر) فقالت له: إذا دخل وليّ العهد فأقبض عليه، وأحمّله إلى تَنيس، وقيل غير ذلك، كما سيأتي ذكره. ثم كتبت إلى عامل تَنيس عن الحاكم بإنفاذ ما عنده من المال، فأنفذه وهو ألف دينار وألف ألف درهم، خراج ثلاث سنين. وجاء وليّ العهد إلى الفرما، فقبض عليه وحمل إلى تَنيس.

وفقد الناس الحاكم في اليوم الثاني، ومنع أبو عروس من فتح أبواب القاهرة انتظاراً للحاكم، على حسب ما أمره به. ثم خرج الناس في اليوم الثالث إلى الصحراء وقصدوا الجبل فلم يقفوا له على أثر. وأرسل القوّاد إلى أخته وسألوها عنه؛ فقالت: ذكر لي أنّه يغيب سبعة أيام، وما هنا إلّا الخير، فانصرفوا على سُكون وطمأنينة. ولم تزل أخته في هذه الأيام ترتب الأمور وتفرّق الأموال وتستحلف

(١) راجع ص ١٨٧، حاشية (٣).

(٢) هو رئيس الرؤساء، خطير الملك، أبو الحسين عمار بن محمد. كان يتولى ديوان الإنشاء وديوان المشاركة والأترك أيام الحاكم. وتولى بيعة الإمام الظاهر لإعزاز دين الله. (انظر الإشارة إلى من نال الوزارة:

الجُنْد؛ ثُمَّ بَحِثْتُ إِلَى أَبِي دَوَّاسِ الْمَذْكُورِ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَسْتَحْلِفَ النَّاسَ لِابْنِ الْحَاكِمِ، كُتَامَةً وَغَيْرَهَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَلْبَسْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْحَاكِمِ أَفْخَرَ الْمَلَابِسِ وَأَسْتَدْعَيْتُ أَبْنَ دَوَّاسَ وَقَالَتْ لَهُ: الْمُعَوَّلُ فِي قِيَامِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ عَلَيْكَ، وَتَدْبِيرُهَا مُوَكَّلُ إِلَيْكَ، وَهَذَا الصَّبِيُّ وَلَدُكَ، فَأَبْذُلْ فِي خِدْمَتِهِ وَسَعَكَ؛ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَوَعَدَهَا بِالطَّاعَةِ. وَوَضَعْتَ النَّاجَ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ، وَهُوَ نَاجٌ عَظِيمٌ فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ مَا لَا يَوْجَدُ فِي خِزَانَةِ خَلِيفَةٍ، وَهُوَ نَاجٌ الْمَعَزُ جَدُّ أَبِيهِ، وَأَرْكَبْتُهُ مَرْكَبًا مِنْ مَرَائِبِ الْخَلِيفَةِ، وَخَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوَزِيرُ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ. فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ صَاحَ خَطِيرُ الْمَلِكِ الْوَزِيرِ: يَا عَيْبِدَ الدَّوْلَةِ، مَوْلَانَا السَّيِّدَةُ تَقُولُ لَكُمْ هَذَا مَوْلَاكُمْ فَسَلِّمُوا عَلَيْهِ؛ فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بِأَجْمَعِهِمْ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، وَلَقَّبُوهُ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ أَفْوَاجًا فَبَايَعُوهُ، وَأَطْلَقَ الْمَالُ وَفَرِحَ النَّاسُ وَأَقِيمَ الْعَزَاءُ عَلَى الْحَاكِمِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

وَقَالَ الْقُضَاعِيُّ فِي قَتْلِهِ وَجْهًا آخَرَ، قَالَ: «خَرَجَ الْحَاكِمُ إِلَى الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَقْطَمِ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالِ هَذِهِ السَّنَةِ (يَعْنِي سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ) فَطَافَ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا، وَأَصْبَحَ عِنْدَ قَبْرِ الْفُقَاعِيِّ، ثُمَّ تَوَجَّهَ شَرْقِيَّ حُلْوَانَ: مَوْضِعَ بِالْمَقْطَمِ، وَمَعَهُ رَكَابِيَانِ؛ فَرَدَّ أَحَدَهُمَا مَعَ تِسْعَةِ نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ، كَانَتْ لَهُمْ رُسُومٌ، وَيُقَالُ لَهُمُ السُّوَيْدِيُّونَ، إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَائِزَةٍ، ثُمَّ عَادَ الرُّكَابِيَّ الْآخَرَ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُ فَارَقَهُ عِنْدَ قَبْرِ الْفُقَاعِيِّ وَالْقَصْبَةِ^(١)، وَأَصْبَحَ النَّاسُ عَلَى رُسْمِهِمْ، فَخَرَجُوا وَمَعَهُمُ الْمُؤَكَّبُ وَالْقَضَاةُ وَالْأَشْرَافُ وَالْقَوَادِ فَأَقَامُوا عِنْدَ الْجَبَلِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ثُمَّ عَادُوا؛ فَفَعَلُوا ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ سَلَخَ شَوَّالَ خَرَجَ مُظَفَّرٌ صَاحِبُ الْمِظْلَةِ وَنَسِيمٌ صَاحِبُ السُّرِّ وَ[أَبْنُ]^(٢) مِسْكِينَ صَاحِبُ الرُّمَحِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْكُتَامِيِّينَ وَالْأَتْرَاقِ وَالْقَضَاةِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْقَصْبَةُ». وَمَا اثْبَتَاهُ عَنْ بَدَائِعِ الزُّهَرِيِّ. وَالْمَقْصُودُ بِالْقَصْبَةِ وَسَطُ الْقَرَاةِ.

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ عَقْدِ الْجَمَانِ. وَفِي ابْنِ خُلِكَانَ: «ابْنُ تَشْتَكِينَ».

والعدول وأرباب الدولة، فبلغوا دَيْرَ الْقَصِير^(١) (المكان المعروف بحلوان)، وأمعنوا في الجبل؛ فبينما هم كذلك بَصُرُوا بِالْحِمَارِ الَّذِي كَانَ رَاكِبَهُ عَلَى قَرْنِ الْجَبَلِ قَدْ ضَرَبَتْ يَدَاهُ بِسَيْفٍ فَقَطَعْتَا، وَعَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ، فَتَتَبَعُوا الْأَثَرَ فَإِذَا أَثَرُ رَاجِلٍ خَلْفَ أَثَرِ الْحِمَارِ، وَأَثَرُ رَاجِلٍ قُدَّامَهُ فَقَصُّوا [الأثر]^(٢) حَتَّى أَتَوْا إِلَى الْبَرَكَةِ الَّتِي شَرْقِيَّ حُلْوَانَ؛ فَتَزَلَّهَا بَعْضُ الرِّجَالَةِ فَوَجَدَ فِيهَا ثِيَابَهُ، وَهِيَ سَبْعُ جَبَابٍ مَزْرُورَةٍ لَمْ تَحُلْ أَزْرَارُهَا، وَفِيهَا أَثَرُ السَّكَاكِينِ فَتَقَبَّلُوا قَتْلَهُ. وَكَانَ عَمْرُهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ، وَوَلَايَتُهُ عَلَى مِصْرَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا وَاحِدًا.

قال ابن خلكان بعد ما ذكر قَتْلَهُ بنحو ما ذكرناه هنا: «مع أنَّ جماعة من الغالين في حبِّهم، السَّخِيفِي الْعُقُولِ، يَظُنُّونَ حَيَاتَهُ، وَأَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَظْهَرَ، وَيَحْلِفُونَ بِغَيْبَةِ الْحَاكِمِ، وَتِلْكَ خَيَالَاتٌ هَذْيَانِيَّةٌ». انتهى.

قال الْقَضَاعِيُّ بعد ما ساق سبب قتله بنحو ما ذكرناه إلى أن قال: «ثمَّ أَمَرْتُ سِتُّ الْمَلِكِ بِخَلْعِ عَظِيمَةٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ وَمِرَاكِبٍ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لِلْأَعْيَانِ، وَأَمَرْتُ أَبْنَ دَوَّاسَ أَنْ يُشَاهِدَهَا فِي الْخِزَانَةِ، وَقَالَتْ لَهُ: غَدًا نَخْلَعُ عَلَيْكَ، فَقَبِلَ أَبْنُ دَوَّاسِ الْأَرْضَ وَفَرِحَ. وَأَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ، فَجَلَسَ عِنْدَ السِّتْرِ يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ حَتَّى يَأْمُرَ وَيَنْهَى؛ وَكَانَ لِلْحَاكِمِ مِائَةُ عَبْدٍ يَخْتَصُّونَ بَرَكَابَهُ، وَيَحْمِلُونَ السِّيُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَقْتُلُونَ مَنْ يَأْمُرُهُمْ بِقَتْلِهِ، فَبَعَثَتْ بِهِمْ سِتُّ الْمُلْكِ إِلَى أَبْنِ دَوَّاسَ لِيَكُونُوا فِي خِدْمَتِهِ، فَجَاؤُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَوَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَتْ سِتُّ الْمَلِكِ لِنَسِيمِ صَاحِبِ السِّتْرِ^(٣): أَخْرِجْ قِفَ

(١) هذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته، وهو مطل على الصحراء والنيل وعلى القرية المعروفة بشهران. ويقال له أيضاً: دير بخنس القصير، ودير هرقل، ودير البغل. (خطط المقرئ: ٥٠٢/٢، ٥٠٩) وقرية شهران هي التي تعرف اليوم باسم المعصرة، بين طرا وحلوان. (م. رمزي).

(٢) زيادة عن عقد الجمان.

(٣) لا يوجد تعريف واضح لصاحب السِّتْرِ في كتب النظم والرسوم التي بين أيدينا. ولعلَّ أوضح إشارة عن صاحب هذه الوظيفة في العصر الفاطمي وردت عند ناصر خسرو في كتابه سفرنامه: ص ١٠٧، قال: «قلت لأحد كتاب السلطان: لقد رأيت مجالس ملوك وسلاطين العجم مثل السلطان محمد الغزنوي وابنه السلطان مسعود... وأريد أن أرى مجالس أمير المؤمنين (يعني الخليفة الفاطمي) فنقل رغبتي إلى الموكل بالستار، المسمى صاحب السِّتْرِ، وقد تفضل هذا فسمح لي بالذهاب في آخر رمضان سنة ٤٤٠هـ، وكان المجلس قد أعدَّ لليوم الثاني من أيام العيد، حيث يحضر السلطان بعد الصلاة فيجلس في صدر =

بين يديّ آبن دؤاس، وقل للعبيد: يا عبيدُ، مولاتنا تقول لكم هذا قاتل مولانا الحاكم فأقتلوه، فخرج نسيم فقال لهم ذلك فمالوا على آبن دؤاس بالسيوف فقطعوه، وقتلوا العبيدين اللذين قتلوا الحاكم؛ وكلّ من أطلع على سرّها قتلتها، فقامت لها الهيبة في قلوب الناس». انتهى كلام القضاعي.

وقال آبن الصابىء: لما قُتلت ستّ الملك آبن دؤاس قتلت الوزير الخطير ومن كانت تخاف منه ممّن عرف بأمرها^(١).

= المائدة. انتهى. ومضمون إشارة ناصر خسرو، في سياقها، يتفق مع تعريف وظيفة «صاحب المجلس» في الدولة الفاطمية. قال القلقشندي في ذلك: «هو الذي يتولى أمر المجلس الذي يجلس فيه الخليفة الجلوس العام في المواعيد، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يعلمهم بذلك؛ وينعت أيضاً بأمين الملك». الصبح: ٤٨١/٣.

ويرى البعض أن صاحب السّتر هو «صاحب الباب» (الدكتور يحيى خشاب، سفرنامه: ١٠٧، حاشية) ووظيفة صاحب الباب، كما عرّفها ابن الطوير، هي ثاني رتبة الوزارة، ويقال لها الوزارة الصغرى. ويأتي صاحبها في المرتبة الثانية بعد الوزير صاحب السيف (صبح الأعشى: ٤٧٩/٣). وإن كنا نرجح التعريف الأول، وهو أن صاحب السّتر هو صاحب المجلس، فإننا ندعو إلى التأمل في المذهب الثاني على ضوء ما أورده المسيحي - وهو من معاصري الحاكم ومن المؤرخين الثقات العلماء الوزراء - قال في أخبار سنة ٤١٥هـ، في سياق خبر عن اجتماع الخليفة بنفر من شيوخ وأعيان الكتامين جاؤوا بمجددون للخليفة الطاعة ويشكون إليه بؤس أحوالهم، وفي نفس الوقت يقللون من شأن حسان بن جراح، الأمر الذي لم يكن ليروق للخليفة، كما ظهر من نسيم صاحب السّتر الذي تدخل قائلاً: «حسبكم يا شيوخ حسبكم. فأمسكوا. ولم يكن لهم من مولانا صلوات الله عليه جواب». وما أردنا لفت النظر إليه هنا هو أن تدخل نسيم (صاحب السّتر) بالشكل المشار إليه يدلّ على علو مكانته في ذلك المجلس، وأنه ليس مجرد موظف تشريفات إجرائية، وإنما له من المكانة بحيث يستطيع أن يشارك في النقاش في حضرة الخليفة، الأمر الذي يدعم وجهة النظر القائلة بأن صاحب السّتر هو صاحب الباب. (انظر أخبار مصر للمسيحي: ص ٥٤).

(١) بشأن مقتل الحاكم بأمر الله، أورد المؤلف الروايات التي تتفق على اتهام ستّ الملك في تدبير الجريمة وقيادتها حتى النهاية. غير أنه أغفل روايتين معاصرتين متفقتين على تبرئة ستّ الملك من تبعة هذه الجريمة، وهما روايتا المسيحي والأنطاكي. (توفي المسيحي سنة ٤٢٠هـ، ويحيى الأنطاكي سنة ٤٥٨هـ، والقضاعي سنة ٤٥٤هـ، والصابىء سنة ٤٤٨هـ). ورواية المسيحي تقول بأنه في سنة ٤١٥هـ قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى فأقر بأنه قتل الحاكم، فقيل له: لم قتلتها؟ فقال: غيرة الله وللإسلام، ثم قتل نفسه. قال المسيحي: وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم، لا بتحكيه المشاركة في كتبهم من أن أخته قتلتها. (راجع الخطط: ٢٨٩/٢، وأخبار مصر للمسيحي: ٢٧). أما الأنطاكي فإنه يحصر التهمة في ابن دؤاس. (تاريخ الأنطاكي: ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨).

وأما ما خلفه الحاكم من المال فشيء كثير. قيل: إنه ورد عليه أيام خلافته رسول ملك الروم، فأمر الحاكم بزيئة القصر. قالت السيدة رشيدة عمّة الحاكم: فأخرج أعدالاً مكتوباً على بعضها: الحادي والثلاثون والثلاثمائة، وكان في الأعدال الديباج المغرّز بالذهب، فأخرج ذلك وفرّش الإيوان وعلّق في حيطانه حتّى صار الإيوان يتلأل بالذهب، وعلّق في صدره العسجدة، وهي دَرَقَةٌ من ذهب مكلّلة بفاخر الجواهر يضيء لها ما حولها، إذا وقعت عليها الشمس لا تطيق العيون النظر إليها. وأيضاً ممّا يدلّ على كثرة ماله ما خلفته أبنته ستّ مصر بعد موتها، فخلفت شيئاً كثيراً يطول الشرح في ذكره، من ذلك ثمانية آلاف جارية — قاله المقرئزي^(١) وغيره — ونيف وثمانون زيراً صينياً مملوءة جميعاً مسكاً؛ ووُجد لها جوهر نفيس، من جملته قطعة ياقوت زنتها عشرة مثاقيل. وكان إقطاعها في السنة خمسين ألف دينار، وكانت مع ذلك كريمةً سَمَحَةً، والشيء بالشيء يُذكر.

وماتت في أيام الحاكم عمّة السيدة رشيدة بنت المعزّ؛ فخلفت ما قيمته ألف وسبعمائة ألف دينار؛ ومن جملة ما وُجد لها في خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خزّ، وأثنا عشر ألفاً من الثياب المُصمّمة^(٢) ألواناً، ومائة قَطْرَمِيز^(٣) مملوءة كافوراً، وكانت مع ذلك دينة تاكل من غزلها لا من مال السلطان. وماتت أختها عبدة بنت المعزّ بعدها بثلاثة أيام، وكانتا قد وُلدتا برقادة من عمل القيروان. وتركت أيضاً عبدة المذكورة ما لا يُحصى، من ذلك: أنّه خُتِمَ على موجودها بأربعين رطل شمع مصريّة؛ ومن جملة^(٤) ما وُجد لها ألف وثلاثمائة [قطعة]^(٥) مينا فضة، زنة كلّ مينا

= أما الروايات الكنسية المعاصرة لمقتل الحاكم فإنها تميل إلى الأخذ برواية اختفائه ولا تشير إلى مقتله أو إلى أية مؤامرة. وبعضها يذهب إلى أنه تنصّر وترهب واختفى في أحد الأديرة. (انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ٢٢٩ — ٢٣٤، وتاريخ الزمان لابن العبري: ص ٨١).

(١) انظر خطط المقرئزي: ٤١٤/١.

(٢) الثوب المصمت: الذي لونه لون واحد، لا يخالطه لون آخر. (لسان العرب).

(٣) القطرميز: قلّة كبيرة من الزجاج، معرّب.

(٤) في الأصل: «ومن جملة ما لها وجد لها».

(٥) زيادة عن المقرئزي.

عشرة آلاف درهم، وأربعمائة سيف مُحلّى بذهب، وثلاثون ألف شِقَّة صِيقَلِيَّة، ومن الجواهر^(١) إردبَ زمرد؛ وكانت لا تأكل عمرها إلا الثريد. وقد خرجنا عن المقصود ونعود إلى ما يتعلق بالحاكم وأسبابه.

وأما وليّ العهد الذي كان بدمشق وكتبَت [ست الملك] بحضوره فأسمه الياس، وقيل: عبد الرحيم، وقيل: عبد الرحمن بن أحمد؛ وكنيته أبو القاسم ويلقب بالمهدي؛ ولآه الحاكم العهد سنة أربع وأربعمائة^(٢). وقد قدّمنا من ذكره أنه كان وصل إلى تَنيس، وقبض عليه صاحبُ تَنيس، وبعث به إلى ست الملك، فحبسته في دار وأقامت له الإقامة، ووكلت بخدمته خواصّ خدمها، وواصلته بالملاطفات والافتقادات فلمّا مَرِضت ويشت من نفسها أحضرت الظاهر لإعزاز دين الله (أعني ابن أخيها الحاكم) وقالت له: قد علمت ما عاملتك به، وأقله حراسة نفسك من أبيك، فإنّه لو تمكّن منك لقتلك، وما تركت لك أحداً تخافه إلا وليّ العهد؛ فبكى بين يديها هو ووالدته؛ وسلّمت إليهما مفاتيح الخزائن، وأوصتهما بما أرادت. وقالت لمعضاد الخادم: امض إلى وليّ العهد وتفقّد خدمته، فإذا دخلت عليه فأنكّب كأنك تسأله بعد أن تُوافق الخدم على ضربه بالسكاكين؛ فمضى إليه معضاد فقتله ودفنه وعاد فأخبرها، فأقامت بعد ذلك ثلاثة أيام وماتت. وتولّى أمر الدولة معضاد الخادم المذكور ورجل آخر علويّ من أهل قزوين وآخرون.

وذكر القُضاعيّ في قصّة وليّ العهد شيئاً غير ذلك، قال: إن ست الملك لمّا

(١) عبارة المقرئ: «ومن الجواهر ما لا يحذّ كثرة، وزمرد كيلة إردب».

(٢) وهو ابن عم الحاكم. وقد جمع الناس على اختلافهم بالقصر، وقرئ عليهم سجلّ التعين، وما جاء فيه بأن عبد الرحيم بن الياس قد جعله الحاكم بأمر الله «ولي عهد المسلمين في حياته، والخليفة بعد وفاته» وخلع عليه، وأمر الناس بالسلام عليه، وأن يقولوا في سلامهم: «السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين». وقرئ السجلّ على منابر الجوامع وبالإسكندرية، وبعث الحاكم بذلك سجلاً إلى أفريقية قرىء بجامع القيروان وغيره، فعظم ذلك على نصير الدولة أبي مناد باديس، وانتقد هذا التصرف بالرغم من امتثاله له. ثم كتب الحاكم اسمه مع اسم ولي عهده في البنود والسكة والطراز، وكان في أحيان كثيرة ينفرد بالنظر في شؤون الدولة، والحاكم مشغول بطوافه. (الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ص ١٨٤، ١٨٥). وانظر تاريخ الأنطاكي: ص ٢٣٥.

كتبْتُ إلى دِمَشق بحمل وليّ العهد إلى مصر لم يلتفت إلى ذلك؛ واستولى على دِمَشق، ورخص للناس ما كان الحاكم حَظَره عليهم من شرب الخمر، وسماع الملاهي، فأجبه أهل دِمَشق. وكان بخيلاً ظالماً. فشرع في جمع المال ومصادرة الناس، فأبغضه الجند وأهل البلد. فكتبْتُ أخت الحاكم إلى الجند فتتبعوه حتّى مسكوه وبعثوا به مقيّداً إلى مصر، فحبس في القصر مكرماً، فأقام مدّة. وحُبل إليه يوماً بطيخ ومعه سيّكين فأدخلها في سرّته حتّى غابت. وبلغ ابن عمّه الظاهر بن الحاكم فبعث إليه القضاة والشهود؛ فلمّا دخلوا عليه اعترف أنّه الذي فعل ذلك بنفسه. وحضر الطبيب فوجد طرف السكين ظاهراً، فقال لهم: لم تُصادف مقتلاً. فلمّا سمع وليّ العهد ذلك وضع يده عليها، فغيّبها في جوفه فمات.

وقال ابن الصابىء: «وكان على حلب عند هلاك الحاكم عزيز الدولة فاتك الوحيدى، وقد استفحل أمره وعظم شأنه وحَدَث نفسه بالعُصيان؛ فلاطفته ستُّ الملك وراسلته وأنسته، وبعثت إليه بالخِلع والخيل بمراكب الذهب وغيرها، ولم تزل تُعمل عليه [الحيل] ^(١) حتّى أفسدت غلاماً له يقال له بدر، وكان مالِك أمره، وغلمانُه تحت يده، وبذلت له العطاء الجزيل، [على الفتك به، ووعدته أن تُؤلِّيه مكانه] ^(٢). وكان لفاتك غلام هنديّ يهواه، فاستغواه بدرُ المذكور وقال: قد عرفت من مولاك مَلَأَكَ، وتغيّر نيّته فيك، وعزم على قتلك، ودافعتك عنك دَفَعَات، وأنا أخاف عليك. ثم تركه بدر أياماً، ووهب له دنانير وثياباً؛ ثم أظهر له المحبة وقال: إن علم بنا الأمير قتلنا؛ فقال الهنديّ: فما أفعل؟ فاستحلفه بدر واستوثق منه، وقال: إن قبلت ما أقول أعطيتك مالاً وأغنيتك وعشنا جميعاً في أطيب عيش. قال: فما تريد؟ قال: تقتله ونستريح منه؛ فأجابه وقال: الليلة يشرب وأنا أسقيهِ وأميل عليه، فإذا سَكِر فأقتله. وجلس فاتك المذكور على الشُّرب، فلمّا قام إلى مرّقه حمل الهنديّ سيفه، وكان ماضياً، ثمّ دخل في اللّحاف وبدر على باب المجلس واقف. فلمّا ثَقُل فاتك في نومه غمز بدرُ الهنديّ فضربه بالسيف فقطع رأسه؛ فصاح بدرُ وأستدعى الغلمانَ وأمرهم بقتل الهنديّ فقتلوه. وأستولى بدرُ على القلعة

(١) زيادة عن عقد الجمان.

وما فيها؛ وكتب إلى أخت الحاكم بما جرى؛ فأظهرت الوجد على فاتك في الظاهر، وشكرت بدراناً في الباطن على ما كان منه من حفظ الخزائن، وبعثت إليه بالخلع، ووهبت له جميع ما خلفه مولاه، وقلدته موضعه.

ونظرت ست الملك في أمور الدولة بعد قتل الحاكم أربع سنين، أعادت الملك فيها إلى غضارته، وعمرت الخزائن بالأموال، وأصطنعت الرجال. ثم آتلت علة لِحَقِّها فيها ذَرْبٌ فماتت منه. وكانت عارفةً مدبرةً غزيرةَ العقل. وقد خرجنا عن المقصود على سبيل الاستطراد.

وكانت وفاة الحاكم ليلة الثلاثاء لليلتين بَقِيَّتَا من شَوَّال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان فيه كسوف الشمس. وكانت مدة عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، وقيل: سبعة وثلاثين سنة. وكانت ولايته على مصر خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً، قاله القُضَاعِي. وتولَّى المُلْكُ من بعده أبْنَه الظاهر لإعزاز دين الله عليّ بن الحاكم، وقام بتدبير مملكته عمته ست الملك المقدم ذكرها إلى أن ماتت، حسب ما ذكرناه.

انتهت ترجمة الحاكم. ونذكر أيضاً من أحواله نبذة كبيرة في الحوادث المتعلقة بآيامه مرتبة على السنين، فيها عجائب وغرائب. وأما ما يُنسب إليه من الشعر - وقيل: هو للأمر العبيدي الآتي ذكره - فهو قوله: [الطويل]

دَعِ اللُّؤْمَ عَنِّي لَسْتُ مِنِّي بِمَوْثِقٍ فَلَا بُدَّ لِي مِنْ صَدْمَةِ الْمُتَحَقِّقِ
وَأَسْقِي جِيَادِي مِنْ فُرَاتٍ وَدِجْلَةٍ وَأَجْمَعُ شَمْلَ الدِّينِ بَعْدَ التَّفَرِّقِ

* * *

السنة الأولى من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة:

فيها استولى الحاكم صاحب الترجمة خليفة مصر على السواحل والشامات. وفيها حجَّ بالناس أبو عبد الله العلوي.

وفيها تُوفِّي الحسن^(١) بن عبد الله بن سعيد، أبو أحمد العسكري العلامة الراوية، صاحب التصانيف الحسان في اللغة والأدب والأمثال.

وفيها تُوفِّي الحسن بن مَرَّوان أبو علي الكردي الأمير صاحب ميافارقين. قد ذكرنا مبدأ^(٢) أمره وكيف تغلب على ديار بكر وملك حصونها. مات قتيلاً على باب آمد.

وفيها تُوفِّي صندل الخادم مولى بهاء الدولة وصاحب خيله (أعني أمير آخوره)^(٣) وقام الأمير أبو المسك عنبر مقامه.

وفيها تُوفِّي السلطان فخر الدولة أبو الحسن عليّ ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي؛ مات بالرّي، وكان ابن أخيه بهاء الدولة بواسط، فجلس للعرّاء وجلس ابنه أبو منصور ببغداد. وقيل: إنّ فخر الدولة سُمّ وسُمّ ولداه من بعده فمات الكلّ في هذه السنة؛ فملك أبو الحسين^(٤) قابوس بن وشمكير من بعده طبرستان وجرجان؛ فإنهما كانا في مملكته، وأخذهما منه مؤيد الدولة أخو فخر الدولة هذا المقدم ذكره. وكان فخر الدولة شجاعاً، لقّبه الخليفة الطائع بـ «ملك الأمة» أوبـ «فلك الأمة»^(٥). وكانت وفاته في عاشر شعبان، وله ستّ وأربعون سنة وخمسة أيام. وكانت مدّة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً. وخلف مالا كثيراً.

(١) هو خال أبي هلال العسكري. وهما متفقان في اسميهما الأولين «الحسن بن عبد الله». وذكر وفاته في هذه السنة يوافق ما جاء في ابن الأثير. وفي ابن خلكان والأعلام (عن خزنة الأدب، وسير النبلاء، والفهرس التمهيدي وإنباه الرواة) أن وفاته سنة ٥٢٨٢ هـ.

(٢) وهو ابن أخت باد الكردي. راجع ص ١٥٠، الحاشية (٢). وانظر ترجمته وأخباره في تاريخ الفارقي: ١٩ - ٢٢.

(٣) أمير آخور: وظيفة يتحدث متوليها على إسطنبول السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والدواب. وهو مركب من لفظين: «أمير»، والثاني «آخور» ومعناه المعلق. فيكون معنى اللفظ: أمير المعلق (صبح الأعشى: ٤٦١/٥).

(٤) في ابن خلكان: «أبو الحسن».

(٥) هذا هو الصحيح. وقد أطلق على فخر الدولة في سكة باسم الملك الرحيم. (الألقاب الإسلامية: ص ٤٢٢).

وقال ابن الصابئ بعدما عدّد ما خلفه من المتاع وغيره، قال: «وخلف ألفي ألف وثمانمائة ألف وخمسة وسبعين ألفاً ومائتين وأربعة وثمانين ديناراً، ومن الورق والنقرة^(١) والفضة مائة ألف ألف وثمانمائة ألف وستين ألفاً وسبعمائة وتسعين درهماً، ومن الجواهر والياقوت الحمر والصُّفَر والحُلَيّ واللؤلؤ والبَلْخَش^(٢) والماس وغيره أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وعشرين قطعة، قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار، ومن أواني الذهب ما وزنه^(٣) ثلاثة آلاف ألف دينار، ومن البلّور والصيني ونحوه ثلاثة آلاف، ومن السلاح والثياب والفرش ثلاثة آلاف حمل». وقيل: إنه خلف من الخيل والبغال والجمال ثلاثين ألف رأس، ومن الغلمان والمماليك خمسة آلاف، ومن السّراري خمسمائة؛ ومن الخيام عشرة آلاف خيمة. وكان شحيحاً. كانت مفاتيح خزائنه في الكيس الحديد مسمّراً بالمسامير لا يفارقه. وملك بعده ابنه أبو طالب رُسُتَم وعمره أربع سنين.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنَبَس، أبو الحسين البغداديّ الواعظ، ويُعرف بابن سَمْعُون^(٤)، وكان يسمّى الناطق بالحكمة. قال أبو عبد الرحمن السُّلَميّ: هو من مشايخ بغداد، له لسان عالٍ في العلوم، لا يتمي إلى أستاذ، وهو لسان الوقت المرجوع إليه في آداب^(٥) المعاملات.

وفيها تُوفّي نوح بن منصور بن نوح أبو القاسم السّامانيّ. كان هو وآباؤه من ملوك ما وراء النهر وسَمَرْقَنْد. وولي نوح هذا وله ثلاث عشرة سنة، وتعصّب له عضد الدولة بن بويه، وأخذ له من الخليفة الطائع العهد على خراسان والخلع؛ فأقام على خراسان إحدى وعشرين سنة، ومات في شهر رجب.

(١) كذا في طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان. وفي الأصل: «النقد». والنقرة: هي الدراهم التي كانت تغلب فيها نسبة الفضة على النحاس. (صبح الأعشى: ٤٣٠/٣).

(٢) البَلْخَش: أو البدخش، وهو نوع من الياقوت ينسب إلى جهات بدخشان في أقصى شرق أفغانستان. (السلوك للمقريزي: ٥٠/١، حاشية).

(٣) لعل الصواب: «ما قيمته».

(٤) في الأصل: «ابن سمعون» بالشين المعجمة. والتصحيح عن ابن خلكان وشذرات الذهب.

(٥) في الأصل: «أدوات المعاملات». والتصحيح من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

وفيهما تُوفِّي صَمَصَام الدولة المَرْزُبَان، وكنيته أبو كاليجار بن عضد الدولة بن بُوَيْه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي. وَلِي المملكة بعد موت أبيه عضد الدولة، فلم ينجح أمره، وغلب عليه أخوه شرف الدولة وقهره وجسه وأخذ بغداد منه وأكحله. فدام في الحبس إلى أن مات أخوه شرف الدولة، ونزل من الحبس وهو أعمى. وأنضمَّ إليه أناس، وسار إلى فارس وملك شيراز. ووقع له أمور مع أولاد أخيه وحروب. وأقام بشيراز إلى أن قُتِل بها في هذه السنة؛ وقيل: في السنة الآتية، وهو الأصح.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وإصبع واحدة. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة:

فيها تُوفِّي محمد^(١) بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج المقرئ الشُّبُوزِي؛ مولده في سنة ثلاثمائة. كان يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر من شواهد القرآن. ومات ببغداد، وبها كان مولده.

وفيهما تُوفِّي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خَطَّاب، الإمام أبو سليمان الخَطَّابِي البُسْتِي، الفقيه الأديب، مصنّف كتاب «معالم السنن» وكتاب «غريب الحديث» وكتاب «شرح أسماء الله الحسنى» وكتاب «الغنية^(٢)» عن الكلام وأهله وكتاب «العزلة» وغير ذلك.

وفيهما تُوفِّي محمد بن عبد الله بن محمد بن زكرياء، الحافظ أبو بكر الشَّيْبَانِي الجَوَزَقِي المَعْدَل، شيخ نيسابور ومحدثها وآبن أخت محدثها أبي إسحاق

(١) في الأصل: «أحمد بن محمد» وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٢) في الأصل: «الغنية» والتصحيح عن تذكرة الحفاظ.

إبراهيم بن محمد - وجوزق: من قرى نيسابور - كان حافظاً إماماً، صنف «المسند الصحيح» على كتاب مسلم. ومات في شوال عن اثنتين وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وأثنتا عشرة إصباعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة:

فيها حجّ بالناس محمد بن محمد بن عمر من العراق؛ وكان في الحجّ الشريفان: الرضيّ والمرتضى؛ فأعترض ركب الحاجّ أبو الجراح الطائي، فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلق الحاجّ.

وفيها استولى الأمير أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكِين على أعمال خراسان بعد أن هزم الأمير عبد الملك^(١) بن نوح الساماني، وأزال السامانية منها؛ وأقام الدعوة للخليفة القادر بعد أن كانت للطائع الذي خلع.

وفيها تُوفّي زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى، أبو علي السرخسيّ الفقيه الشافعيّ المقرئ المحدث. سمع الكثير وروى عنه غير واحد. ومات في شهر ربيع الآخر وله ست وتسعون سنة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن، الفقيه أبو محمد القَيْرَوَانِيّ شيخ المالكية بالمغرب. جمع مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وشرح أقواله. وكان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح وعفة وورع. قال القاضي عياض بن موسى بن عياض: حاز رياسة الدين والدنيا، ورجل إليه من الأمصار.

أمر النيل في هذه السنة:

(١) في الأصل: «عبد الله» وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان.

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصباعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشرون إصباعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسعين وثلاثمائة:

فيها ظهر بسِجِسْتَان مَعْدِن الذهب، فكانوا يُصَفُّون من التراب الذهب الأحمر. وفيها وَلَّى الحاكم صاحب مصر على نيابة الشام فَحْلَ بن تميم، فَمَرِض ومات بعد أشهر؛ فَوَلَّى الحاكم عوضه على دمشق عَلِيَّ بن جعفر بن فلاح. وفيها حَجَّ بالناس من العراق أبو الحارث الْعَلَوِيَّ.

وفيها تُوفِّي الحسين بن محمد بن خلف، أبو عبد الله الفراء^(١)، والد القاضي أبي يَعْلَى. كان إماماً فقيهاً على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، وسمِع الحديث وتفقه وبرع. ومات في شعبان ببغداد.

وفيها تُوفِّي الْمُعَاَفَى بن زكرياء بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود، أبو الفرج النَّهْرَوَانِيَّ، ويعرف بأبن طَرَارِي^(٢). وُلِد سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل: سنة خمس وثلاثمائة. وكان إماماً في النحو واللغة وأصناف الآداب، وكان يتفقه على مذهب محمد بن جرير الطبري. وصنَّف كتاب «الجلس والأنيس». قال الْمُعَاَفَى المذكور: حججت فكنت بمِنَى فسمعت منادياً ينادي: يا أبا الفرج؛ فقلت: لعله غيري. ثم نادى يا أبا الفرج المعافي؛ فهَمَمْتُ أن أجيبه. ثم إنه رجع فنادى: يا أبا الفرج المعافي بن زكرياء النَّهْرَوَانِيَّ؛ فقلت عند ذلك: ها أنا؛ فما تريد؟ قال: لعلك من نَهْرَوَان الشرق؟ قلت نعم، قال: نحن نريد نهروان الغرب. قال: فعجبت من هذا الاتفاق. قلت: وهذا من الغرائب كونه طابق اسمَه وأسم أبيه والكنية

(١) في الأصل: «الفراء» وما أثبتناه عن المنتظم وشذرات الذهب.

(٢) هكذا ضبطه ابن خلكان بالعبرة. وفي الأصل: «ابن طران». وفي ابن الأثير: «ابن طرار».

والشهرة ويكون هذا من نهروان الشرق، وذاك من نهروان الغرب^(١). وكانت وفاته في ذي الحجة وله خمس وثمانون سنة.

وفيها توفي ناجية بن محمد بن سليمان، أبو الحسن الكاتب البغدادي؛ نادم الخلفاء والأكابر، وكان شجاعاً شاعراً فصيحاً. ومن شعره قوله: [الطويل]

ولما رأيت الصبح قد سلَّ سيفه وولَّى أنهزاماً ليلهُ وكواكبهُ
ولاح أحمرارُ قلتُ قد ذُبِحَ الدجى وهذا دمٌ قد ضَمَخَ الأفقُ ساكبهُ

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة:

فيها جلس الخليفة القادر بأبته الخلافة، ودخل عليه الحجاج بعد عودهم من الحج والقضاة والأشراف؛ فأعلمهم أنه قد جعل الأمر في ولده أبي الفضل، ولقبه الغالب بأمر الله، وعمره ثماني سنين وأربعة أشهر وأيام.

وفيها حجَّ من العراق بالناس أبو الحارس محمد بن محمد بن عمر العلوي.

وفيها توفي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، الوزير المحدث أبو الفضل المعروف بابن حنّابة^(٢). كان أبوه قد ورَّز للمقتدر سنة خُلِع. وسافر هو إلى مصر، وتقلَّد الوزارة لكافور الإخشيد، وسمع الحديث بمصر ورواه، ومات بمصر.

(١) أكثر معاجم البلدان أشارت إلى موضعين بهذا الاسم، استناداً إلى هذه الرواية. ولم يجدد أي منها مكان نهروان الغرب.

(٢) الحنّابة: المرأة القصيرة الغليظة، وهي أم أبيه الفضل بن جعفر. (ابن خلكان).

وفيهما تُوفي المقلّد بن المسيّب بن رافع، حُسام الدولة، أبو حسان العُقَيْليّ صاحب الموصل. كان أخوه أبو الذّوّاد^(١) أوّل من تغلّب على الموصل وملكها في سنة ثمانين وثلاثمائة؛ وملك حُسام الدولة هذا الموصل بعده؛ وكان حسن التدبير، وآتست مملكته. وأرسل إليه الخليفة القادر اللّواء والخَلْع. وكان له شعر، وفيه رفض فاحش. قتله غلام له تركي في صفر. قلت: لا شلّت يده! يقال: إنّه قتله لأنّه سمعه يُوصي رجلاً من الحاجّ أن يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له: لولا صاحبك لزلتُك. وذكر الذهبيّ هذه الحكاية بإسناد إلى جماعة إلى أن قال عن الرجل الذي قال له المقلّد هذا بالسلام إنّه قال: فأتيت المدينة ولم أفل ذلك إجلالاً؛ فَنِمْتُ فرأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم في منامي، فقال: يا فلان لِمَ لم تُؤدّ الرسالة؟ فقلت: يا رسول الله أجللتُك؛ فرفع رأسه إلى رجل قائم فقال له: خذ هذا الموس وأذبحه به (يعني المقلّد). ثم رجعنا فوافينا العراق، فسمعت أنّ الأمير المقلّد ذُبِحَ على فراشه ووُجِدَ موسى عند رأسه؛ فذكرت للناس الرؤيا فشاعت؛ فأحضرنى أبنته (يعني ابن المقلّد) الذي ولي بعده، واسمه قِرَواش، فحدّثته؛ فقال: أتعرف موسى؟ فقلت نعم؛ فأحضر طبقاً مملوءاً مَواشي فأخرجته منها؛ فقال: صدقت، هذا وجدته عند رأسه وهو مذبوح. قلت: هذا ما جُوزي به في الدنيا، وأمّا في الأخرى فجهنّم وبش المصير، هو وكلّ من يعتقد مُعْتَقَده إن شاء الله تعالى.

وفيهما تُوفي جيش بن محمد بن صَمُصامة، أبو الفتح، القائد المغربيّ ابن أخت أبي محمود الكُتّامي^(٢) أمير أمراء جيوش المغرب ومصر والشام، وتولّى نيابة دمشق غير مرّة^(٣)، وكان ظالماً سفاكاً للدماء. ظلم الناس فأجتمع الصلحاء والزّهاد ودعوا عليه، فسَلَطَ الله عليه الجُذّام حتّى رأى في نفسه العِبر، ولم ينته حتّى أخذه الله.

(١) راجع ص ١٢١، حاشية (٢) من هذا الجزء.

(٢) في الأصل: «الكافي» والتصحيح عن شذرات الذهب وابن الأثير. وفي الأعلام عن دول الإسلام للذهبي: الكُتّاني. وفيه أنه أبو الفتح وليس أبا الفتح.

(٣) ولها ثلاث مرات في أيام الفاطميين. (المرجع السابق).

وفيهما تُوفِّي الحسين بن أحمد بن الحَجَّاج، أبو عبد الله الشاعر؛ كان من أولاد العمَّال والكتَّاب ببغداد، وتولَّى حِسْبَةَ بغداد لعز^(١) الدولة بَحْتِيَّار بن بُؤَيْه، فتشاغل بالشعر والسُّخف والخلاعة عَمَّا هو بصده. قلت: وأبن الحَجَّاج هذا يُضْرَب به المثل في السخف والمداعبة والأهاجي. وغالب شعره في الفُحْش والأهاجي والهَزْل؛ من ذلك قوله: [المجتث]

المستنعان برِّي من كَسَّ سَتِّي وزبِّي
قد كَلَّفاني نَيْكاً قد كان يقصِفُ صُلبي

وقال ابن خلكان: الشاعر المشهور ذو المَجُون والخلاعة في شعره. كان فرد زمانه في فنِّه، فإنه لم يسبق إلى تلك الطريقة مع عذوبة ألفاظه وسلامة شعره من التكلف؛ ومدح الملوك والأمراء والوزراء. وديوانه كبير أكثر ما يوجد في عشرة مجلدات. والغالب عليه الهَزْل، وله في الجَدِّ أيضاً. ويقال: إنه في الشعر [في]^(٢) درجة أمرى القيس وأنه لم يكن بينهما مثلهما، لأنَّ كلَّ واحد منهما مخترع طريقة. ولَمَّا مات رثاه الشريف الرضي. انتهى كلام ابن خلكان باختصار.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ستَّ عشرة ذراعاً وعشرون إصباعاً.

* * *

السنة السادسة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة:

فيها في المحرَّم غزا السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين الهند؛ فالتقاه صاحبها

(١) في الأصل: «لعز الدولة» وهو خطأ.

(٢) الزيادة عن ابن خلكان.

الملك جيبال^(١) ومعه ثلاثمائة فيل؛ فنصر الله آبن سبكتكين وقتل من الكفار خمسة آلاف ومن الفيلة خمسة عشر فيلاً.

وفيها ولّى الحاكم على دمشق أباً منصور ختكين^(٢) القائد، فظلم وأساء السيرة.

وفيها تُوفّي عثمان بن جني، العلامة أبو الفتح النحوي اللغوي الموصلّي صاحب المصنّفات، منها «اللمع» و«[الكافي في]»^(٣) شرح القوافي و«المذكر والمؤنث» و«سر الصناعة» و«الخصائص» و«شرح المتنبي» وغير ذلك. وكان أبوه جني مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلّي. وسكن آبن جني المذكور بغداد ودرّس بها وأقرأ حتّى مات في صفر.

وفيها تُوفّي عليّ بن عبد العزيز، أبو الحسن الجرجاني قاضي الرّي. سمع الحديث الكثير وترقى في العلوم حتّى برّع في الفقه والشعر والنحو وغير ذلك من العلوم.

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر القاضي الشافعي، ويُعرف بآبن الدّقاق، صاحب الأصول؛ كان معدوداً من الفضلاء، مات ببغداد.

وفيها تُوفّي الوليد بن بكر بن مَخْلَد^(٤) بن أبي زياد، أبو العباس الأندلسي؛

(١) في الأصل: «حسان» وهو تحريف. والتصحيح عن ابن الأثير والذهبي وعقد الجمان والبداية والنهاية. وقد استطاع محمود بن سبكتكين أن يأسر جيبال في هذه المعركة، ثم أطلقه على مال يؤديه. وكان من عادة الهنود أن من وقع منهم أسيراً في أيدي المسلمين لا تتعقد له رياسة بعدها. ولذلك خلق جيبال رأسه، ثم ألقي نفسه في النار فاحترق، وترك مملكته لابنه أنندبال. وكان من أثر ما أحرزه ابن سبكتكين من نصر في هذه الغزوة أن أطلق عليه لقب: الغازي. (انظر تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن: ٩٠/٣).

(٢) كان ختكين من دعاة الحاكم بأمر الله. وكان يلقب بالضيف. ولما ذهب إلى دمشق، حاول أن ينتقص من أرزاق الجند، فثاروا به وقتلوه، ونهبوا دور الحكومة والكنائس. (انظر الحاكم بأمر الله للدكتور عنان: ص ١٨٢).

(٣) زيادة عن ابن خلكان وكشف الظنون.

(٤) في الأصل: «ابن محمد» والتصويب عن تذكرة الحفاظ وتاريخ بغداد ونفع الطيب. وفيه «ابن زياد» مكان «ابن أبي زياد». ورواية أبي المحاسن توافق رواية الصلة لابن بشكوال، كما جاء في حاشية ص ٣٨٠ ج ٢ من نفع الطيب.

رحل في طلب العلم إلى مصر والشام والعراق والحجاز وخراسان وما وراء النهر، وسمع الكثير. وكان إماماً عالمياً بالفقه والنحو والحديث والأدب والشعر. ومن شعره قوله: [المتقارب]

لأني بلائك لا تذكُر وماذا يضُرُّكَ لو تعتبِرُ
فبان الشَّباب وحلَّ المشيب وحان الرحيل فما تنتظر

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة السابعة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة:

فيها منع عميد^(١) الجيوش يوم عاشوراء من النَّوح وتعليق المُسوح ببغداد وغيرها، ثم منع أهل السنة ممَّا كانوا آبتدعوه أيضاً في مقابلة الرافضة من التوجَّه إلى قبر مُصْعَب بن الزُّبَيْر وغيره، وسكنت الفتنة لذلك.

وفي [شهر] ربيع الآخر منها أمر نائب دمشق من قِبَل الحاكم صاحب مصر تمصولت^(٢) الأسود الحاكِمِي [بمغربي]^(٣) فضُرب وطُيف به على حِمَار، ونودي عليه: هذا جزاء من يُحبُّ أبا بكر وعمر؛ ثم أمر به فضُربت عنقه. رحمه الله تعالى.

(١) هو عميد الجيوش، أبو علي بن أستاذ هرمز، كما في ابن الأثير. بعثه بهاء الدولة إلى العراق لهذه الغاية.

(٢) كذا في تاريخ دمشق والذهبي. وفي الأصل «بصواب». وهو تحريف. وفي بعض الروايات:

«تموصلت». وهو تمصولت (أو تموصلت) بن بكار، أبو محمد. زعيم أسود من موالى باديس بن زيري أمير

إفريقية. وفد على القاهرة سنة ٣٩٠هـ فراراً من نقمة مولاة، وكان معه أولاده وعددهم ستون، وعدد كبير

من المال والمتاع، فاستقبله الحاكم وخلع عليه، وتقبل هديته وهي مائة ألف دينار وأشياء نفيسة أخرى.

وكان بلاط القاهرة في ذلك الوقت يرتاب في نيات باديس ويعضد الخارجين عليه. (الحاكم بأمر الله:

ص ١٠٢).

(٣) زيادة عن الذهبي وابن الأثير وشذرات الذهب وتاريخ دمشق.

وفيهما نازل السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين سِجِسْتَان وأخذها من صاحبها خلف بن أحمد بالأمان.

وفيهما لم يحجَّ أحد من العراق خوفاً من الأُصَيِّفِ الأعرابي.

وفيهما زُلْزِل الشام والعواصم والثغور، فمات تحت الهدم خلائق كثيرة.

وفيهما تُوفِّي إسماعيل بن حمّاد أبو نصر الجوهري، مصنف كتاب «الصّحاح» في اللغة. كان أصله من فاراب أحد بلاد الترك، وكان يُضرب المثل به في حفظ اللغة وحسن الكتابة؛ وخطّه يذكر مع خط آبن مُقْلَة ومهلِل واليزيدي. وكان يُؤثر الغربة على الوطن؛ دخل بلاد ربيعة ومضر في طلب العلم واللغة. وفي كتابه الصّحاح يقول إسماعيل بن محمد النيسابوري: [المنسرح]

هذا كتاب الصّحاح سيّد ما^(١) صُنّف قبل الصّحاح في الأدب

يشمل أنواعه ويجمع ما فُرّق في غيره من الكتب

مات الجوهري متردّياً من سطح داره^(٢) بنيسابور.

وفيهما تُوفِّي أمير المؤمنين الطائع لله أبو بكر عبد الكريم آبن الخليفة المطيع لله الفضل ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد الهاشمي العباسي البغدادي. وأمّه أم ولد^(٣). وليّ الخلافة بعد أن خلع والدّه المطيع نفسه لمرض تَمَادَى به في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة؛ فدام في الخلافة إلى أن خُلِع بعد القبض عليه في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وبويع القادر بالله بالخلافة. واستمرّ الطائع محبوساً في دار عند القادر مكرماً إلى أن مات في هذه السنة في ليلة عيد الفطر؛ وصلى عليه القادر وكبّر عليه خمساً. ومات الطائع وله ثلاث^(٤) وسبعون سنة.

(١) في الأصل: «سيدها». والتصحيح عن معجم الأدباء ویتمة الدهر.

(٢) وذكر ياقوت في معجم الأدباء أنه صعد يوماً إلى سطح جامع نيسابور، وضمّ إلى جنبه مصراعي باب وتابطهما بحبل، ثم ألقي بنفسه يريد الطيران، فوقع ومات.

(٣) اسمها هزار. وقيل: عتب. (تاريخ الخلفاء).

(٤) كذا أيضاً في تاريخ الخلفاء للسيوطي. وفي البداية والنهاية: «وله ست وسبعون سنة».

وفيهما تُوفِّي محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكرياء، الحافظ أبو طاهر البغداديّ الذهبيّ المُخَلَّص محدث العراق. قال الخطيب أبو بكر: كان ثقة. مولده في شوال سنة خمس وثلاثمائة، وسمع الكثير وروى عنه غير واحد.

وفيهما تُوفِّي إبراهيم بن أحمد [بن محمد، أبو إسحاق] ^(١) الطبريّ المقرئ، شيخ الشهود ومقدمهم ^(٢) ببغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة. قرأ القرآن وسمع الكثير، وكان مالكيّ المذهب، وحجّ فأتمّ بالناس بالمسجد الحرام أيام الموسم، وما تقدّم فيه إمام ليس بقرشيّ سواه. وقرأ عليه الرضيّ الموسويّ القرآن. وسكن بغداد وحديث بها إلى أن تُوفِّي بها رحمه الله.

وفيهما تُوفِّي محمد بن عبد الله ^(٣) [بن محمد بن محمد] ^(٤) بن حُلَيْس ^(٥) السّلاميّ الشاعر المشهور؛ كان فصيحاً بليغاً. ومن شعره وهو في المكتب ^(٦) وهو أول قوله: [المنسرح]

بدائع الحسن فيه مُفْتَرَقه وأعين الناس فيه مُتَفَقَه
سِهام الحاظه مُفَوَّقَه فكلّ من رام لحظه رَشَقَه

قال الثعالبيّ في حقّه: هو من أشعر أهل العراق قولاً بالإطلاق، وشهادة بالاستحقاق. ثم قال بعدما أثنى عليه: وقال الشعر وهو ابن عشر ^(٧) سنين.

وفيهما تُوفّيت ميمونة بنت ساقولة ^(٨) الواعظة البغدادية. كان لها لسان حُلُو في

(١) زيادة عن المنتظم والبداية والنهاية وعقد الجمان.

(٢) عبارة ابن كثير في البداية والنهاية: «شيخ القراءات ومقدم المعدّلين».

(٣) كذا أيضاً في المنتظم وبيتة الدهر والبداية والنهاية وابن خلكان. وفي تاريخ بغداد وعقد الجمان:

«عبيد الله».

(٤) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٥) في ابن خلكان: «خليس» بالخاء المعجمة. والسلامي: نسبة إلى دار السلام، وهي بغداد.

(٦) وكان ابن عشر سنين، كما في ابن خلكان. والمراد بالمكتب هنا: الكتاب، حيث يتعلم الأولاد.

(٧) في الأصل: «ابن عشرين سنة» وما أثبتناه عن بيتة الدهر وابن خلكان.

(٨) في البداية والنهاية: «ساقولة» بالشين المعجمة.

الوعظ. قالت: هذا قميصي له اليوم سبع وأربعون سنة ألْبَسُهُ وما تخرق، غزلته لي أمي؛ الثوب إذا لم يُعَصَّ اللُّهُ فيه لا يتخرق.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة:

فيها قُلْدُ بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبين، ولقبه [الطاهر]^(١) الأوحَدُ ذا المناقب؛ فلم ينظر في القضاء لامتناع الخليفة القادر بالله من الإذن له في ذلك.

وفيها حج بالناس من العراق أبو الحارث محمد العلوي؛ فأعترض الركب الأَصَيْفُرُ الشَّيعِيُّ الأعرابي، وعول على نهبهم؛ فقالوا: من يكلمه ويقرّر له ما يأخذه من الحاج؟ فقدّموا أبا الحسين بن الرّقاء^(٢) وأبا عبد الله بن الدّجّاجي، وكانا من أحسن الناس قراءة؛ فدخلا عليه وقرأ بين يديه؛ فقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ قالوا: نعم العيش، تصلنا الخلع والصلوات. فقال: هل وهبوا لكما ألف ألف دينار في مرة واحدة؟ قالوا: لا، ولا ألف دينار؛ فقال: قد وهبت لكما الحاج وأموالهم؛ فدعوا له وأنصرفوا وفرح الناس. ولما قرأ بعرفات قال أهل مصر والشام: ما سمعنا عنكم تبذيراً^(٣) مثل هذا، يكون عندكم شخصان مثل هذين فتصحبونهما معكم معاً، فإن هلكا فبأي شيء تتجملون بعد ذلك!. ومن حسن قراءةهما وطيب صوتهما

(١) زيادة عن ابن الأثير والمتنظم والذهبي.

(٢) في الأصل هنا وما سيأتي في حوادث سنة ٤٠٠هـ: «أبو الحسن بن الوفاء». وما أثبتناه عن المتنظم

وابن الأثير والذهبي.

(٣) في الأصل: «بتدبير». والتصحيح عن المتنظم.

أخذهما أبو الحسن بن بُويّه مع أبي عبد الله بن البُهْلُول^(١)، فكانوا يُصلّون به بالنوبة التراويح، وهم أحداث السنّ.

وفيها تُوفّي الحسن بن محمد بن إسماعيل، أبو عليّ الإسكافيّ الملقّب بالموقّق. كان بهاء الدولة قد فوّض إليه أموره وقام بتدبير ملكه. وكان شجاعاً مقداماً، لا يتوجّه في أمر إلّا ويُنْصَر. وأرتفع أمره حتّى قال رجل لبهاء الدولة: «يا مولانا، زَيْنك الله في عين الموقّق». ولا زال الناس به حتّى قبض عليه بهاء الدولة وخنقه.

وفيها تُوفّي خلف بن القاسم بن سهل، الحافظ أبو القاسم الأندلسيّ؛ كان يُعرف بأبن الدبّاغ؛ مولده سنة خمس وعشرين وثلاثمائة؛ كان حافظاً مُكثراً جمع^(٢) مسند الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وحديث شعبة بن الحجاج، وأسامي^(٣) المعروفين بالكُنَى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين، وكان أعلم الناس برجال الحديث والتواريخ والتفسير.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصباعاً.

* * *

السنة التاسعة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

فيها حجّ بالعراقيّين أبو جعفر [بن]^(٤) شُعَيْب، وَلِحَقْهم عطش كبير في طريقهم فهلك خلق كثير.

(١) في الأصل: «ابن البهلوان». وما أثبتناه عن الذهبي والمتنظم.

(٢) عبارة نفح الطيب: «حدّث حديث مالك وشعبة وأشباه في الزهد». وفيه أنه توفي سنة ٥٣٩٣ هـ.

(٣) في الأصل: «وأشباه من المعروفين... إلخ»، وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٤) الزيادة عن المتن وعقد الجمان والذهبي.

وفيهما قتل الحاكم صاحب مصر جماعة بمصر من أعيانها صبراً^(١).

وفيهما كانت وقعة بين بهاء الدولة^(٢) بن بُوَيْه وبين عميد الجيوش، انكسر فيها عميد الجيوش وأنهزم أقبح هزيمة.

وفيهما خرج أبو ركوكة^(٣) على الحاكم، وتعاضم أمره حتى عزم الحاكم على الخروج إلى الشام، وبرز إلى بليس بالعساكر والأموال، فأشير عليه بالعود إلى مصر فعاد وجَهَّز إليه جيشاً فواقعوه غير مرة حتى هزموه، حسب ما ذكرناه في أصل ترجمة الحاكم من هذا المحل، ونذكره أيضاً في السنة الآتية.

وفيهما تُوُفِّي أحمد بن محمد البُشَيْرِي الصوفي المحدث؛ رحل في طلب الحديث وجاور بمكة مدة وصار شيخ الحرم، ثم عاد إلى مصر فتُوُفِّي بالطريق بين مصر ومكة؛ وكان صالحاً ثقة.

وفيهما تُوُفِّي أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب، أبو الحسين الرازي، وقيل: القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي، نزيل همدان، وصاحب «المُجَمَّل» في اللغة. سمع الحديث وروى عنه جماعة، وولد بقزوين ونشأ بهمدان. وكان أكثر مقامه بالرِّيِّ؛ وكان كاملاً في الأدب فقيهاً مالكياً مناظراً في الكلام وينصر أهل السنة، وطريقته في النحو طريقة الكوفيين. وله مصنفات بديعة. ومن شعره قوله: [السريع]

مَرَّتْ بنا هيفاء مجدولةً تركية تُنمى لتركِيٍّ
ترنو بطَرْفٍ فاتنٍ فاتنٍ أضعف من حُجَّةٍ نحوِيٍّ

وفيهما تُوُفِّي أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الزاهد، أبو الحسين بن أبي نصر النيسابوري الخفاف. قال الحاكم^(٤): كان مُجَابِبَ الدعوة، وسماعاته

(١) انظر في ذلك: خطط المقرئزي واتعاظ الحنفا.

(٢) كذا بالأصل. وفي ابن الأثير وعقد الجمان أن تلك الوقعة كانت بين أبي العباس بن واصل وبين عميد الجيوش أمير العراق من جهة بهاء الدولة.

(٣) سيأتي تفصيل أخباره والتعليق عليها في أخبار السنة الحادية عشرة من ولاية الحاكم.

(٤) سيذكره في وفیات سنة ٤٠٥هـ.

صحيحة بخط أبيه من أبي العباس السراج^(١) وأقرانه، وبقي واحد عصره في علو الإسناد؛ ومات في شهر ربيع الأول. قال الحاكم: وصلت عليه وله ثلاث وتسعون سنة.

وفيهما توفي محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة^(٢) - وأسم منده: إبراهيم بن الوليد بن سيده -^(٣) الحافظ الكبير أبو عبد الله العبدى^(٣) الأصبهاني المعروف بابن منده؛ رحل وطوف الدنيا، وجمع وصنف وكتب ما لا ينحصر. وحديث عن أبيه وعم أبيه عبد الرحمن بن يحيى وخلق كثير، وروى عنه جماعة. قال أبو نعيم^(٤) - وهو معاصره -: ابن منده حافظ من أولاد المحدثين، توفي في سلخ ذي القعدة، واختلط في آخر عمره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

* * *

السنة العاشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ست وتسعين وثلاثمائة:

فيها حجّ بالناس من العراق محمد بن محمد بن عمر العلوي، وخطب بالحرمين للحاكم صاحب مصر على العادة، وأمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذكر الحاكم، وفعل مثل ذلك بمصر وغيرها؛ فكان إذا دُكر قاموا وسجدوا في السوق وفي مواضع الاجتماع.

(١) مر ذكره في وفيات سنة ٣١٣ هـ.

(٢) «مندة» و«سيده» بهاء ساكنة في الأخير، كما ضبطها ابن خلكان بالعارة. (وفيات: ٣٣١/٣ و ٢٨٩/٤).

(٣) العبدى: نسبة إلى عبد ياليل. ونسبته إلى أخوال جده محمد بن يحيى المذكور. ذلك أن أم الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى، واسمها برة بنت محمد، كانت من بني عبد ياليل. (وفيات: ٢٨٩/٤).

(٤) سيذكره المؤلف ضمن وفيات سنة ٤٣٠ هـ.

وفيها جلس الخليفة القادر بالله العباسي لأبي المنيع قِرَواش^(١) بن أبي حَسَّان ولقبه بمعتمد الدولة؛ وتفرد قِرَواش المذكور بالإمارة وحده.

وفيها تُوفِّي إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو سعد الجرجاني؛ كان عالماً بفنون علم الحديث والفقه والعربية، ودخل بغداد وعقد مجلس المناظرة، وحضره أبو الطيب الطبري وأبو حامد الأسفرايني.

وفيها تُوفِّي عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد بن موسى الكلابي، المحدث أبو الحسين الدمشقي؛ يعرف بأخي تنوك؛ سَمِع الكثير وروى عنه الناس. قال عبد العزيز الكِنَّاني^(٢): كان ثقةً نبيلاً مأموناً. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول، ومات وهو مُسنَد وقته.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفِّي الحافظ أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الباجي^(٣) في المحرم، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران بن الجندي - وهو ضعيف، وأبو سعد إسماعيل بن أبي بكر الإسماعيلي شيخ الشافعية، وأبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابي في [شهر] ربيع الأول - وله تسعون سنة، والقاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي بمصر، وأبو بكر محمد بن [الحسن بن]^(٤) الفضل بن المأمون، وأبو بكر محمد بن علي بن النصر^(٥) الديباجي، وأبو بكر محمد بن عمر [بن علي بن خلف]^(٦) بن زُبُور الوراق.

(١) هو قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي، من هوازن. ولي الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات بعد مقتل أبيه سنة ٣٩١هـ. ودامت إمارته خمسين سنة. ووقع خصام بينه وبين أخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه بركة سنة ٤٤١هـ وحبسه في إحدى قلاع الموصل. وتوفي سنة ٤٤٤هـ. (فوات الوفيات: ١٩٨/٣، وابن الأثير: ٢٨٣/٨، ٣٠٨).

(٢) في الأصل هنا وما سيأتي في حوادث سنة ٤٦٧: «الكِنَّاني». وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ وتاج العروس.

(٣) في الأصل: «ابن الناجي» بالنون. والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

(٤) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان والشذرات.

(٥) كذا في تاريخ بغداد. وفي الأصل: «ابن النصر» بالصاد المهملة.

(٦) زيادة عن شذرات الذهب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وست عشرة إصباعاً.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة:

فيها دخل بهاء الدولة البصرة وملكها وأستولى على ذخائر ابن واصل^(١).

وفيها أستفحل أمر أبي رَكوة الذي خرج على الحاكم، وذكرنا أمره في الماضية، ودعا لعَمّه هشام الأمويّ. وأبوركوة^(٢) المذكور أسمه الوليد، وهو من ذرية هشام بن عبد الملك بن مروان؛ وعظّم أمره وأنضم عليه الخلائق وأستولى على بَرّقة وغيرها، وكسر عسكر الحاكم، وضرب السكّة، وصعد المنبر وخطب خطبة بليغة، ولعن الحاكم وآباءه، وصلى بالناس وعاد إلى دار الإمارة، وقد أستولى على جميع ما كان فيها. وعرف الحاكم بما جرى فأنزعج وكفّ عن القتل وأنقطع عن الركوب الذي كان يواصله؛ ثم جهّز الحاكم إلى حرب أبي ركة قائداً من الأتراك

(١) هو الأمير أبو العباس أحمد بن واصل. ملك سيراك بالبصرة، وقصد الأهواز فانهزم أمامه بهاء الدولة في السنة الماضية، ثم أخذ البطائح. وقد قتل في هذه السنة. (انظر تفاصيل ذلك في ابن الأثير: حوادث سنة ٣٩٦ و ٣٩٧ هـ، وشذرات الذهب: ١٤٩/٣).

(٢) لقب بأبي ركة لأنه كان يحمل دائماً ركة ماء لوضوئه على طريقة الصوفية. وتعتبر ثورته من أهم حوادث العصر، فقد كاد هذا الداعية القوي أن يزعم أسس الدولة الفاطمية وأن يقضي على ملك الحاكم وأسرته. وتقول الرواية في سبب مقدمه إلى المشرق، أنه حينما حصر المنصورين أبي عامر، المتغلب على حكومة قرطبة، على الخليفة هشام المؤيد بالله الأموي ولد الحكم المستنصر بالله، وتبع زعماء بني أمية وفروعهم للتخلص منهم، فرّ الوليد (أبوركة) فيمن فرّ من أعضاء أسرته خيفة القتل؛ وكان عند مغادرته لقرطبة شاباً في نحو العشرين من عمره، فأقام بالقيروان مدة يقرئ الصبيان، ثم سار إلى مصر فدرس بها الحديث، ويعد أن تحول حيناً في الحجاز واليمن والشام عاد إلى مصر، ثم نزح إلى برقة واستقر بين بطون بني قرّة أقوى قبائلها. وهناك اجتذب إليه الناس بنسكه ووعظه وذلاّفته ونبل خلاله. ثم إنه كشف عن شخصه وأظهر نسبته، وتلقب بأمر المؤمنين الناصر لدين الله، ودعا إلى عمه هشام المؤيد الأموي. (انظر الحاكم بأمر الله: ص ١٨٦ - ١٩١).

يقال له يَنَالُ^(١) الطويل، وأرسل معه خمسة آلاف فارس - وكان معظم جيش يَنَال [من] كُتامة، وكانت مستوحشة من يَنَال فإنه قتل كبار كُتامة بأمر الحاكم - فتوجه يَنَال وواقع أبوركوة فهزمه أبوركوة وأخذه أسيراً، وقال له: العَن الحاكم، فبصق في وجه أبي ركونة؛ فأمر أبوركوة به ففُطِعَ إِرْبًا إِرْبًا. وأخذ أبوركوة مائة ألف دينار كانت مع يَنَال وجميع ما كان معه، فقوي أمره أكثر ما كان.

وأشدت الأمر على الحاكم أكثر وأكثر بكسر يَنَال؛ وبعث إلى الشام وأستدعى الغلمانَ الحَمْدَانِيَّةَ والقبائل وأنفق عليهم الأموال وجهزهم، وجعل عليهم الفضل بن عبد الله^(٢)؛ فطرقهم أبوركوة وكسرهم وساق خَلَفَهُمْ حتى نزل عند الهرمين بالجيزة؛ وغلق الحاكم أبواب القاهرة؛ ثم عاد أبوركوة إلى عسكره. فندب الحاكم العساكر ثانياً، فسار بهم الفضل في جيوش كثيرة، والتقى مع أبي ركونة فهزمه وقتل من عسكره نحو ثلاثين ألفاً. ثم ظفر الفضل بأبي ركونة وسار به مكرماً إلى الحاكم. وسبب إكرامه له خوفه عليه من أن يقتل نفسه، وقصد الفضل أن يأتي به الحاكم حياً. فأمر الحاكم أن يشهر أبوركوة على جمل ويُطاف به^(٣). وكانت القاهرة قد رُيِّت أحسن زينة، وكان بها شيخ يقال له الأَبْزَارِيُّ، إذا خرج خارجي صنع له طُرْطُوراً وعَمِل فيه ألوان الخِرَق المصبوغة وأخذ قِرداً ويجعل في يده دِرَّة ويعلمه [أن] يضرب بها الخارجي من ورائه، ويُعطى مائة دينار وعشر قطع قماش. فلما قطع أبوركوة الجيزة أمر به الحاكم، فأركب جملاً بسنامين وألبس الطُرْطُور وأركب الأَبْزَارِيَّ خلفه، والقرد بيده الدَّرَّة وهو يضربه والعساكر حوله، وبين يديه خمسة عشر فيلاً مزينة؛ ودخل القاهرة على هذا الوصف ورؤوس أصحابه بين يديه على الخشب والقصب؛ وجلس الحاكم في منظره على باب الذهب، والترك والديلم عليهم السلاح وبأيديهم اللُّتُوت وتحتهم الخيول بالتجافيف^(٤) حول أبي ركونة؛ وكان يوماً

(١) وفي بعض الروايات: «ينال الطويل التركي».

(٢) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي اتعاظ الحنفا: «الفضل بن صالح».

(٣) انظر ما كتبه المقرئ في اتعاظ الحنفا حول مناظر التشهير بأبي ركونة وتعذيبه.

(٤) التجافيف: جمع تحفاف، بكسر أوله؛ وهو ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة يقياهه الجراح في الحرب.

عظيماً؛ وأمر به الحاكم أن يُخَرَّجَ إلى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه على تلٍ بإزاء مسجد ريدان^(١) خارج القاهرة. فلَمَّا حُمِلَ إلى هناك أُنزل فإذا به مَيّت فقطع رأسه وحُمِلَ به إلى الحاكم؛ فأمر بصلب جسده. وارتفعت منزلة الفضل عند الحاكم بحيث إنّه مرض فعادته مرتين أو ثلاثاً، وأقطعه إقطاعات كثيرة ثم عوفي من مرضه، وبعد أيام قبض عليه الحاكم وقتله شرّاً قتلة^(٢).

وفيهما كسا الحاكم الكعبة القِبَاطِيَّ البِيضَ، وبعث مალًا لأهل الحرمين.

وفيهما تُوَفِّيَ عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق، أبو القاسم الدِّينُورِيُّ الواعظ الزاهد؛ كان فقيهاً زاهداً عابداً محدثاً منقطعاً عن الناس، وهو من كبار الشيوخ رحمه الله.

وفيهما تُوَفِّيَ الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو الحسن علي بن عمر القَصَّار^(٣) المالكيّ ببغداد.

(١) هذا المسجد أنشأه ريدان الصقلي ببجوار بستانه خارج باب الحسينية من القاهرة. وكان ريدان هذا أحد خدام الخليفة العزيز بالله وحامل المظلة في عهد ابنه الحاكم. وقد زال هذا المسجد، ويوجد اليوم على جزء من أرضه زاوية الشيخ علي أبي خودة بشارع أبي خودة بالعباسية القبلية بقسم الولاية. (م. رمزي). وانظر أيضاً: خطط المقرئ: ١٣٨/٢، ١٣٩.

(٢) والظاهر أن الحاكم لم يكن يعترف بفضل قائده الفضل بن صالح والخدمة التي أسداها إليه، فقد أورد المقرئ في اتعاظ الخنفا، نقلاً عن المسيحي، نبذة جاء فيها: «قال المسيحي: قال لي الحاكم بأمر الله، وقد جرى حديث أبي ركة: ما أردت قتله، ولكن جرى في أمره ما لم يكن من اختياري. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما قصّر عبدك الفضل بن صالح في خدمته. فقال: وإيش تظن أن فضل أخذه؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، هذا قول الناس، فقال: والله العظيم ما أفلح فضل في حركته تلك ولا أنجح، غير أننا أنفقت فيها ألف ألف دينار ذهباً ضياعاً، وإنما أخذه ملك النوبة، وأنفذ به إليّ. فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين. وعلمت أن هذا ما قرره قائد القواد الحسين بن جوهر في نفسه ليطفل فعل فضل، فاستقر». انتهى كلام المسيحي. وتذكر رواية كنسية معاصرة (سير البيعة المقدسة) رواية أخرى خلاصتها أن القائد فضل بن صالح دخل يوماً على الحاكم بالقصر، فرآه بين يديه صبي وقد ذبحه بسكين في يده، واستخرج أحشاءه، فارتدّ الفضل إلى منزله مذعوراً. ولم تمض ساعة حتى أنفذ إليه الحاكم من قتله. (الحاكم بأمر الله: ص ١٩١).

(٣) كذا في تاريخ بغداد وشذرات الذهب. وفي الأصل: «ابن عمران القطان». وفي ابن الأثير: «القصاب» بالياء الموحدة.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً
وست عشرة إصباعاً^(١).

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة:

فيها في يوم عاشوراء غَمِلَ أهل الكَرْخ [ما جرت به] العادة من النُّوح وغيره.
وَاتَّفَقَ يوم عاشوراء يوم المَهْرَجَانِ، فَأُخِّرَ عَمِيدُ الجيوش إلى اليوم الثاني مراعاةً لأجل
الرافضة، هذا ما كان^(٢) ببغداد. فأما مصر فإنه كان يُفَعَّلُ بها في يوم عاشوراء من
النوح والبكاء والصُّراخ وتعليق المُسُوحِ أضعافُ ذلك، لا سِماً أيام خلفاء مصر بني
عبيد، فإنهم كانوا أعلنوا الرُّقْصَ وسَبَّ الصُّحابة من غير تَسْتَرٍ ولا خِيفة.

وفيها كانت فتنة عظيمة بين أهل السنة والرافضة ببغداد.

وفيها زُلْزِلَتِ الدِّيْنُورُ فَهَدِمَتِ المنازل وأهلكت ستة عشر ألف إنسان، وخرج
من سَلِمَ إلى الصحراء وَبَنُوا لَهُم أَكْوَاخاً من القصب، وذهب من الأموال ما لا يُعَدُّ
ولا يُحصى.

وفيها هدم الحاكم بَيْعَةَ^(٣) قُمَامَةَ التي ببيت المقدس وغيرها من الكنائس
بمصر والشام، وألزم أهل الذِّمَّةَ بما ذكرناه في ترجمة الحاكم.

وفيها تُوَفِّيَ أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، أبو الفضل الهمداني

(١) أشار المقرئ في كشف الغمة: ص ٥١ - ٥٢ إلى أنه ارتفعت الأسعار في هذه السنة والتي بعدها،
وأصاب الناس الجوع بسبب الغلاء وتناقص مد النيل.

(٢) في الأصل: «هذا وهو ببغداد».

(٣) في الأصل: «بيت قمامة» وهو تحريف. راجع ص ١٧٩ من هذا الجزء، حاشية (٢).

الملقب ببديع الزمان، صاحب الرسائل الرائقة، وصاحب المقامات [الفائقة] ^(١)، التي على منوالها نسج الحريري مقاماته، وأعترف له بالفضل عليه. وكان إمام وقته في المنشور والمنظوم. ومن كلامه النثر: «الماء إذا طال مُكثه، ظهر خُبثه؛ وإذا سكن مَتَنه، تحرَّك نَتْنه». و[له من تعزية] ^(٢): «الموت خُطْب قد عَظُم حتَّى هان، ومَسَّ [قد] ^(٣) خُشْن حتَّى لان؛ والدنيا [قد] ^(٤) تنكَّرت حتَّى صار الموت أخفَّ خطوبها، وجنت حتَّى صار أصغر ذنوبها.» وله من هذا أشياء كثيرة. وأمَّا شعره فجيد إلى الغاية. من ذلك قوله من جملة قصيدة: [البسيط]

وكاد يَحْكِيكَ صَوْبُ الغَيْثِ منسكباً لو كان طَلَقَ المحيَا يُمطر الذَّهَبَا
والدهر لو لم يَخُنْ والشمس لو نَطَقَتْ والليث لو لم يصدَّ والبحر لو عَذَّبَا
وكانت وفاته في هذه السنة بمدينة هَرَاة.

وفيهما تُوَفِّي عبد الواحد ^(٥) بن نصر بن محمد، أبو الفرج المخزومي النصيبی، الشاعر المشهور المعروف بالبيغاء. والبيغاء هو الطير المعروف بالدُّرَّة، وقيل غيرها. خدم البيغاء المذكور سيف الدولة بن حمدان ومدحه؛ وكان شاعراً مجيداً و كاتباً مترسلاً، جيد المعاني حسن القول في المدائح. ومن شعره: [الكامل]

وكأَنَّمَا نَقَشْتُ حَوَافِرُ خَيْلِهِ لِلنَّاضِرِينَ أَهْلَةً فِي الْجَلَمَدِ
وكَأَنَّ طَرْفَ الشَّمْسِ مطروف وقد جُعِلَ الْغُبَارُ لَهُ مَكَانَ الْإِثْمَدِ

وفيهما تُوَفِّي عبد الله بن محمد، أبو محمد البخاري الخوارزمي الفقيه الشافعي؛ كان فقيهاً فصيحاً أديباً، يرتجل الخطب الطوال ويقول الشعر على البديهة. ومن شعره: [الخفيف]

كَمْ حَضَرْنَا وَلَيْسَ يُقْضَى التَّلَاقِي نَسْأَلُ اللَّهَ غَيْرَ هَذَا الْفِرَاقِ
إِنْ أَغْبَ لَمْ تَغِبْ وَإِنْ لَمْ تَغِبْ غَبْتُ كَأَنَّ أَفْتِرَاقَنَا بِاتِّفَاقِ

(١) زيادة عن ابن خلكان.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) في الأصل: «عبد الملك». والتصحيح عن ابن خلكان والمتنظم وابن الأثير.

وفيهما تُوفِّي أبو منصور بن بهاء الدولة، وقيل: إنَّ اسمه بُؤَيْه. كان أبوه بهاء الدولة يخافه، ومنع الخَدَمَ من الكلام معه وضيق عليه. ولَمَّا مات وَجَدَ عليه وَجْداً عظيماً، وليس السواد، وواصل البكاء والحزن إلى أن اجتمع إليه وجوه الديلم وسألوه أن يرجع إلى عادته.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

السنة الثالثة عشرة

من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة:

فيها لحق الحاجُّ عند عودهم من مكة الأَصَيْفِرُ الأعرابي، وقرَّر عليهم أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي أمير الحاجِّ مალًا فأوردوه، ودخلوا الكوفة بعد أن لاقُوا مشقَّةً شديدة، وأقاموا بها حتَّى أرسل إليهم أبو الحسن علي بن مَزِيد^(١) أخاه حمَّاداً فحملهم إلى المدائن، ثمَّ دخلوا بغداد.

وفيهما صُرِفَ أبو عمر^(٢) عبد الواحد عن قضاء البصرة، ووليها أبو الحسن بن أبي الشَّوَّارِب. فقال العُصْفَرِيُّ^(٣) الشاعر في هذه المعنى: [المجتث]

عندي حديثٌ ظريف	بمثله يُتَغَنَّى
من قاضيين يُعَزَّى	هذا وهذا يُهْنَى
فذا يقول أكرهُونا	وذا يقول آسَرحنا
ويكذبان جميعاً	ومنْ يُصَدِّقُ منَّا

(١) في الأصل: «ابن يزيد». وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وابن خلدون. وهو سند الدولة، أبو الحسن، أول الأمراء المزيديين أصحاب الحِلَّة. توفي سنة ٤٠٨ هـ. (الأعلام: ٢٢/٥).

(٢) في الأصل: «أبو عمرو». وما أثبتناه عن ابن الأثير والمتنظم.

(٣) في الأصل: «الغضنفرى». والتصحيح عن ابن الأثير والمتنظم وعقد الجمان والبداية والنهاية.

وفيها وَلَّى الحاكمُ القائدَ أبا الجيش حامد بن مُلْهَم أميراً على دمشق بعد عليّ بن جعفر بن فلاح، فولَّيها سنة وأربعة أشهر، ثم عَزَلَ بمحمد بن نزال^(١).

وفيها لم يحجَّ أحد من العراق خوفاً من العطش والعرب، وخرجوا ثم عادوا. وفيها توفيت معنى أمّ القادر. كانت مولاة عبد الواحد بن الخليفة المقتدر، وكانت من أهل الدين والصلاح. وصَلَّى عليها القادر في داره وكَبَّر أربعاً، وحُمِلت إلى الرُّصافة في طَيَّار فدُفِنَتْ بها.

وفيها توفي الأمير لؤلؤ غلام سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب والذي كان واقع العزيز نزاراً والد الحاكم؛ وقد تقدّم ذكر ذلك في ترجمة العزيز مفصلاً. كان لؤلؤ شجاعاً مقداماً. ولما مات لؤلؤ تولّى الملك بعده أبنه مرتضى الدولة، وهرب بعد ذلك إلى الروم.

وفيها توفي هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأمويّ صاحب الأندلس، ولقبه المؤيد، وهو من ذرية مروان بن الحكم الأموي، وهو عمّ^(٢) أبي ركة الذي كان خرج على الحاكم المقدم ذكره، وبأسمه كان يخطب أبو ركة المذكور. ولي هشام هذا الملك وله تسع سنين، وأقام والياً على الأندلس تسعاً^(٣) وثلاثين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وستّ عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) كذا أيضاً في اتعاظ الحنفا. وفي تاريخ دمشق، وطبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان: «بزال».

(٢) يبدي ابن خلدون رية في نسبة أبي ركة وفي دعواه أنه سليل بني أمية. (ابن خلدون: ٥٨/٤).

(٣) في البيان المغرب: ٣٦ سنة وشهران وعشرة أيام. وكانت وفاة المؤيد سنة ٤٠٣ هـ على الصحيح، كما جاء في البيان المغرب وابن الأثير والأعلام. وقد وهم المؤلف حين جعل وفاته في هذه السنة. والصواب هو أنه خلع في هذه السنة على أثر فتنة، وبعد جملة حوادث أعيد إلى الحكم في نهاية سنة ٤٠٠ هـ. واستمر بعدها ستين وعشرة أشهر لم يهدأ له فيها بال، وقتل سراً في قرطبة بعد أن امتلكها سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله. (انظر أيضاً: أعمال الأعلام لابن الخطيب، القسم الثاني، ص: ٤٣، ١١٦، ١١٩، ١٢٠).

السنة الرابعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة أربعمائة:

فيها أُرِجِفَ بموت الخليفة القادر، فجلس للناس^(١) بعد صلاة الجمعة ودخل عليه القضاة والأشراف، وعليه آبهة الخلافة، وقَبِلَ أبو حامد الأسفرايني يده.

وفيها أُرسل الحاكم إلى المدينة إلى دار جعفر الصادق مَن فتحها وأخذ منها ما كان فيها، وكان فيها مصحف وسرير وآلات، وكان الذي فتحها ختكين العَصْدِيّ الداعي، وحمل معه رسوم الأشراف، وعاد إلى مصر بما وجد في الدار؛ وخرج معه من شيوخ العلويين جماعة؛ فلَمَّا وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة [وردّ عليهم السرير]^(٢) وأخذ الباقي، وقال: أنا أحقّ به؛ فأنصرفوا داعين عليه.

وشاع فعله في الأمور التي خرق العادات فيها، ودُعي عليه في أعقاب الصلوات وظوهر بذلك، فأشفق فخاف؛ وأمر بعمارة دار العلم^(٣) وفرشها، ونقل إليها الكتب العظيمة وأسكنها من شيوخ السَنَةِ شيخين، يعرف أحدهما بأبي بكر الأنطاكي، وخلع عليهما وقربهما ورسم لهما بحضور مجلسه وملازمته، وجمع الفقهاء والمحدثين إليها، وأمر أن يُقرأ بها فضائل الصحابة، [ورفع عنهم الاعتراض في ذلك]^(٤) وأطلق صلاة التراويح والضحي، وغير الأذان وجعل مكان «حيّ على خير العمل» «الصلاة خير من النوم»؛ وركب بنفسه إلى جامع عمرو بن العاص

(١) في الأصل: «فجلس الناس».

(٢) زيادة عن الذهبي والمنتظم وعقد الجمان.

(٣) دار العلم (دار الحكمة): افتتحت يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ. ففرشت وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وعمراتها الستور، وجعل لها خدام وفراشون يرسم خدمتها، وحمل إليها الحاكم من خزائنه من الكتب في سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، على حدّ تعبير المسبّحي. وأباح ذلك كله لسائر الناس. وكان موضعها بجوار القصر الصغير الغربي من الجهة البحرية، ويدخل إليها من باب التبانين الذي عرف فيها بعد بقبو الخُرْنَشَف، وصار مكان دار العلم في زمن المقرئزي الدار المعروفة بدار الخضير الكائنة بدرب الخضير المقابل للجامع الأحمر. (انظر: خطط المقرئزي: ٤٥٨/١، وأخبار مصر لابن ميسر: ص ٩٥ - حاشية، وحسن المحاضرة للسيوطي: ٢٨٢/٢ وفيه أنها بنيت سنة ٤٠٠هـ وهو خطأ).

(٤) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

وصلّى فيه الضحى، وأظهر الميل إلى مذهب الإمام مالك والقول به، ووضع للجامع تنوراً من فضة يوقد فيه ألف ومائتا فتيلة، وأثنى آخرين من دونه، وزفّهم بالدياب والبقوات والتهليل والتكبير، ونصبهم ليلة النصف من شعبان؛ وحضر أول يوم من رمضان إلى الجامع الذي بالقاهرة، وحُمِل إليه الفُرش الكثيرة وقناديل الذهب والفضة، فكثُر الدعاء له.

ولبس الصوف في هذه السنة يوم الجمعة عاشر شهر رمضان، وركب الحمار وأظهر النسك وملاً كمّه دفاتر، وخطب بالناس يوم الجمعة وصلّى بهم؛ ومنع من أن يخاطب «يامولانا» ومن تقبيل الأرض بين يديه؛ وأقام الرواتب لمن يأوي المساجد من الفقراء والقراء والغرباء وأبناء السبيل، وأجرى لهم الأرزاق؛ وصاغ محراباً عظيماً من فضة وعشرة قناديل، ورصّع المحراب بالجواهر ونصبه بالمسجد الجامع. وأقام على ذلك ثلاث سنين يحمل الطيب والبخور والشموع إلى الجوامع، وفعل ما لم يفعله أحد. ثم بدا له بعد ذلك فقتل الفقيه أبا بكر الأنطاكي والشيخ الآخر وخلقاً كثيراً آخر من أهل السنة لا أمر يقتضي ذلك؛ وفعل ذلك كله في يوم واحد. وأغلق دار العلم، ومنع من جميع ما كان فعله؛ وعاد إلى ما كان عليه أولاً من قتل العلماء والفقهاء وأزيد؛ ودام على ذلك حتّى مات قتيلاً حسب ما ذكرناه.

وفيها توفي الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، الشريف أبو أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي والمرتضى. مولده في سنة أربع وثلاثمائة. وكان سيّداً عظيماً مطاعاً؛ كانت هيئته أشدّ من هيئة الخلفاء؛ خاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله. وكانت منزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل، ولقّبه بالطاهر والأوحد وذو المناقب؛ وكان فيه كلّ الخصال الحسنة إلا أنّه كان رافضياً هو وأولاده على مذهب القوم. ومات ببغداد عن سبع وتسعين سنة، وصلّى عليه ابنه المرتضى، ودفن في داره ثم نقل إلى مشهد الحسين، ورثاه ولده المرتضى.

وفيها توفي أبو الحسين بن الرّقاء القاريء المجيد الطيّب الصوت الذي ذكرنا

قصته مع الأصيفر الأعرابي عندما أعترض الحاج في سنة أربع وتسعين؛ وكانت وفاته ببغداد.

وفيها توفي أبو عبد الله القمي التاجر المصري؛ كان بزاز خزانة الحاكم؛ مات في ذي القعدة بين مصر ومكة، وحمل إلى البقيع^(١) ودفن به؛ وكان ذا مال عظيم؛ خرج في هذه السنة مع حجاج مصر بعد أن اشتملت وصيته على ألف ألف دينار غير المتاع والقماش والجوهر.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصباعاً.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة إحدى وأربعمئة:

فيها خطب أبو المنيع قرواش بن المقلد الملقب بمُعتمد الدولة للحاكم صاحب مصر بالموصل. وكان الحاكم قد آستماله؛ فجمع معتمد الدولة أهل الموصل وأظهر طاعة الحاكم، فأجابوه وفي القلوب ما فيها؛ فأحضر الخطيب يوم الجمعة رابع المحرم و[خلع]^(٢) عليه قباءً ذبيقياً وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين، وقلده سيفاً، وأعطاه نسخة ما يخطب به وأولها:

«الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر والله الحمد. الحمد لله الذي أنجلت بنوره غمرات الغضب، وأنهدت بقدرته أركان النصب، وأطلع بقدره شمس الحق من الغرب؛ الذي محا بعدله جور الظلمة، وقصم بقوته ظهر الغشمة^(٣)؛ فعاد

(١) في الأصل: «إلى البقيع». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) في الأصل: «الغمة». والتصحيح عن المنتظم.

الأمر إلى نَصَابِهِ، والحقُّ إلى أربابه؛ البائن بذاته، المنفرد بصفاته، الظاهر بآياته، المتوحد بدلالاته؛ لم تُفْنِهِ الأوقات فتسبَّقه الأزمنة، ولم يُشْبِههِ الصور فتحوِّله الأمكنة، ولم تره العيون فتصفه الألسنة؛ سبق كلَّ موجود وجوده، وفات كلَّ جود جوده؛ وأستقرَّ في كلِّ عقل توحيده، وقام في كلِّ مرأى شهيدُه. أحمدُه كما يجب على أوليائه الشاكرين تحميده، وأستعينه على القيام بما يشاء ويريده، وأشهد له بما شهد أصفياؤه وشهوده. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يشوبها دَنَسُ الشرك، ولا يعتريها^(١) وهم الشكِّ، خالصة من الإدهان، قائمة بالطاعة والإذعان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ إصطفاه واختاره لهداية الخلق، وإقامة الحق؛ فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وهدى من الضلالة؛ والناس حينئذٍ عن الهدى غافلون، وعن سبيل الحق ضالُّون؛ فأنقذهم من عبادة الأوثان، وأمرهم بطاعة الرحمن؛ حتى قامت حُجَجُ الله وآياته، وتَمَّتْ بالتبليغ كلماته؛ صلى الله عليه وعلى أولٍ مستجيبٍ إليه عليٌّ أمير المؤمنين، وسيد الوصيين؛ أساس الفضل والرحمة، وعماد العلم والحكمة؛ وأصل الشجرة الكرام البررة، النابتة [في]^(٢) الأرومة المقدَّسة المطهرة؛ وعلى خلفائه الأغصان البواسق [من تلك الشجرة]^(٣)، وعلى ما خلص منها وزكا من الثمرة.

أيها الناس، اتقوا الله حقَّ تَقَاتِهِ، وأرغبوا في ثوابه وأحذروا من عقابه، فقد تسمعون ما يُتلى عليكم من كتابه؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٤). فالحذر ثمَّ الحذر، فكأنِّي وقد أفضت بكم الدنيا إلى الآخرة، وقد بان أشراطها، ولاح سراطها، ومناقشة حسابها، والعرض^(٥) على كتابها؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٦). إركبوا سفينة نجاتكم قبل أن

(١) في الأصل: «لا يغيرها». وما أثبتناه عن المنتظم.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٤) في الأصل: «والأرض» وهو تحريف. والتصحيح عن المنتظم.

(٥) سورة الزلزلة: الآية ٧، ٨.

تغرقوا، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)؛ وأنبيوا إليه خير الإنابة، وأجيبوا داعي الله على باب الإجابة؛ قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّقْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ...﴾ - إلى قوله: - فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ^(٢). تيقظوا من الغفلة والفترة، قبل الندامة والحسرة، وتمني الكثر والتماس الخلاص، ولات حين مناص؛ وأطيعوا إمامكم ترشدوا، وتمسكوا بولاة العهود تهتدوا؛ فقد نصب الله لكم علماً لتهتدوا به، وسبيلاً لتقتدوا به؛ جعلنا الله وإياكم ممن تبع مراده، وجعل الإيمان زاده، وألهمه تقواه ورشاده؛ أستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المؤمنين. ثم جلس وقام وقال:

«الحمد لله ذي الجلال والإكرام، وخالق الأنام ومقدر الأقسام، المنفرد بحقيقة البقاء والدوام، فائق الإصباح، وخالق الأشباح، وفاطر الأرواح؛ أحمده أولاً وآخراً، وأشكره باطناً وظاهراً، وأستعين به إلهاً قادراً، و[أستنصره]^(٣) ولياً ناصراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، شهادة من أقر بوحدانيته إيماناً، وأعترف بربوبيته إيقاناً، وعلم برهان ما يدعو إليه، وعرف حقيقة الدلالة عليه. اللهم وصل على وليك الأزهر، وصديقك الأكبر؛ علي بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين. اللهم وصل على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار، والصفوة الأخيار؛ من أقام منهم وظفر، ومن خاف فاستتر. اللهم وصل على الإمام المهدي بك، والذي بلغ^(٤) بأمرك، وأظهر حجتك، ونهض بالعدل في بلادك، هادياً لعبادك. اللهم وصل على القائم بأمرك، والمنصور بنصرك، اللذين بذلا نفوسهما في رضائك، وجاهدا أعداءك. اللهم وصل على المعز لدينك، المجاهد في سبيلك، المظهر للآيات الخفية، والحجج الجليلة. اللهم وصل على العزيز بك الذي مهّد به البلاد، وهديت به العباد.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الزمر: الآيات ٥٥، ٥٦، ٥٧.

(٣) زيادة عن المنتظم.

(٤) كذا في المنتظم. وفي الأصل: «تبلغ».

اللهم وأجعل نواامي صلواتك، وزواكي بركاتك، على سيدنا ومولانا إمام الزمان، وحصن الإيمان، وصاحب الدعوة العلوية، [و] الملة النبوية، عبدك ووليّك المنصور أبي عليّ الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الراشدين، وأكرمت أجداده المهديين. اللهم وفقنا لطاعته، وأجمعنا على كلمته ودعوته وأحشرنا في حربه وزمرته. اللهم وأعنه على ما وليته، وأحفظه فيما آسترعته، وبارك له^(١) فيما آتيته؛ وأنصر جيوشه و[أعل] أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها؛ إنك على كل شيء قدير».

فلما سمع الخليفة القادر ذلك أزعجه وأرسل عميد الجيوش في تجهيز العساكر. فلما بلغ قرواشاً ذلك أرسل يعتذر للخليفة، وأبطل دعوة الحاكم من بلاده وأعادها للقادر على العادة.

وفيهما لم يحجّ أحد من العراق خوفاً من الأعراب، وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيهما وليّ الحاكم لؤلؤ بن عبد الله الشيرازيّ دمشق، ولقبه بمنتخب الدولة؛ فقدم إليها في جمادى الآخرة من الرقة، ثم عزله عنها في يوم عيد الأضحى، وولّى عوضه أبا المطاع ذا القرنين^(٢) بن حمدان، وكان يوم الجمعة فصلّى لؤلؤ بالناس العيد وأبو المطاع الجمعة. وحمل لؤلؤ إلى بعلبك، فقتل بها بأمر الحاكم.

وفيهما توفيّ أبو عليّ الأمير عميد الجيوش، وأسمه الحسين بن [أبي]^(٣) جعفر. كان أبوه من حجاب عضد الدولة بن بويه؛ وجعل ابنه هذا يرسم صمصام الدولة، فخدم المذكور صمصام الدولة وبهاء الدولة؛ فولّاه بهاء الدولة العراق، فقدمها والفتن قائمة، فقتل وصلب وغرّق حتى بلغ من هيئته أنه أعطى غلاماً له

(١) في الأصل: «لي».

(٢) هو ذو القرنين بن حمدان بن ناصر الدولة، أبو المطاع وجيه الدولة. وقد ولاه الظاهر العبيدي بعد هذا الإسكندرية وأعمالها سنة ٤١٤هـ. فأقام بها عاماً؛ ثم عاد إلى دمشق فاستقر فيها أميراً إلى سنة ٤١٩هـ. وتوفي بمصر سنة ٤٢٨هـ. (الأعلام: ٨/٣).

(٣) الزيادة عن الذهبي والمنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب.

صينية فضة فيها دنانير، فقال: خذها على رأسك وسِرْ من النجمي إلى الماصر الأعلى، فإن أعترضك معترض فأعطه إياها وأعرف المكان؛ فجاء الغلام وقد أنتصف الليل، وقال: مَشَيْتُ الحَدَّ جميعه فلم يلقيني أحد.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهروي اللغوي المؤدب، مصنف الغريين في اللغة، لغة القرآن ولغة الحديث، ومات في شهر رجب.

وفيها توفي علي بن محمد، أبو الفتح البُستي^(١) الكاتب الشاعر. قال الحاكم: «هو واحد عصره، وحَدَّثني أنه سمع الكثير من أبي حاتم بن جَبَّان». انتهى. قلت: وهو صاحب النظم الرائق، والنثر الفائق. ومن كلامه النثر: «من أصلح فاسده، أرغم حاسده. عادات السادات، سادات العادات». ومن شعره رحمه الله تعالى: [الوافر]

أَعْلَلْ بِالْمُنَى رُوحِي لِعَلِّي أَرْوِّحْ بِالْأَمَانِي الهمَّ عَنِي
وَاعْلَمْ أَنَّ وَصْلَكَ لَا يُرْجَى وَلَكِنْ لَا أَقْلُ مِنَ التَّمْنَى

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثمانية عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثمانية عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السادسة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة اثنتين وأربعمائة.

فيها في شهر ربيع الآخر كتب الخليفة القادر العباسي محضراً في معنى الخلفاء المصريين والقدح في أنسابهم وعقائدهم، وقرئت النسخ ببغداد، وأخذت فيها خطوط القضاة والأئمة والأشراف بما عندهم من العلم بمعرفة نسب الديصانية؛ قالوا:

(١) تقدم أن ذكر المؤلف وفاته سنة ٣٦٣هـ، وهو يوافق رواية المتنظم والبداية والنهاية. وقد ذكر وفاته في هذه السنة ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب وبتيمة الدهر.

«وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، إخوان الكافرين، ونُظف الشياطين.

شهادة يتقربون^(١) بها إلى الله، ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء أن ينشروه للناس؛ فشهدوا جميعاً^(٢) أن الناجم بمصر، وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم (حكم الله عليه بالبور والخزي والنكال) ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد (لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي) هو^(٣) ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس (عليه وعليهم اللعنة) أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، وأن ذلك باطل وزور.

وأنهم لا يعلمون^(٤) أن أحداً من الطالبين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء.

وقد كان هذا الإنكار شائعاً بالحرمين في أول أمرهم بالمغرب، منتشرأ انتشاراً يمنع من أن يُدلس على أحد كذبهم، أو يذهب وهم إلى تصديقهم.

وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه^(٥) كفار وفساق فجار زنادقة، ولمذهب الثنوية^(٦) والمجوسية معتقدون؛ قد عطّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وآدعوا الربوية.

وكتب في [شهر] ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة.

وكتب خلق كثير في المحضر المذكور منهم: الشريف الرضي والمرتضى

(١) في الأصل: «يتقرب بها إلى الله ويعتقد... إلخ» وما أثبتناه عبارة طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان. والضمير في «يتقربون» عائد على القضاة والأئمة والأشراف.

(٢) كذا في شذرات الذهب والمتنظم والذهبي. وفي الأصل: «فشهدوا للناس أن الناجم...».

(٣) في الأصل وشذرات الذهب: «وهو ومن تقدمه...» بزيادة الواو وهو تحريف. إذ «هو» معطوف على «الناجم» والخبر «أدعياء» فيما يأتي.

(٤) كذا في المتنظم وعقد الجمان وشذرات الذهب. وفي الأصل: «وأنتم لا تعلمون أن أحداً...».

(٥) في الأصل: «ونسله». وما أثبتناه من المتنظم وعقد الجمان.

(٦) في الأصل: «اليهودية». وما أثبتناه عن المتنظم وعقد الجمان والذهبي.

أخوه، وابن الأزرق الموسوي، ومحمد بن محمد بن عمر بن أبي يعلى العلويون، والقاضي أبو محمد عبد الله بن الأكفاني، والقاضي أبو القاسم الجزري، والإمام أبو حامد الاسفرايني، والفقهاء أبو محمد الكشغلي، والفقهاء أبو الحسين القدوري الحنفي، والفقهاء أبو علي بن حَمَكَا^(١)، وأبو القاسم التنوخي، والقاضي أبو عبد الله الصَّيْمَرِيّ.

انتهى أمر المحضر باختصار^(٢). فلما بلغ الحاكم قامت قيامته وهان في أعين الناس لكتابة هؤلاء العلماء الأعلام في المحضر.

وفيها حجّ بالناس من العراق أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي، وهبت عليهم ريح سوداء وفقدوا الماء ولقوا شدائد.

وفيها توفي أحمد^(٣) بن مروان أبو نصر، وقيل: أبو منصور، مُمَهِّد الدولة الكردي صاحب ميافارقين. وقد ذكرنا مقتل الحسن^(٤) بن مروان على باب آمد، وأنهم من غير بيت في الرئاسة، وأنهم وثبوا على ديار بكر وملكوها. ووقع لأحمد هذا أمور ووقائع وحروب.

وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ بن فطيس، أبو المطرف، الإمام قاضي الجماعة بقرطبة؛ سَمِعَ الحديث وروى عنه جماعة، وكان من الحفاظ وكبار العلماء، عارفاً بعلم الحديث والرجال، وله مشاركة في سائر العلوم.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن

(١) في الأصل: «ابن حمركان» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب، وقد ضبطه بالعبارة.

(٢) انظر النص الكامل مستوفى في المنتظم: ٢٥٥/٧.

(٣) ذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه: ص ٦٦، أن أبا نصر توفي سنة ٤٥٣هـ في التاسع والعشرين من شوال. وابن الأزرق هو المعول عليه قبل غيره في تاريخ ميافارقين. وأبو المحاسن هنا يتابع صاحب مرآة الزمان في هذا الخطأ وينقل عنه. وسيذكر المؤلف وفاة أحمد بن مروان في حوادث سنة ٤٥٣هـ على الصحيح في الجزء الخامس.

(٤) راجع ص ١٥٠ من هذا الجزء، والحاشية رقم (٢).

جَمِيع، أبو الحسين الصَّيْدَاوِيّ الغَسَّانِيّ. رحل [إلى] البلاد وسمِع الكثير، وروى عنه غير واحد. ولد سنة خمس وثلاثمائة، وكان ثقة محدثاً كبير الشأن، ووفاته في شهر رجب.

وفيهما توفي محمد بن عبد الله بن الحسن، أبو الحسين بن اللّبان البصريّ العلامة صاحب الفرائض؛ سَمِع الحديث وبرع في الفرائض حتى إنه كان يقول: ليس في الدنيا فَرَضِيّ إلّا من أصحابي وأصحاب أصحابي^(١) أو لا يُحَسِّن شيئاً. أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وثمانين أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة السابعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثلاث وأربعمائة.

فيها في يوم الجمعة سادس عشر المحرم قُلْد الشريف الرضي نقابة الطالبين بسائر الممالك.

وفيها أرسل الحاكم صاحب الترجمة كتاباً إلى السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزَنَة يدعوه إلى طاعته، فبعث محمود بالكتاب إلى القادر بعد أن خرّقه وبصق في وسطه.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق.

وفيها توفي الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله الفقيه الحنبليّ الوراق؛ كان مدرّس الحنابلة وفقههم، وله مصنّفات، منها كتاب «الجامع» أربعمائة جزء. وهو شيخ القاضي أبي يعلى الفراء؛ وكان معظماً في النفوس مقدماً عند السلطان؛ وكان زاهداً ورعاً، ينسخ بالأجرة ويتقوّت منه.

(١) في شذرات الذهب: «وأصحاب أبي».

وفيهما توفي السلطان فيروز أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة بُويّه بن ركن الدولة حسن بن بُويّه [بن] فناخسرو الديلمي، وقيل: أسمه خاشاد. وبهاء الدولة هذا هو الذي قبض على الخليفة الطائع وخلعه من الخلافة، وولّى القادر الخلافة عوضه، وقد ذكرنا ذلك في وقته. وكان بهاء الدولة ظالماً غشوماً سفاكاً للدماء، حتى إنه كان خواصّه يهربون من قربه. وجمع من المال ما لم يجمعه أحد من بني بويه إلا إن كان عمه فخر الدولة المقدم ذكره. ولم يكن في ملوك بني بويه أظلم منه ولا أقبح سيرة. وكان به مرض الصرع يُصرّع في دَسْت الملك؛ ورث ذلك عن أبيه، ومات به في أرْجان في يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة. وكانت مدّة سلطنته أربعاً وعشرين سنة وتسعة أشهر وأياماً؛ ومات وله آثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر؛ وحُمِل من أرْجان إلى الكوفة. وتولّى المُلك من بعده ولده أبو شجاع بعهد منه.

وفيهما توفي قابوس بن وَشْمِكِر أمير الجبال بنيسابور وغيرها. كان أيضاً سيّء السيرة؛ قتل جماعة من خواصّه وحجّابه ففسدت القلوب عليه، ودبّروا في قتله وقصدوا أبنه منوْجهر، ولا زالوا به حتى قبض على أبيه قابوس هذا وقتله بالبرْد^(١)؛ ثم قتل منوْجهر جماعة ممن أشار عليه بقتل أبيه، وندم حين لا ينفع الندم.

وفيهما توفي الشريف محمد بن محمد بن عمر العلوي، أبو الحارث، نقيب الطالبين بالكوفة. كان شجاعاً جَوَاداً دِيناً رئيساً؛ كانت إليه النقابة مع تسيير الحاج؛ حجّ بالناس عشر^(٢) سنوات، وكان يُنفق عليهم [من ماله]^(٣) ويحمل المنقطعين رحمه الله. ومات بالكوفة في جمادى الآخرة.

وفيهما توفي عليّ بن محمد بن خلف، الإمام أبو الحسن المَعافِرِي القيرواني^(٤) القَابِسِيّ الفقيه المالكي. كان عالم أهل إفريقية. حجّ وسمع جماعة؛

(١) خلع عنه ثيابه في الشتاء، وعرضه للبرد القارس فمات. (انظر ابن الأثير).

(٢) في الأصل: «عشرين سنة». والتصحيح عن ابن الأثير المنتظم وعقد الجمان.

(٣) زيادة عن عقد الجمان.

(٤) كذا في شذرات الذهب والأعلام. وفي تذكرة الحفاظ: «القروي» بالفاء الموحدة. وفي الأصل وطبعة دار

الكتب: «القروي» بالقاف المثناة. والقروي: وجه آخر للنسبة إلى القيروان.

وأخذ بإفريقية عن ابن مسرور^(١) الدبّاغ وغيره، وكان حافظاً للحديث وعلله، فقيهاً أصولياً متكلماً مصنفًا صالحاً؛ وكان أعمى لا يرى شيئاً، وهو مع ذلك من أصح الناس كتباً وأجودهم تقييداً؛ يضبط كتبه ثقات أصحابه؛ والذي ضبط له صحيح البخاري بمكة رفيقه أبو محمد الأصيلي^(٢).

وفيهما توفي محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكلام؛ سكن بغداد وكان في وقته أوحّد زمانه؛ صنّف في الردّ على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية^(٣). وذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية فقال: «هو الملقّب بسيف السنّة، ولسان الأئمّة، المتكلّم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن الأشعري، وإليه انتهت رئاسة المالكية».

وفيهما توفي محمد بن موسى، أبو بكر الخوارزمي الحنفي شيخ الحنفية وعالمهم ومفتيهم؛ انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه؛ وكان تفقه على أبي بكر أحمد بن علي الرازي، وسمع الحديث من أبي بكر الشافعي، وروى عنه أبو بكر البرقاني^(٤). قال القاضي أبو عبد الله الصيمري بعدما أثنى عليه: «وما شاهد الناس مثله في حُسن الفتوى [والإصابة فيها]^(٥) وحُسن التدريس. وقد دُعِيَ إلى ولاية الحُكم مراراً فأمتنع تورّعاً». ومات في جمادى الأولى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

(١) في الأصل: «عن أبي سرور» والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

(٢) نسبة إلى «أصيلة» بالمغرب. ويقال أيضاً: أصيلاً. وهو عبد الله بن إبراهيم بن محمد، أبو محمد الأموي المعروف بالأصيلي. توفي سنة ٣٩٢ هـ. (الأعلام: ٦٣/٤).

(٣) الجهمية: طائفة من الخوارج، نسبوا إلى جهنم بن صفوان السمرقندي المتوفى سنة ١٢٨ هـ.

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر البرقاني المتوفى سنة ٤٢٥ هـ، كما في تاريخ بغداد.

(٥) زيادة عن تاريخ بغداد.

السنة الثامنة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة أربع وأربعمائة.

فيها قُلِّدَ فخرُ الملك الأمر، ولقبه الخليفة القادر سلطان الدولة وعقد لواءه بيده، وقرئ تقليده، وكتب القادر خطه عليه.

وفيها أبطل الحاكم المنجمين من بلاده، وأعتق أكثر مماليكه، وجعل وليَّ عهده ابن عمه عبد الرحيم^(١) بن إلياس وخُطِبَ له بذلك؛ وأمر بحبس النساء^(٢) في البيوت، وصلحت سيرته.

وفيها حجَّ بالناس من العراق أبو^(٣) الحسن محمد بن الحسن، وكذلك في سنة خمس^(٤).

وفيها كانت الملحمة الهائلة بين ملك الترك طُغان وبين ملك الصين، فقتل

(١) راجع ص ١٩٦ من هذا الجزء، حاشية (٢).

(٢) في الأصل: «الناس». وقبل هذا المرسوم كان الحاكم قد أصدر مجموعة من الأوامر تتعلق بالنساء، فمنعهن من التبرج، وألا يكشفن عن وجوههن في الطريق، أو يجتمعن في المآتم أو يسرن خلف الجنائز، أو يزرن المقابر، أو يقمن بالغناء والنشيد، أو يجتمعن مع الرجال في أماكن الفرجة، أو يخرجن من دورهن بعد العشاء الأخيرة.

وفي هذا المرسوم الصادر في شعبان سنة ٤٠٤ هـ ذهب الحاكم إلى ذرة القسوة والشدة: فمنعهن من مغادرة دورهن والخروج إلى الطرقات بالليل والنهار، ويستوي في ذلك أن تكون المرأة شابة أو عجوزاً، ولم يستثن من ذلك سوء النساء المتظلمات للشرع، والخارجات إلى الحج، أو المسافرات اللاتي تضطرن ظروف قاهرة إلى السفر، والأماء اللاتي يرسم البيع، والقابلات، وغاسلات الموتى، والأرامل اللاتي يبعن الغزل؛ وأن يكون خروج هؤلاء لمزاولة شؤونهن برقع خاصة ترفع إلى القصر (طلب إذن) وتصدر بها تصاريح يقوم بتنفيذها مدير الشرطة. فاختفت النساء من المجتمع المصري الظاهر، وساده الانقباض والوحشة، وساد الذعر بين النساء. وفي العام التالي ٤٠٥ هـ كررت هذه الأوامر القاسية وشدت في تنفيذها. وعانت النساء هذه الشدة زهاء سبعة أعوام حتى وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ. (انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ١٢٩ - ١٣٥ عن الأنطاكي، وابن خلكان، والمقرئ في الخطط واتعاظ الخنفا، وابن الأثير).

(٣) في الأصل: «الحسن بن محمد بن الحسن». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمال والذهبي.

(٤) في الأصل: «وكذلك سنة ست» والتصويب عن المؤلف نفسه، فقد ذكر في حوادث سنة ٤٠٥ هـ أن أبا الحسن هذا حج بالناس، وذكر في حوادث سنة ٤٠٦ هـ أنه لم يحج أحد من العراق.

فيها من الكفار نحو من مائة ألف، ودامت الحرب بينهم أياماً، ثم انتصر المسلمون (أعني الترك) والله الحمد.

وفيها استولى الحاكم على حلب وزال مُلك بني حَمْدان منها.

وفيها توفي إبراهيم بن عبد الله بن حصن، أبو إسحاق الغافقي محتسب دمشق من قبل الحاكم؛ وكان شهماً في الحسبة؛ أدب رجلاً، فلما ضربه درة، قال المضروب: هذه في قفا أبي بكر؛ فلما ضربه أخرى قال: هذه في قفا عمر؛ فضربه أخرى فقال: هذه في قفا عثمان؛ ثم ضربه أخرى فسكت. فقال له الغافقي: أنت ما تعرف ترتيب الصحابة، أنا أعرفك، وأفضلهم أهل بدر، لأصفعنك على عددهم فصفعه ثلاثمائة وست عشرة درة؛ فحُبل من بين يديه فمات بعد أيام. قلت: إلى سقر. وبلغ الحاكم ذلك، فأرسل يشكره ويقول: هذا جزاء من يتقص السلف الصالح. قلت: لعل هذه الواقعة كانت صادفت من الحاكم أيام صلاحه وإظهاره الزهد والتفقه.

وفيها توفي الحسين بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله؛ كان زاهداً عابداً لا ينাম إلا عن غلبة؛ وكان لا يدخل الحمام، ويأكل خبز الشعير؛ ومات في شعبان.

وفيها توفي علي بن سعيد الإصطخري أحد شيوخ المعتزلة؛ صنف للقادر «الرد على الباطنية» وأجرى عليه القادر جرامة سنية وجبها من بعده على بنيه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة التاسعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة خمس وأربعمائة.

فيها منع الحاكم النساء من الخروج من بيوتهن، وقتل بسبب ذلك عدة نِسوة^(١).

(١) راجع ص ٢٣٥ من هذا الجزء، حاشية (٢).

وفيهما جلس الخليفة القادر ببغداد وأحضر العلويين والعباسيين والقضاة، وأحضر الخلع السلطانية ماعدا التاج ولواءً واحداً، وقرئ عهد أبي طاهر ركن الدين بن بهاء الدولة، ولقبه بجلال الدولة وجمال الملة ركن الدين. قلت: وهذا أول لقب سمعناه في الإسلام (أعني ركن الدين). ولا أدري متى لُقّب به ابن بهاء الدولة المذكور، غير أنني سمعت من بعض علماء العجم أنّ ابن بهاء الدولة المذكور مشى بين يدي الخليفة القادر، فقال له الخليفة: أركب ركن الدين؛ فسُمّي بذلك. والله أعلم.

وفيهما حجّ بالناس من العراق أبو الحسن محمد بن الحسن العلوي الأقساسي^(١).

وفيهما توفي بدر بن حسنويه بن الحسين، أبو النجم الكردي؛ كان من أهل الجبال، وولاه عضد الدولة الجبال وهمذان ودينور ونهاوند وسابور وتلك النواحي بعد وفاة أبيه حسنويه. وكان شجاعاً عادلاً كثير الصدقات. والخليفة القادر كناه أبا النجم، ولقبه ناصر الدولة، وعقد له لواء بيده.

وفيهما توفي بكر بن شاذان بن بكر، أبو القاسم المقرئ الواعظ البغدادي؛ قرأ القرآن، وسمع الحديث، وكان عابداً زاهداً؛ وكانت وفاته في شوال.

وفيهما توفي عبد الله بن محمد بن عبد الله، أبو محمد بن الأكفاني الحنفي القاضي الأسدي؛ كان عالماً ديناً؛ وُلِدَ سنة ست عشرة وثلاثمائة. قال أبو إسحاق الطبري: مَنْ قال: إن أحداً أنفق على العلم مائة ألف دينار غير أبي محمد [بن] الأكفاني فقد كذب. قلت: هذا هو العلم الخالص لوجه الله تعالى.

وفيهما توفي عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، الحافظ أبوسعيد؛ كان أبوه من إستراباد وسكن سمرقند وصنّف «تاريخ سمرقند» وعرضه على الدارقطني فاستحسنه، وكان ثقة.

(١) هذه النسبة إلى «الأقساس» وهي قرية كبيرة بالكوفة. (أنساب السمعاني).

وفيهما توفي عبد السلام بن الحسين بن محمد، أبو أحمد البصري اللغوي؛ كان رجلاً فاضلاً عارفاً بالقرآن سَمَحاً جواداً.

وفيهما توفي عبد العزيز بن عمرو^(١) بن محمد بن يحيى بن حميد بن نباتة (ونباتة بضم النون)^(٢) أبو نصر البغدادي؛ كان من الشعراء المجيدين؛ مات ببغداد في شوال. ومن شعره: [الكامل]

وإذا عجزتَ من العدو فدارِهِ وأمزج^(٣) له إنَّ المزاجِ وفاقُ
فالنار بالماء الذي هو ضدّها تُعْطِي النضاجَ وطبْعُها الإحراقُ

وفيهما توفي عبد الغفار^(٤) بن عبد الرحمن أبوبكر الدينوري؛ لم يكن ببغداد مُفْتً على مذهب سفيان الثوري غيره، وهو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثوري. قلت: لعل ذلك كان بالشرق، وأمّا بالغرب فدام مذهب الثوري بعد هذا التاريخ عدّة سنين. كان عبد الغفار عالماً فاضلاً مناظراً، ومات في شوال.

وفيهما توفي محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم، الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ويعرف بأبن البيّص، الضبيّ؛ وُلد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة؛ كان أحد أركان الإسلام، وسيدّ المحدثين وإمامهم في وقته والمرجوع إليه في هذا الشأن؛ رحل [إلى] البلاد، وصنّف الكتب، وسمع الكثير، ورَوَى عنه الجَمّ الغفير، ومات في صفر.

وفيهما توفي هبة الله بن عيسى، كاتب مهذّب^(٥) الدولة البطائحي ووزيره؛ كان فاضلاً راوية للأخبار وشاعراً فصيحاً.

(١) كذا أيضاً في شذرات الذهب والذهبي. وفي تاريخ بغداد والمنظّم وابن خلكان والبدایة والنهاية: «عمر».

(٢) في الأصل: «بضم التاء المثناة من فوقها».

(٣) كذا أيضاً في المنظّم وعقد الجمان والبدایة والنهاية. وفي تاريخ بغداد: «وامزج له إن المزاج...» بالخاء المهملة في الموضعين.

(٤) في الأصل: «عبد الغافر». وما أثبتناه عن عقد الجمان والمنظّم.

(٥) في الأصل: «محمد الدولة». والتصحيح عن ابن الأثير والمنظّم.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ستّ وأربعمائة.

فيها منع فخر الملك^(١) يوم عاشوراء من النوح مخافة الفتنة؛ وكان الشريف الرضي قد توفي في خامس المحرم فاشتغلوا به؛ وكان قد وقع بالعراق وباء عظيم خصوصاً بالبصرة. وفي صفر قُتل الشريف المرتضى نقابة الطالبين والحجّ والمظالم بعد موت أخيه الشريف الرضي بإشارة سلطان الدولة فخر الملك.

وفيها ولّى الحاكم شاتكين^(٢) شهم الدولة دمشق، وعزله سنة ثمان.

وفيها لم يحج أحد من العراق، وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الاسفرايني الفقيه الشافعي؛ كان إماماً فقيهاً عالماً؛ إنتهت إليه رئاسة مذهب الشافعي في زمانه. كان يقال: لوراه الشافعي لفريح به. وكان يتوسط بين الخليفة القادر وبين السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين. ومات ليلة السبت لإحدى عشرة^(٣) ليلة بقيت من شوال.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الشريف أبو الحسن الرضي الموسوي؛ ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. كان

(١) في الأصل: «فخر الدولة» والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وابن الأثير والبداية والنهاية. وكانت قد وقعت فتنة فعلاً بين أهل الكرخ من الشيعة وبين أهل باب الشعر من السنة. فهاجم أهل الكرخ خصوصهم وانتهبوا دور عدد منهم، فأنكر فخر الملك ذلك ومنعهم من إقامة النوح وتعليق المسوح. (ابن الأثير).

(٢) كذا في الأصل. وفي عقد الجمان: «ساتكين سهم الدولة» بسين مهملة في الموضعين. وفي معجم زامباور: «شهم - أو شمس - الدولة شاهتكين».

(٣) كذا في المنتظم وعقد الجمان. وفي الأصل: «ليلة السبت حادي عشر شوال».

عارفاً باللغة والفرائض والفقه والنحو؛ وكان شاعراً فصيحاً، عالي الهمة متديناً، إلا أنه كان على مذهب القوم إماماً للشيعة هو وأبوه وأخوه. ومن شعره من جملة أبيات: [البسيط]

يا صاحبي قفا لي وأقضيًا وطراً وحدّثاني عن نجدٍ بأخبارِ
هل رَوّضت قاعة الوعساء^(١) أومطّرتُ خَمِيلَةُ الطَّلح ذات البان والغارِ
تضوعُ أرواح نجدٍ من ثيابهم عند القدوم لقُرب العهد بالدارِ

وفيها توفي محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر الأصبهانيّ الفقيه المتكلم؛ كان إماماً عالمًا؛ أُستدعي إلى نيسابور وتخرّج به جماعة في الأصول والكلام، وله فيهما تصانيف. وكان رجلاً صالحاً؛ سمع الحديث، وروى عنه أبو بكر البيهقي^(٢) وأبو القاسم القشيري^(٣) وغيرهما. قتله محمود بن سُبُكْتِكِين بالسّم لكونه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً في حياته فقط، وإنّ روحه قد بطل وتلاشى، وليس هو في الجنة عند الله تعالى (يعني روحه) صلى الله عليه وسلم.

وفيها كان الطاعون العظيم بالبصرة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الحادية والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة سبع وأربعمئة:

فيها وقعت القبة الكبيرة التي على الصخرة بيت المقدس.

وفيها كانت الفتنة بين الرافضة وأهل السنة بواسط، ونُهب دور الشيعة

(١) الوعساء: موضع بين الثعلبية والخزمية على جادة الحاج (معجم البلدان).

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. من أئمة الحديث.

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، زين الإسلام، أبو القاسم القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ. شيخ خراسان في عصره.

والعلويين، وقصدوا علي بن مَزِيد^(١) وأستنصروا به.

وفيها أحترق مشهد الحسين بن علي بكربلاء من شمعتين غفلوا عنهما.

وفيها في أولها تشعب^(٢) الركن اليماني من البيت الحرام.

وفيها كانت الواقعة بين سلطان الدولة وبين أخيه أبي الفوارس، وأنهزم أبو الفوارس.

وفيها ملك السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين خُوَارَزْم.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن دُوسْت، أبو عبد الله؛ كان حافظاً متقناً؛ مات في شهر رمضان.

وفيها توفي سليمان بن الحكم الأموي المغربي صاحب الأندلس. وثب عليه رجلان آدعياً أنهما من الأشراف وتغلبا على الأندلس. وكانت مدة ولاية سليمان هذا على الأندلس ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. وأنقطعت بموته ولاية بني أمية على الأندلس سبع سنين وثمانية أشهر وأياماً، ثم عادت سنة أربع عشرة وأربعمائة.

وفيها توفي محمد بن علي بن خلف، أبو غالب الوزير فخر الملك. أصله من واسط، وكان أبوه صيرفياً؛ فتنقلت به الأيام إلى أن استوزره بهاء الدولة، وبعثه نائباً عنه إلى بغداد. وكان جواداً ممدحاً. أثر ببغداد الآثار الجميلة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

(١) في الأصل: «علي بن يزيد». وهو تحريف. راجع ص ٢٢١، حاشية (١).

(٢) في البداية والنهاية وابن الأثير: «تشعبت». وكلاهما بنفس المعنى. أي تصدعت.

السنة الثانية والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثمانٍ وأربعمائة:

فيها عزل الحاكم شاتكين^(١) من إمرة دمشق؛ وكان ظالماً غشوماً؛ وهو الذي بنى جسرَ الحديد تحت قلعة دمشق؛ وآتفق أن يوم فراغ الجسر [قال]^(٢): لا يعبرُ غداً أحدٌ عليه. فلما أصبح جلس على الباب ينظر إليه وقد عزم على أن يكون أول من يركب ويعبر عليه، وإذا بفارس قد أقبل فعبر عليه؛ فأنكره وقال: من أين؟ قال: من مصر؛ وناوله كتاباً من الحاكم بعزله. فقال بعض أهل دمشق: [الرملة - مجزوء]

عَقَدَ الْجَسَرَ وَقَدْ حَلَّ عُرَاهُ بِيَدَيْهِ
مَا دَرَى أَنْ عَلَيْهِ يَعْبُرُ الْعِزْلُ إِلَيْهِ

ولم يحجَّ أحد في هذه السنين إلى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة؛ أعني من العراق.

وفيها توفي شباشي^(٣) المشطَب؛ ولقبه السعيد وكنيته أبو طاهر^(٤)، مولى شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه. ولقبه بهاء الدولة بالسعيد وذو الفضيلتين، ثم لقّب بهاء الدولة أبا الهيجاء بختكين^(٥) بالمناصح، وأشرك بينهما في أمور الأتراك ببغداد. وكان السعيد هذا كثير الصدقات فائض المعروف والإحسان لأهل بغداد؛ كان يكسو الأيتام والضعفاء وينظر في حال الفقراء؛ وكان من محاسن الدنيا؛ وعاش بعد المناصح رفيقه ستة أشهر ومات. وكان رفيقه المناصح أيضاً من رجال الدهر وعقلائهم ومن أعلاهم همة، ولم يخلف بعده مثله.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الفتح الطرسوسي المجاهد في سبيل الله؛ استوطن بيت المقدس بنية الرباط، وتوفي به.

(١) راجع ص ٢٣٩، حاشية (٢).

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب، عن مرآة الزمان.

(٣) كذا أيضاً في البداية والنهاية والمنظم. وفي ابن الأثير: «سباشي» بالسين المهملة.

(٤) في البداية والنهاية: «أبونصر».

(٥) في الأصل: «بختكين» وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً
وست عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسع وأربعمائة:
فيها توفي عبد الله [بن محمد]^(١) بن أبي علان، أبو محمد^(٢) قاضي الأهواز
وأحد شيوخ المعتزلة؛ كان فاضلاً؛ صنف الكتب الكثيرة في علم الكلام وغيره.
ومن جملة تصانيفه: كتاب جَمَعَ فيه فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر له فيه
ألف معجزة؛ وكان له مال عظيم وضياع كثيرة.

وفيها توفي عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن
عبد العزيز بن مروان، الحافظ أبو محمد المصري المحدث المشهور؛ مولده في
ثاني ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة؛ وسمع الكثير، وبرع في علم
الحديث، وصنف الكتب: منها كتاب «المؤتلف والمختلف»، وكان عالماً بأسامي
الرجال وعلل الحديث. وكان الدارقطني يعظمه ويقول: ما رأيتُ في طريقي مثله،
ما اجتمعت به وأنفصلت منه إلا بفائدة. ومات بمصر في شوال.

وفيها توفي علي بن نصر، أبو الحسن مهذب الدولة صاحب البطيحة^(٣)؛ كان
جواداً ممدحاً صاحب ذمة ووفاء؛ وهو الذي استجار به القادر بالله قبل أن يتخلف،
فأجاره ومنع الطائع منه، وقام في خدمته أحسن قيام.

وفيها توفي محمد بن الحسين، أبو عبد الله العلوي، ولّاه الحاكم القضاء
والنقابة والخطابة بدمشق، وكان في القضاء قبل ذلك نائباً عن مالك بن سعيد
أبن أخت الفارقي قاضي قضاة الحاكم؛ وكانت وفاته بدمشق في شهر رمضان.

(١) زيادة عن البداية والنهاية.

(٢) في البداية والنهاية: «أبو أحمد».

(٣) أرض واسعة بين واسط والبصرة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثمانى أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصباعاً.

* * *

السنة الرابعة والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة عشر وأربعمائة:

فيها جلس الخليفة القادر بالله ببغداد، وحضر القضاة وكتب عهد أبي الفوارس بن بهاء الدولة على كِرْمان وأعمالها، وبعث إليه بالخلع السلطانية على العادة.

وفيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين على الخليفة القادر بما فتحه من بلاد الهند وما وصل إليه من غنائمهم.

وفيها توفي إبراهيم بن مَخْلَد بن جعفر بن إسحاق، أبو إسحاق البَاقَرَجِيّ؛ كان محدثاً صدوقاً جيد النقل حسن الضبط، من أهل الديانة والعلم والأدب؛ وكان يتفقه على مذهب محمد بن جرير الطبري.

وفيها توفي محمد بن المظفر بن عبد الله، أبو الحسن المعدّل^(١)؛ كان فاضلاً شاعراً؛ مات ببغداد في جُمادى الأولى.

وفيها توفي هبة الله بن سلامة، أبو القاسم الضرير البغدادي؛ كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن؛ وسمع الحديث ورواه؛ وكان ثقة صالحاً.

وفيها توفي أحمد بن موسى بن مِرْدَوِيه، الحافظ أبو بكر الأصبهاني في شهر رمضان؛ قاله الذهبي. وكان إماماً حافظاً ثقة سمع الكثير، وروى عنه جماعة.

وفيها توفي عبد الواحد بن محمد بن [عبد الله بن محمد بن]^(٢) مهدي،

(١) في الأصل: «العدل». وما أثبتناه عن تاريخ بغداد والذهبي والمتنظم وعقد الجمان.

(٢) زيادة عن تاريخ بغداد والذهبي.

الحافظ أبو عمر^(١) الفارسيّ البزاز في شهر رجب عن إحدى وتسعين سنة وأشهر؛ وكان إماماً فقيهاً محدثاً ثقة من كبار المشايخ.

وفيهما توفيّ عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك، أبو القاسم، الشاعر المشهور، أحد الشعراء المجيدين الكثيرين؛ وديوانه في ثلاثة مجلدات. ومن شعره بيت من جملة قصيدة في غاية الرقة: [الوافر]

ومرّ بي النسيم فرقاً حتّى كأنّي قد شكوتُ إليه ما بي

ومات ببغداد. و«بابك» بفتح الباءين الموحدين وبينهما ألف وفي الآخر كاف.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعاً
وثماني أصابع.

* * *

السنة الخامسة والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي التي مات فيها الحاكم حسب ما ذكرناه في ترجمته.

والسنة المذكورة سنة إحدى عشرة وأربعمئة:

فيها توفيّ محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الفرج الدمشقيّ، ويعرف بابن المعلّم؛ وهو الذي بنى الكهف بقاسيُون^(٢)، ويقال له كهف جبريل، وفيه المغارة التي يقال: إنّ الملائكة عزّت آدم عليه السلام فيها لمّا قتل قابيل هابيل. وكان محمد هذا شيخاً صالحاً زاهداً عابداً؛ مات في شهر رجب، ودُفن بمقبرة الكهف.

(١) في الأصل: «أبو عمرو» وما أثبتناه عما سبق.

(٢) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق.

وفيهما توفي الحسن بن الحسن بن علي بن المنذر، أبو القاسم؛ كان إماماً فاضلاً محدثاً؛ ومات ببغداد في هذه السنة.

وممن ذكر الذهبي وفاتهم، قال: وتوفي أبو نصر أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون النُريسي^(١)، والحاكم منصور بن العزيز العبيدي صاحب مصر (يعني صاحب الترجمة)، وأبو القاسم الحسن بن الحسن بن علي بن المنذر ببغداد، وأبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ببلخ. انتهى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

(١) في الأصل: «المريسي» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ بغداد والذهبي والسمعاني. وهذه النسبة إلى «النُرس» وهو نهر من أنهار الكوفة.

ذكر ولاية الظاهر^(١) على مصر

هو الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم، وقيل: أبو الحسن، عليّ بن الحاكم بأمر الله أبي عليّ منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله معذّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهديّ عبيد الله العبيديّ الفاطميّ المغربيّ الأصل، المصريّ المولد والمنشأ والوفاء، الرابع من خلفاء مصر من بني عبيد والسابع من المهديّ. مولده بالقاهرة في ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة؛ وولي الخلافة بعد قتل أبيه الحاكم في شوال من سنة إحدى عشرة وأربعمئة، حسب ما ذكرناه مفصلاً في أواخر ترجمة أبيه الحاكم، وقيام عمته ستّ الملك في أمره.

وقال صاحب مرآة الزمان: «ولي الخلافة في يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربعمئة، وله ستّ عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيّام وثمّ أمره».

ووافقه على ذلك القاضي شمس الدين بن خلكان، لكنّه قال: «وكانت ولايته بعد أبيه بمدة، لأنّ أباه فقّد في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمئة، وكان الناس يرجون ظهوره، ويتبعون آثاره إلى أن تحقّقوا [عدمه]^(٢)، فأقاموا ولده المذكور في يوم النحر». انتهى كلام ابن خلكان.

وقال أبو المظفر في المرأة: وملك الظاهر لإعزاز دين الله سائر ممالك والده،

(١) انظر ترجمته وأخباره في: اتعاظ الحنفا: ٢٧١ - ٢٧٧، وخطط المقرئ: ٢٥٤/١، وابن خلكان:

٤٠٧/٣، وشذرات الذهب: ٢٣١/٣، والمتنظم: ٩٠/٨، وابن خلدون: ٦١/٤، وابن الأثير:

١٣١/٨ وما بعدها، وبدائع الزهور: ٢١١/١/١، وغيرها من مصادر التاريخ الإسلامي العام.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

مثل الشام والثغور وإفريقية، وقامت عمته ست الملك بتدبير مملكته أحسن قيام، وبذلت العطاء في الجند وساست الناس أحسن سياسة. وكان الظاهر لإعزاز دين الله عاقلاً سَمَحاً جواداً يميل إلى دين وعفة وحلم مع تواضع. أزال الرسوم التي جردها أبوه الحاكم إلى خير، وعدل في الرعية وأحسن السيرة، وأعطى الجند والقواد الأموال، وأستقام له الأمر مدة؛ وولّى نوابه بالبلاد الشامية، إلى أن خرج عليه صالح بن مردّاس الكلابيّ وقصد حلب وبها مرتضى الدولة أبو[نصر بن] (١) لؤلؤ الحمدانيّ نيابة عن الظاهر هذا؛ فحاصرها صالح المذكور إلى أن أخذها. ثم تغلب حسّان بن المفرج [بن دَغَل] (٢) البدويّ صاحب الرملة على أكثر الشام؛ وتضعضت دولة الظاهر. وأستوزر الوزير نجيب الدولة عليّ بن أحمد الجرجرائيّ. وكان الوزير هذا من بيت حشمة ورياسة، وكان أقطع اليدين من المرفقين، قطعهما الحاكم بأمر الله في سنة أربع وأربعمئة؛ وكان يكتب عنه العلامة القاضي أبو عبد الله القُضاعيّ، وكانت العلامة (٣) «الحمد لله شكراً لنعمته». ولم يظهر أمر هذا الوزير إلا بعد موت عمّة الظاهر ستّ الملك بعد سنة خمس عشرة وأربعمئة (٤). وكان الظاهر لإعزاز دين الله كثير الصدقات منصفاً من نفسه، لا يدعي دعاوى والده وجده في معرفة النجوم وغيرها من الأشياء المنكرة، لا سيما لما وقع من بعض حجاج المصريين كسر الحجر الأسود بالبيت الحرام في سنة ثلاث عشرة وأربعمئة. وكان أمر الحجر أنّه لما وصل الحاجّ المصريّ إلى مكّة المشرفة، وثب

(١) زيادة عن ابن الأثير.

(٢) زيادة عن ابن الأثير.

(٣) أي توقيعه.

(٤) تولى الوزارة للظاهر في ١٢ من ذي الحجة سنة ٤١٨ هـ، وسيطر على الدولة سيطرة كاملة، إذ كان أول وزير بعد سلسلة طويلة من الوسطاء بدأت منذ وفاة ابن كلّس. وعندما توفي الظاهر سنة ٤٢٧ هـ تولى الجرجرائيّ أخذ البيعة للمستنصر، وكان ابن ثمان سنين، فزاد نفوذ الوزير واستطاع أن يجد من أطماع المستنصر وتطلعها للاستحواذ على السلطان. كما أعاد النظام إلى الشام، ودير أمور الدولة المالية، حتى إنه عندما مات كان الموجود في بيت المال أكثر من مليون وسبعمائة ألف دينار. وتوفي الجرجرائيّ يوم الأربعاء السادس من رمضان سنة ٤٣٦ هـ، وكانت مدة وزارته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً. (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٥٣).

شخص من الحاجّ إلى الحجر الأسود وهو مكانه من البيت الحرام، وضربه بـدُبُوس كان في يده حتى شعثه وكسر قطعاً منه، وعاجله الناس فقتلوه؛ وثار المكيون بالمصريين فقتلوا منهم جماعة ونهبوهم، حتى ركب أبو الفتوح الحسن بن جعفر فأطفأ الفتنة ودفع عن المصريين. وقيل: إنّ الرجل الذي فعل ذلك كان من الجهال الذين استغواهم الحاكم وأفسد عقائدهم. فلما بلغ الظاهر ذلك شقّ عليه وكتب كتاباً في هذا المعنى.

قال هلال بن الصابیء: «وجدت كتاباً كُتِبَ من مصر في سنة أربع عشرة وأربعمائة على لسان المصريين، وهو كتاب طويل، فمنه: «ذهبت طائفة من النصيرية^(١) إلى الغلو^(٢)» في أبينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، غلت وآدعت فيه ما آدعت النصارى في المسيح. ونجمت من هؤلاء الكفرة فرقة سخيقة العقول ضالّة بجهلها عن سواء السبيل؛ فغلّوا فينا غلوّاً كبيراً، وقالوا في آبائنا وأجدادنا مُنْكَراً من القول وزوراً؛ ونسبونا بغلّوهم الأشنع، وجعلهم المُستَفْظع، إلى ما لا يليق بنا ذكره. وإنا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة الضالّ^(٣). ونسأل الله أن يُحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد^(٤) قواعده وتمكينه، والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفى، وأبونا عليّ المرتضى، وأسلافنا البررة أعلام الهدى. وقد علّمت يا معشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر

(١) في الأصل: «البصرية» وهو تحريف.

والنصيرية: هم أتباع نصير، غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويدّعون ألوهية عليّ. ويزعمون أن مسكن عليّ السحاب، وإذا مرّ بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن. وهم يقولون إن سلمان الفارسي رسوله، ويحبون ابن ملجم ويقولون إنه خلّص اللاهوت من الناسوت. ولهم خطاب بينهم، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم. وهم طائفة مجوسية المعتقد، لا تحرم البنات ولا الأخوات، ولهم اعتقاد في تعظيم الخمر. (صبح الأعشى: ٢٥٣/١٣، والتعريف بالمصطلح الشريف: ١٩٧ - طبعة دار الكتب العلمية). والظاهر أن النصيرية يرجعون في الأصل إلى نفس الدعوة السرية التي اشتق منها مذهب الدرّوز. وما يزال منهم اليوم بقية في اللاذقية وطرابلس وحماة ودمشق. وهذا النصّ الوثيقة الذي بين أيدينا يلقى الضوء على بعض معتقداتهم وأصولها.

(٢) في الأصل: «إلى العلوية ففي أبينا...».

(٣) في الأصل: «الضلالة». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٤) في الأصل: «وتطويل» والتصحيح عما سبق.

هؤلاء الكفرة الفُسَّاق، والفجرة المُرَّاق؛ وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرق؛ فظعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين. وكان من جملة من دعاه الخوف منهم إلى الانتزاح رجل من أهل البصرة أهوج أثول^(١)، ضالّ مضلّ، سار مع الحجيج إلى مكة - حرسها الله - فرقلاً^(٢) من وقع الحسام، وتسترّ بالحجّ إلى بيت الله الحرام. فلما حصل في البيت المفضل المعظم، والمحل المقدّس^(٣) المكرّم، أعلن بالكفر، وما كان يُخفيه من المكر، وحمله [لَمَمٌ في عقله]^(٤) على قصد الحجر الأسود حتّى قصده وضربه بدُبُّوس ضربات متواليات، أطارت منه شظايا وُصِلت بعد ذلك. ثم إن هذا الكافر عُوجِل بالقتل على أسوأ حاله وأضلّ أعماله، وألحق بأمثاله من الكفرة الواردين موارد ضلاله؛ ذلك لهم خِزْي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ولعمري إنّ هذه لمصيبة في الإسلام قادحة، ونكاية فادحة؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. لقد آرتقى هذا الملعون مُرتقى عظيماً، ومقاماً جسيماً، أذكر به ما كان أقدم عليه غلام ثَقِيف المعروف بالحجّاج - لعنه الله - من إحراق البيت وهدمه، وإزالة بنيانه وردمه». ثم ذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى يطول الشرح في ذكره». انتهى كلام ابن الصابىء.

وروى ابن ناصر بإسناد إلى أبي عبد الله محمد بن عليّ العلويّ، قال: «وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة كُسِر الحجر الأسود لما صَلَّيت الجمعة يوم النُّفَر الأوّل بِمَنَى، ولم يكن رجع الناس بعدُ من مِنَى؛ قام رجل ممن ورد من ناحية مصر بيده سيف مسلول وبالأخرى دُبُّوس، بعدما قضى الإمام الصلاة، فقصد الحجر الأسود ليستلمه على الرسم، فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متواليات بالدُبُّوس، وقال: «إلى متى يعبد الحجر! ولا محمد ولا عليّ يقدران على منعي عما أفعله، إني أريد أن أهدم هذا البيت وأرفعه». فأتقاه الحاضرون وتراجعوا عنه، وكاد يفلت. وكان

(١) أي عليه بواذر الجنون.

(٢) في الأصل: «من قاصد وقع الحسام وسير الحج» والتصحيح عما سبق.

(٣) في الأصل: «المقدم» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب.

(٤) زيادة من المرجع السابق.

رجلاً تامَّ القامة أحمر اللون أشقر الشعر سميناً، وكان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه؛ فأحتسب رجل من أهل اليمن أو من أهل مكة أو غيرها نفسه، فوجَّاه بخنجر واحتوشه^(١) الناس فقتلوه، وقطعوه وأحرقوه بالنار، وثارَت الفتنة؛ فكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين غير ما أخفي منهم. وتقتسَّر بعض وجه الحجر في وسطه من تلك الضربات وتخشَّن. وزعم بعض الحجاج أنه سقط منه ثلاث قطع، وكأنه ثقب ثلاثة ثقب، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار؛ وموضع الكسر أَسمر يضرب إلى صفرة، محبَّب مثل الخشخاش. فجمع بنوشية ما تفرَّق منه وعجنوه بالمسك، وحشَّوا تلك المواضع وطلوها بطلاء من اللُّك^(٢)، فهو يَبِين لمن تأمله، وهو على حاله إلى اليوم». انتهى.

ثم بعد هذه الواقعة بلغ الظاهر هذا أنَّ السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين عَظُم أمره، فأحبَّ أن يكتب إليه كتاباً يدعوه إلى طاعته؛ فكتب إليه وأرسل إليه بالخَلْع، وأن يُخطب باسمه بتلك البلاد. وكان أبوه الحاكم بأمر الله أرسل إليه قبل ذلك، فحرق محمود بن سُبُكْتِكِين كتاب الحاكم وبصق فيه؛ ومات الحاكم وفي قلبه من ذلك أمور، وقد ذكرنا ذلك في ترجمته. فلما علِم الظاهر هذا بما كان والده الحاكم عزم عليه من أمر محمود المذكور أخذ هو أيضاً في ذلك، وكاتب السلطان محموداً؛ فلم يلتفت محمود لكتابه، وبعث به وبالخَلْع إلى الخليفة القادر العباسي، وتبرأ من الظاهر هذا. فجمع القادر القضاة والأشراف والجند وغيرهم ببغداد، وأخرج الخلع إلى باب النوبي، وكانت سبع جيب وفرجية ومركب ذهب، وأضرمت النار وألقيت الثياب فيها، وسبك المركب الذهب، فظهر منه أربعون ألف دينار وخمسمائة، وقيل: أخرج منه دراهم هذا العدد؛ فتصدَّق بها الخليفة القادر على ضُعفاء بني هاشم. وبلغ الظاهر فقامت قيامته، وأنكفَّ عن مكاتبة محمود بعدها.

(١) احتوشه الناس: أي أحاطوا به وجعلوه وسطهم. ووجأ: ضرب.

(٢) اللُّك: صبغ أحمر تفرزه بعض الحشرات على بعض الأشجار - خاصة في جزر الهند الشرقية - ويذاب في الكحول فيكون منه دهان للخشب. (المعجم الوسيط) ويعرف اللُّك في التجارة باسم: حلكة. ويستعمل لتغطية سطوح الخشب، ووريشاً كحولياً، وللتقسية، وفي العوازل الكهربائية. (الموسوعة العربية الميسرة).

وكان الظاهر ينظر في مصالح الرعيّة بنفسه وفي إصلاح البلاد. فلَمّا وقع الفناء في ذوات^(١) الأربع في سنة سبع عشرة وأربعمائة، منع الظاهر من ذبح البقر السليمة من العيوب التي تصلح للحَرْث وغيره، وكُتِبَ على لسانه كتاب قرىء على الناس، فمِنه: «إن الله تعالى بتتابع نعمته وبإلغ حكمته، خلق ضروب الأنعام، وعَمِلَ فيها منافع الأنعام؛ فوجب أن تُحمى البقر المخصوصة بعمارة الأرض، المذَلَّة لمصالح الخلق؛ فإنّ في ذبحها غاية الفساد، وإضراراً للعباد والبلاد». وأباح ذبح ما لا يصلح للعمل ولا يحصل به النفع. فمِنع الناس ذبح البقر. وحصل بذلك النفع التام.

ومات في أيام الظاهر المذكور مبارك الأنماطيّ البغداديّ التاجر؛ وكان له مال عظيم، وكان قد خرج من بغداد إلى مصر فتُوفِّيَ بها في سنة سبع عشرة وأربعمائة، وكان معه ثلاثمائة ألف دينار. فقال الظاهر: هل له وارث؟ فقيل: ما له سوى بنت ببغداد؛ فترك الظاهر المال كلّهُ للبنت ولم يأخذ منه شيئاً.

وفي سنة عشرين وأربعمائة خرج على الظاهر بالبلاد الشاميّة صالح^(٢) بن مرداس أسد الدولة وحسان^(٣) بن المفرج بن الجراح، وجمعا الجموع وأستوليا على الأعمال، وأنتهيا إلى غَزّة. فجهز الظاهر لحربهما جيشاً عليه القائد أنوشتكين منتخَب الدولة التركيّ أمير الجيوش المعروف بالذّزيري^(٤)، فالتقى معهما؛ فانهزم

(١) في الأصل: «في ذوي الأربع».

(٢) صالح بن مرداس الكلابي، أول ملوك بني مرداس المملكين لحلب.

(٣) حسان بن المقرج بن الجراح الطائي. أحد أسرة بني جراح من قبيلة طيء اليمنية الذين استقروا في فلسطين. كان لهم دور في الحياة السياسية في الشام في نهاية القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس، ولكنهم لم يستطيعوا إطلاقاً أن يؤسسوا دولة ولا أن تكون لهم عاصمة إلا لفترة قصيرة جداً في الرملة. وتولى حسان بن الجراح في سنة ٤٠٤ هـ، وكون بالاشتراك مع صالح بن مرداس وسنان بن البنا حلفاء ليستقلوا بالشام عن الدولة الفاطمية، فتكون حلب لابن مرداس، ودمشق لسنان بن البنا، وفلسطين لابن الجراح. وطلبوا معاونة الامبراطور البيزنطي فلم يسعفهم. (أخبار مصر للمسبّحي: ص ٣٥، وتاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي: ص ٢٤٤).

(٤) الذزيري: (بكسر الدال المهملة والباء الموحدة وبينهما زاي وفي الآخر راء) نسبة إلى دزير بن أوتيم الديلمي. (ابن خلكان: ٤٨٧/٢).

حَسَّان بن المفرَج، وقُتِلَ صالح وابنه الأصغر. وبعث الدَّزْبِرِيُّ برأس صالح إلى الظاهر بمصر، وأفلت نصر بن صالح الأكبر إلى حلب. وأستولى الدَّزْبِرِيُّ على الشام ونزل على دِمَشق، وكتب إلى الظاهر كتاباً مضمونه النصر، ويعرفه فيه بما جرى؛ وكان بينه وبينهما ملحمة هائلة. ولما فرغ الدَّزْبِرِيُّ من القتال مدحه مظفر^(١) الدولة بن حَيَّوس بأبيات بسبب هذه الواقعة، أولها: [الكامل]

هل للخليط المستقل إيابُ	أم هل لأيام مضت أعقابُ
يا مَيَّ هل لدنوّ دارك رجعةُ	أم للعتاب لديكُم إعتابُ
لا أرتجي يوماً سلّوا عنكُم	هيهات سُدتْ دونه الأبواب
أو صاب جسمي من جناية بعدكُم	والصبر صبرٌ بعدكم أو صابُ
ولمصطفى الملك ^(٢) أعتزّام المصطفى	لَمَّا أحاط بيثرب الأحزابُ
يومان للإسلام عزّ لديهما	دين الإله وذلت الأعرابُ
طلبوا العقابَ ليسلموا بنفوسهم	فآبَتْزهم دون العقاب عِقابُ
وآستشعروا نصراً فكان عليهمُ	وتقطّعت دون الممراد رقابُ
كانوا حديداً في الوري ^(٣) لكنهمُ	لما أصطلّوا نارَ المظفر ذابوا

والقصيدة أطول من هذا، وكلّها على هذا النُموذج. ولَمَّا أنهزم شبل الدولة نصر بن صالح المذكور إلى حلب وملكها، طمع صاحب أنطاكية الرومي في حلب، وجمع الروم وسار إليها وأحاط بها وقاتل أهلها؛ فكبسه شبل الدولة نصر المذكور من داخلها ومعه أهل البلد فقتلوا معظم أصحابه؛ وأنهزم ملكهم صاحب

(١) في ابن خلكان وشذرات الذهب: «مصطفى الدولة». وذكر حسن الباشا في الألقاب الإسلامية أن «المظفر» كان لقباً للدزبري في ابتداء حكمه للشام.

وابن حَيَّوس: هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيَّوس، أحد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين. كان منقطعاً إلى بني مرداس أصحاب حلب، وله فيهم القصائد الأنيقة. توفي بحلب سنة ٤٧٣ هـ. (وفيات الأعيان: ٤/ ٤٣٨).

(٢) مصطفى الملك: من الألقاب التي زادها أنوشتكين الدزبري إلى ألقابه أثناء حكمه للشام في عهد الفاطميين. (الألقاب الإسلامية: ٤٧٢).

(٣) كذا بالأصل. وفي طبعة دار الكتب عن ديوانه: «في الوغى».

أنطاكية إليها في نفر يسير من أصحابه، وغنم نصر أموالهم وعساكرهم. وقيل: كبسه نصر المذكور على أعزاز^(١) فغنم منه أموالاً عظيمة. وسر الظاهر هذا بنصرة نصر لكون الإسلام يجمع بينهما.

وكان المتغلبون على البلاد في أيام الظاهر كثيرين جداً، وذلك لصغر سنه وضعف بدنه. ووقع له في أيامه خطوب قاساها إلى أن تُوفِّي بالقاهرة في يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وعمره إحدى وثلاثون سنة. وكانت ولايته على مصر ست عشرة سنة وتسعة أشهر. تولى الملك بعده ابنه أبو تميم معدّ، ولقب بالمستنصر وسنه ثمانين سنين؛ وقام عليّ بن أحمد الجرجريّ الوزير بالأمر، وأخذ له البيعة، وقرّر للجند أرزاقهم، واستقامت الأحوال. وكانت وفاة الظاهر بعلة الاستسقاء، طالت به نيّفاً وعشرين سنة من عمره.

قلت: ولهذا أشرنا أنه كان كثرةً من تغلب عليه لضعف بدنه وصغر سنه.

وكان الظاهر جواداً ممدحاً سَمحاً حليماً محبباً للرعية، ولا بأس به بالنسبة لأبائه وأجداده. وهو الذي بنى قصر اللؤلؤة^(٢) عند باب القنطرة، وهو من القصور المعدودة بالقاهرة، وصار يتنزّه به هو ومن جاء بعده من خلفاء مصر من ذريته وأقاربه، وكان التوصل إلى القصر من باب مراد^(٣)، وصار الخلفاء يقيمون به في أيام النيل. ودام أمر هذا القصر مستقيماً إلى أن وقع الغلاء بالديار المصرية في زمن المستنصر، وذهب من محاسن القاهرة شيء كثير من عظم الغلاء والوباء؛ كما سيأتي ذكره إن شاء الله في محله.

* * *

(١) راجع ص ١٢٣ من هذا الجزء، حاشية (٤).

(٢) راجع ص ٤٩ من هذا الجزء، حاشية (٣).

(٣) باب مراد: كان من أبواب القصر الصغير في سورة الغربي المشرف على البستان الكافوري، وهو من أبواب القصر الخاصة لا يفتح إلا للخليفة وأهله عند خروجهم إلى البستان الكافوري وإلى قصر اللؤلؤة. وكان موضع هذا الباب في عرض مدخل شارع سوق السمك الذي بالخرنفس لجهة الشرق من مدخل شارع خان أبو طاقية بقسم الجمالية. (م. رمزي). وانظر خطط المقريري: ٤٦٧/١.

السنة الأولى من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة أثنى عشرة وأربعمائة:

فيها وقع بين سلطان الدولة وبين مشرف الدولة بن بويه، وأستفحل في الآخر أمر مشرف الدولة، وخطب له ببغداد في المحرم، وخوطف بشاهنشاه مولى أمير المؤمنين، وقطعت الخطبة لسلطان الدولة من بغداد.

وفيها لم يحج أحد من العراقيين ولا في الماضية. فقصد الناس يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين وقالوا له: أنت سلطان الإسلام وأعظم ملوك الأرض، وفي كل سنة تفتح من بلاد الكفر ما تحبه، والثواب في فتح طريق الحج أعظم، وقد كان الأمير بدر بن حسنويه، وما في أمراك إلا من هو أكبر منه [شأناً] ^(١)، يسّر الحاج بماله وتديره عشرين سنة. فتقدم ابن سُبُكْتِكِين إلى قاضيه أبي محمد الناصحي ^(٢) بالتأهب للحج ونادى في أعمال خراسان بالحج، وأطلق للعرب ثلاثين ألف دينار سلمها إلى الناصحي المذكور غير ما للصدقات؛ فحج بالناس أبو الحسن الأقساسي. فلما بلغوا قيد ^(٣) حاصرتهم العرب؛ فبذل لهم القاضي الناصحي خمسة آلاف دينار؛ فلم يقنعوا وصمموا على أخذ الحاج؛ فركب رأسهم جماز ^(٤) بن عدي وقد انضم عليه ألفا رجل من بني نهبان، وأخذ بيده رمحاً وجال حول الحاج، وكان في السمرقنديين غلام يعرف بآبن عفان، فرماه بسهم فسقط منه ميتاً وهرب جمعه، وعاد الحاج في سلامة.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد، أبو سعد ^(٥) الماليني الصوفي الحافظ؛

(١) زيادة عن المتظم.

(٢) هو القاضي عبد الله بن الحسين، أبو محمد النيسابوري، قاضي القضاة بخراسان، وشيخ الحنفية في عصره. توفي سنة ٤٤٧ هـ. (الأعلام: ٧٩/٤).

(٣) قيد: ببلدية في نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان).

(٤) كذا في الأصل والبداية والنهاية. وفي المتظم وعقد الجمال: «جمار». وفي ابن الأثير: «جمار».

(٥) في الأصل والمتظم وعقد الجمال: «أبوسعيد». وما أثبتناه عن ابن الأثير والبداية والنهاية والسمعي وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ ومعجم البلدان. والماليني: نسبة إلى مالين، من قرى هراة.

سافر إلى الأقطار، وسمع خلقاً كثيراً، وصنّف وصحّب المشايخ؛ وكان يقال له طائوس الفقراء^(١).

وفيها توفي الحسن بن عليّ، أبو عليّ الدقاق النيسابوريّ، أحد المشايخ؛ كان صاحب حال ومقال. قال القُشَيْرِيّ: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول في قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «من تواضع لغنيّ لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه» قال: لأنّ المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا خدمه بأركانه وتواضع له بلسانه ذهب ثلثا دينه، فإنّ خدمه بقلبه ذهب الكلّ.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد، أبو الحسن بن رزقويه البغداديّ البرّازي؛ وُلد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ودرس الفقه، وسمع الحديث فأكثر؛ وكان ثقة صدوقاً كثير السماع حسن الاعتقاد جميل المذهب.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ النيسابوريّ، الحافظ الكبير، شيخ شيوخ الدنيا في زمانه؛ طاف الدنيا شرقاً وغرباً، ولقي الشيوخ الأبدال؛ وإليه المرجع في علوم الحقائق والسير وغيرها، وله المصنفات الحسان.

وفيها توفي محمد بن عمر، أبو بكر العنبريّ الشاعر؛ مات يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً
وثلاث أصابع.

* * *

(١) في الأصل: «الفقهاء». وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ.

السنة الثانية من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة:

فيها وقع الصلح بين سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه وبين أخيه مشرف الدولة على يد الأوحدي^(١) أبي محمد وزير سلطان الدولة، وخطب لسلطان الدولة ببغداد كما كان أولاً قبل الخلاف.

وفيها توفي علي بن عيسى بن سليمان، أبو الحسن القاضي المعروف بالسكري الفارسي؛ مولده في صفر ببغداد سنة سبع وثلاثمائة، كان فاضلاً عالماً. مات في شعبان رحمه الله.

وفيها توفي علي بن هلال، الإمام الأستاذ أبو الحسن، صاحب الخط المنسوب الفائق المعروف بابن البوّاب. كان أبوه ببوّاب لبني بويه، وقرأ هو القرآن وتفقه وفاق أهل عصره في الخط المنسوب، حتى شاع ذكره شرقاً وغرباً. ومن شعر أبي العلاء المعري من قصيدة: [الطويل]

ولاح هلالٌ مثلُ نون أجادها بماء النّصار الكاتبُ آبن هلالٍ

يعني بآبن هلال آبن البوّاب هذا. وقال هلال بن الصّابي: دخل أبو الحسن البّتي^(٢) دار فخر الملك^(٣)، فوجد آبن البوّاب هذا جالساً على عتبة الباب ينتظر خروج فخر الملك، فقال له: جلوس الأستاذ في العتّب، رعاية للنسب^(٤). فغضب آبن البوّاب وقال: لو كان لي الأمر ما مكنت مثلك من الدخول؛ فقال البّتي: حتى لا يترك الشيخُ صنعته. انتهى. وقد قال فيه بعضهم: [البسيط]

(١) عبارة ابن الأثير: «وكان الصلح بسعي من أبي محمد بن مكرم، ومؤيد الملك الرخحي وزير مشرف الدولة» أضاف: على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة، وفارس وكرمان لسلطان الدولة.

(٢) في الأصل: «الكتبي». والتصحيح عن ابن الأثير والمتنظم ومعجم البلدان وأنساب السمعاني. وهو أحمد بن علي، أبو الحسن البّتي. كان كاتباً للقادر بالله العباسي. وتوفي سنة ٤٠٥ هـ. ونسبته إلى البت، من أعمال بغداد.

(٣) في الأصل: «فخر الدولة». والتصحيح عن المتنظم.

(٤) في الأصل: «رعاية للمكسب» وهو تحريف. والتصحيح عن المتنظم. وهو هنا يعرض بأن أباه كان ببوّاباً.

هذا وأنت ابن بواب وذو عدم فكيف لو كنت رب الدار والمال

وفيها توفي محمد بن [محمد بن] ^(١) النعمان، أبو عبد الله، فقيه الشيعة وشيخ
الرافضة وعالمها ومصنف الكتب في مذهبها. قرأ عليه الرضي والمرتضى وغيرهما
من الرافضة؛ وكان له منزلة عند بني بويه وعند ملوك الأطراف الرافضة. قلت: كان
ضالاً مُضلاً هو ومن قرأ عليه ومن رفع منزلته؛ فإن الجميع كانوا يقعون في حق
الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين؛ عليهم من الله ما يستحقونه. ورثاه الشريف
المرتضى ^(٢)؛ ولوعاش أخوه لكان أمعن في ذلك، فإنهما كانا أيضاً من كبار
الرافضة. وقد تكلم أيضاً في بني بويه أنهم كانوا يميلون إلى هذا المذهب الخبيث؛
ولهذا نفرت القلوب منهم، وزال ملكهم بعد تشييده.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً
وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة أربع عشرة وأربعمائة:

فيها دخل مشرف الدولة بن بهاء الدولة إلى بغداد، وتلقاه الخليفة في زَبْزَب
بأبهة الخلافة؛ ولم يكن القادر لقي أحداً من الملوك قبله.

وفيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين على الخليفة القادر
أنه أوغل في بلاد الهند. وعنوان الكتاب: «عبد مولانا أمير المؤمنين وصنيعته
محمود بن سبكتكين».

(١) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد وشمسرات الذهب.

(٢) في الأصل: «الرضي» وقد توفي الشريف الرضي سنة ٤٠٦هـ، فلا يصح ذلك. والشريف المرتضى
هو الذي صلى عليه بميدان الأشنان - بالكرخ - ودفن بداره ببغداد، ثم نقل إلى الكاظمية فدفن بمقابر
قريش. وقبره الآن معروف في وسط الرواق الشرقي من المشهد الكاظمي. وهو المعروف بالشيخ المفيد
وابن المعلم. (انظر ترجمته بإسهاب في أعيان الشيعة: ٤٢٠/٩).

وفيهما عادت دولة بني أمية إلى الأندلس بعد أن انقطعت سبع سنين^(١).

وفيهما توفي الحسن بن الفضل بن سهلان، أبو محمد وزير سلطان الدولة؛ وهو الذي بنى [سور]^(٢) الحائر بمشهد الحسين بكربلاء؛ وكان من كبار الشيعة؛ كان رافضياً خبيثاً، قبض عليه وضُودر وسُمل وحُبس حتى مات.

وفيهما توفي محمد بن أحمد، أبو جعفر النُسَفي الفقيه الحنفي العلامة، صاحب التصانيف ومصنف كتاب «التعليقة»^(٣) المشهورة وغيره. كان عالماً فاضلاً ورعاً زاهداً مفتناً في علوم؛ وكانت وفاته في شعبان.

وفيهما توفي محمد بن الخضر بن عمر، أبو الحسين الحمصي القاضي الفَرَضِي؛ ولي القضاء بدمشق نيابةً عن أبي عبد الله محمد بن الحسين النُصَيبي؛ وكان نَزْهاً عفيفاً. مات بدمشق في جمادى الأولى.

وفيهما توفي تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد، الحافظ أبو القاسم ابن الحافظ أبي الحسين الرازي ثم الدمشقي المحدث. وُلد بدمشق سنة ثلاثين وثلاثمائة، وسَمِعَ الكثير وحدث. قال أبو بكر الحداد: «ما لقينا مثل تمام في الحفظ والخير». مات في المحرم. أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وثمانين أصابع. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصباعاً^(٤).

* * *

(١) كان حكم بني أمية على الأندلس قد توقّف سنة ٤٠٧ هـ بمقتل سليمان بن الحكم، المستعين بالله، واستيلاء بني حمود العلويين على السلطة. وقد استمرت سلطة بني حمود إلى هذه السنة، فعاد حكم الأمويين بعبد الرحمن بن هشام، أبو المطرف المستظهر بالله. ولم تستمر دولة الأمويين بعد هذا طويلاً، إذ أسقطت نهائياً حين خلع آخر الخلفاء الأمويين هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر سنة ٤٢٢ هـ، وابتدأت دويلات ملوك الطوائف. (انظر الحلة السرياء: ١٧/٢ - ١٧، والبيان المغرب: ١١٧/٣ - ١٥٠، ونفح الطيب: ٣٠٠/١، ٣٠١، وطبقات سلاطين الإسلام لستانلي لي بول: ٢٦ - ٢٩).

(٢) زيادة عن المنتظم والبداية والنهاية.

(٣) هو كتاب «التعليقة في الخلاف» كما في كشف الظنون.

(٤) في أخبار مصر للمسبّحي: «١٤ ذراعاً وإصبع واحد» قال المسبّحي: وفي يوم الأحد والاثنين والثلاثاء =

السنة الرابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة خمس عشرة وأربعمائة:

فيها حجّ من العراقيين أبو الحسن الأقسائيّ ومعه حسنك صاحب محمود بن سُبُكْتِكِين؛ فأرسل إليه الظاهر صاحب مصر خِلاًعاً وصلة، فقبلها حسنك ثم خاف من القادر فلم يدخل بغداد؛ وكاتب القادر ابن سُبُكْتِكِين فيما فعل حسنك؛ فأرسل إليه حسنك بالخِلع المصريّة، فأحرقها القادر. وكان حسنك أمير خُراسان من قِبَل ابن سُبُكْتِكِين.

وفيها ولي وزارة مصر للظاهر صاحب الترجمة نجيب الدولة عليّ بن أحمد الجَرَجَرَاييّ^(١) بعد موت ستّ الملك عمّة الظاهر.

وفيها مُنِع الرافضة من النوح في يوم عاشوراء؛ ووقع بسبب ذلك فتنة بين الشيعة وأهل السنة قُتل فيها خلق كثير؛ ومنع الرافضة من النوح وعيد الغدير؛ وأيد الله أهل السنة، والله الحمد.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن، أبو الفرج العدل البغداديّ الفقيه الحنفيّ، ويعرف بأبن المسلمة؛ مولده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وسمِع

= سلخ جمادى الآخرة من هذه السنة انصرف ماء النيل انصرافاً متداركاً فاحشاً، ولم تُرَوْ منه الضياع ولا زكت الأرضون، فكثُر ضجيج الناس بمصر واستغاثتهم، وخرج أكثر أهل البلد من الرجال والأطفال ومعهم المصاحف المنشورة إلى الجبل يستغيثون بالله تعالى. وتعدّرت الأخباز في الأسواق ووقع الازدحام على الغلات، وليس يجسر أحد يزيد على دينار التليس شيئاً... ثم إن دَوَّاس بن يعقوب الكتامي، متقلّد الحسبة، أحضر الحبازين والدقاقين يوم الأحد لخمس خلون من رجب، وضرب قوماً منهم وشهرهم، فظهرت الأخباز واستقامت أحوال الناس. (أخبار مصر للمسيحي: ١٢، ١٤).

(١) تذكر المصادر أنه تولى الوزارة رسمياً في سنة ٤١٨ هـ. (راجع ص ٢٤٨ من هذا الجزء، حاشية ٤) ولكن تبعاً لما يذكره المسيحي يبدو أنه كان يتولاها بالفعل منذ سنة ٤١٥ هـ. فبعد وفاة ستّ الملك سنة ٤١٥ هـ ازداد نفوذ الجرجرائي وأصبح رابع أربعة يسيطرون على الظاهر سيطرة تامة. ثم استطاع أن يفرد بالسلطان بعد ذلك إذ أصبح وزير الظاهر، وكتب له سجل التعيين من إنشاء علي بن خيران متولي ديوان الإنشاء في ١٢ ذي الحجة سنة ٤١٨ هـ. ومن كانوا يشاركونه السيطرة قبل هذا القائد معضاد الخادم الأسود أبو الفوارس، ومحسن بن بدوس صاحب بيت المال. (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٥٣، وأخبار مصر للمسيحي: ٣٢).

الحديث، وكان إماماً عالمياً فاضلاً صدوقاً ثقة كثير المعروف؛ وداره مأوى لأهل العلم.

وفيها توفي سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه ابن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي بشيراز. وكان مدة ملكه اثنتي عشرة سنة وأشهرًا، وتولى الملك صبيًا؛ ومات وله ثلاث وعشرون سنة. وقال صاحب مرآة الزمان: مات عن اثنتين وثلاثين سنة. انتهى. قلت: وكان في مدة ملكه وقع له حروب كثيرة مع أخيه مشرف الدولة وخطب له ببغداد ثم أصطلحها، حسب ما ذكرناه؛ وخطب لمشرف الدولة على عادته إلى أن توفي سلطان الدولة هذا.

وفيها توفي عبد الله بن عبد الله بن الحسين، أبو القاسم الخفاف؛ كان يُعرف بآبن النقيب البغدادي؛ رأى الشُّبلي وغيره، وسمع الكثير، وكان سماعه صحيحاً؛ وكان شديدًا في السنة؛ ولما مات أبن المعلم فقيه الشيعة جلس، رضي الله عنه، للتهنئة؛ وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موته. وأقام عدة سنين يصلي الفجر بوضوء العشاء الآخرة. قلت: ومما يدل على دينه وحسن اعتقاده بغضه للشيعة عليهم الخزي. ولولم يكن من حسناته إلا ذلك لكفاه عند الله^(١).

وفيها توفي محمد بن الحسن، الشريف أبو الحسن الأقساسي العلوي. هو من ولد زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه. حج بالناس من العراق سنين كثيرة نيابة عن المرتضى؛ وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً؛ وهو أيضاً من كبار الشيعة.

(١) هذا النوع من التدخل من قبل المؤلف يفتقد إلى الرصانة العلمية والدقة التاريخية. وهو جنوح نحو موقف «النواصب» الذين هم في اعتقادنا المعادل الموضوعي التعصبي «لروافض الغلاة». علماً أن ابن المعلم، الفقيه الشيعي المذكور (الشيخ المفيد) كان إماماً اثني عشرياً. وهؤلاء معروفون — لدى العارفين — باعتدالهم العقائدي، والتزامهم بأصول ومبادئ الدين الحنيف. وقد استطاع عدد كبير من الباحثين الإسلاميين المحدثين ومن أئمة السنة والجماعة استدراك ذلك الخلط التاريخي الغوغائي — والمقصود في كثير من الأحيان — بين مختلف الفرق التي انصوت — أو هكذا قَدِّمها المؤرخون — تحت اسم الشيعة أو العلوية أو الرافضة. وأعيد بالتالي الاعتبار إلى المذهب الإمامي الاثني عشري (الجعفري: نسبة إلى جعفر الصادق) كواحد من المذاهب الإسلامية الأصيلة إلى جانب المذاهب الأربعة المعروفة.

وفيهما توفي الأمير أبو طاهر بن دمنة^(١)، صاحب آمد من ديار بكر. كان قتل
آبن مروان^(٢) صاحب ميّا فارقين وقتل عبد البر^(٣) شيخ آمد واستولى عليهما من سنة
سبع وثمانين وثلاثمائة إلى هذه السنة. وكان يصانع مُمهد الدولة بن مروان، وأيضاً
يصانع شروة^(٤). فلما قتل شروة مُمهد الدولة وولي أخوه أبو منصور، طمع هذا في
البلاد وأستفحل أمره.

وفيهما توفي أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل الضبي،
[أبو الحسن]^(٥) المَحَامِلِيّ الفقيه الشافعي؛ كان تفقه بأبي حامد الاسفرايني وغيره،
وكان إماماً فقيهاً مصنفاً، مات في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وخمس أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة الخامسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ست عشرة وأربعمائة:

فيها توفي في شهر ربيع الآخر السلطان مشرف الدولة، أبو علي الحسن
ابن السلطان أبي نصر فيروز بهاء الدولة ابن السلطان عضد الدولة بويه ابن السلطان
ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي. وأستقر الأمر بعد موته على تولية جلال الدولة

(١) هو أبو طاهر يوسف بن دمنة، صاحب آمد من ديار بكر. عمل هاملاً في أول أمره، ثم استولى على
ميفارقين وآمد، واستفحل أمره فيها. قتل بمؤامرة دبّرها عليه صهره القائد مرتج. (انظر تاريخ
الفارقي: ٤٤ - ٤٥، والأعلاق الخطيرة: ٣/٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) هو الأمير نصر الدولة، أبو نصر، أحمد بن مروان بن لكك الحارنجي، كما في تاريخ الفارقي.

(٣) عبد البر: شيخ البلد في آمد. كان المقدم على أهل مدينته، وشيخ سوق الطعام فيها؛ وكان ذا نجادة
وحلاوة وشهامة. كان يجلس كل يوم للقضاء والشهود وأرباب الدين ووجوه البلد. ضربه ابن دمنة
أبو طاهر، وهو عند ابنته بسيف كان بيده فقتله وحز رأسه. (تاريخ الفارقي: ٧٥ - ٨١).

(٤) هو أبو شجاع شروة بن مم، متولي أمور محمد الدولة سعيد بن مروان الكردي في ميفارقين والمتآمر على
قتله (المصدر السابق: ٧٤).

(٥) زيادة عن ابن الأثير وشذرات الذهب.

أبني طاهر، فخطب له على منابر بغداد وهو بالبصرة، وخلع على شرف الملك^(١) أبي سعيد^(٢) بن ماكولا وزيره، ولقبه علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك. قلت: وهذا ثاني لقب سمعناه من أسم مضاف إلى الدين. وأول ما سمعنا من هذه الألقاب لقب بهاء الدولة بن بويه «ركن الدين». قلنا: لعل ذلك كان تعظيماً في حقّه لكونه سلطاناً، فيكون هذا على هذا الحكم هو أول^(٣) لقب لقب به في الإسلام؛ والله أعلم. ومن يومئذ ظهرت الألقاب وتغالت فيها الأعاجم، حتّى إنهم لم يدعوا شيئاً إلا وأضافوا الدين له، حتّى أشتهر ذلك وشاع وسمّي به كلّ أحد حتّى الأسالمة^(٤)، فمنهم من يسمّى جلال الدين، وسعد الدين، وجمال الدين، فلا قوة إلا بالله. وحقّ المغاربة في حقهم ممن يلقّب بهذه الألقاب. وأنا بالله أحلف لو ملكت أمري ما لقّبت بجمال الدين^(٥) ولا غيره، وأكره من يسميني

(١) في الأصل هنا: «شرف الدولة» والتصحيح عما يأتي في السطر التالي، والمتنظم.

(٢) في ابن الأثير: «أبو سعد».

(٣) يتفق كثير من المؤرخين على أن أول من تلقب بهذا النوع من الألقاب (الإضافة إلى الدين) هو بهاء الدولة ابن عضد الدولة. إلا أنهم يختلفون في اللقب نفسه، فيجعله المقرئ في السلوك: قوام الدين، وأبو المحاسن هنا: ركن الدين، والقلقشندي في صبح الأعشى وضوء الصبح: نظام الدين. على أن الذهبي يعتقد أنه قد ابتدئ التلقب بهذا اللقب للوزير ابن ماكولا سنة ٥٤١٥ (بعكس إشارة أبي المحاسن أعلاه إلى أنه الثاني).

واتخاذ رجال الدولة لهذا النوع من التلقب يشير إلى مشاركتهم للخلفاء في شؤون الدين بعد استئثارهم بأمور الدولة شأنه في ذلك شأن الألقاب المضافة إلى «الملة» التي ربما تعتبر مقدمة لظهور اللقب المضاف إلى الدين. وظهور هذا اللقب في الوقت نفسه رمز لاضمحلال الخلافة كقوة ذات أثر فعال في حماية الدين وإقامة صرحه. (انظر الألقاب الإسلامية لحسن الباشا: ص ١٤١ - ١٥٦).

(٤) يريد بذلك الذين يدخلون في الإسلام من أهل الذمة، خاصة الكتّاب والصيارف ومن في معناهم من اليهود والنصارى. قال القلقشندي (صبح الأعشى: ٤٩٠/٥): وقد اصطلاحوا - أي أهل الذمة من الكتاب وغيرهم - على ألقاب يتلقبون بها غالبها مصدرة بالشيخ. ثم منهم من يجري على الرسم الأول في التلقب بالإضافة إلى الدولة فيتلقب بولي الدولة [وشمس الدولة] ونحوه. ومنهم من يحذف المضاف إليه فيقول: الشيخ الشمسي، والشيخ الصفي... فإذا أسلم أحدهم أسقطت الألف واللام من أول لقبه وأضيف إلى الدين، فيقال في الشيخ الشمسي: شمس الدين، وفي الصفي: صفي الدين وما أشبه.

(٥) عُرف هذا اللقب في عصر المماليك بين العسكريين من الترك، والمدنيين من القضاة والعلماء. وكان في حالة الطائفة الأولى يختص ببعض الأسماء مثل أقوش؛ وفي حالة الطائفة الثانية كان في أول الأمر يختص =

بذلك ولا أقدر على تغيير الاصطلاح. وهذا لا يكون إلا من ولي أمر أو حاكم بلدة. وقد خرجنا عن المقصود فنعود إلى ذكر مشرف الدولة.

ومات مشرف الدولة وله ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً. وكانت مدة ملكه خمس سنين وشهراً وخمسة وعشرين يوماً. وكان شجاعاً مقداماً جواداً، إلا أنه كان يميل إلى الشيعة على عادة آبائه وأجداده ميلاً ليس بذاك، وينصر أهل السنة في بعض الأحيان. وكل ملوك بني بويه كانوا على ذلك، غير أنهم كانوا يميلون في الباطن للشيعة. والله أعلم بحالهم.

وفيها توفي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد، أبو محمد التيجي المصري البزار، المعروف بأبن النحاس، مُسند ديار مصر في وقته. مولده ليلة النحر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ومات في عاشر صفر.

وفيها توفي علي بن محمد، أبو الحسن التهامي الشاعر المشهور؛ كان من الشعراء المجيدين؛ وشعره في غاية الحسن. قدم القاهرة مستخفياً ومعه كتب كثيرة من حسان بن المفرج البدوي وهو متوجه إلى بني قرّة، فظفروا به فأعتقل بخزانة البنود^(١) في سادس عشرين شهر ربيع الآخر، ثم قُتل سراً في سجنه في تاسع جمادى الأولى. والتهامي بكسر التاء المثناة من فوقها وفتح الهاء وبعد الألف ميم، هذه النسبة إلى تهامة، وهي تطلق على مكة حرسها الله. ومن شعر التهامي من جملة قصيدة: [السريع]

= بالاسم يوسف. ويلاحظ هنا الصلة بين اللقب واسم النبي يوسف الذي اشتهر بجماله. وأبو المحاسن كان يجمع الصفتين: انتسابه إلى العسكريين الأتراك وانتسابه إلى العلماء. (انظر صبح الأعشى: ٤٨٨/٥).

(١) المشهور أن هذه الخزانة وقع فيها حريق سنة ٤٦١ هـ فجعلت بعد حريقها سجناً للأمراء والأعيان إلى أن انقرضت دولة الفاطميين. ولكن تبعاً لإشارة أبي المحاسن هنا، وتبعاً لإشارة للمسبحي (أخبار مصر، ص ٥) يبدو أنها استخدمت سجناً قبل حريقها. وعن خزانة البنود راجع ص ٥٠ من هذا الجزء، حاشية (٣).

قلتُ لخلِّي وثغور الرُّبَا مبتسماتٌ وثغورُ الملاحِ
أيُّهما أحلى ترى منظرًا فقال لا أعلم كلُّ أقاحِ
وله بيت بديع من جملة قصيدة: [الكامل]

وإذا جفأك الدهرُ وهو أبو الوري طُرًّا فلا تَغْتَبِ على أولاده

وفيهما توفي محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذاء، أبو عبد الله القرطبي الحافظ المحدث العلامة؛ سمع الكثير وروى الحديث، وكتب وصنف؛ ومات في شهر رمضان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة السادسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة سبع عشرة وأربعمائة:

فيها عاد جلال الدولة إلى البصرة، وقبض على وزيره أبي سعيد عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن ماكولا وعلى أبي^(١) عليّ ابن عمه. ثم جرت أسباب استوجبت إطلاق ابن عمه؛ وأستوزره جلال الدولة ولقبه يمين الدولة وزير الوزراء، وخلع عليه.

وفيهما توفي أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشي الأموي قاضي القضاة، كان عفيفاً جليلاً. قال القاضي أبو العلاء^(٢): ما رأينا مثله جلالاً وصيانةً وشفافاً.

(١) هو الحسن بن علي بن جعفر بن ماكولا. وسيأتي ذكر مقتله في حوادث سنة ٤٢٢ هـ.

(٢) في الأصل: «أبو علي». وما أثبتناه عن المنتظم وتاريخ بغداد. وهو محمد بن علي الواسطي أبو العلاء المتوفى سنة ٤٣١ هـ.

وفيهما توفي مُحَسَّن بن عبد الله بن محمد، أبو القاسم التنوخي اللغوي القاضي الحنفي؛ وُلد يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وقَدِم دمشق مجتازاً إلى الحج، فأدركه أجله في الطريق في ذي القعدة، فحُمِل إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وُدُن بالبقيع. وكان من أوعية العلم، وله مصنّفات كثيرة وشعر جيّد؛ من ذلك: [الطويل]

وكلُّ أداريه على حَسْب حاله سوى حاسدي فهي التي لا أنالها
وكيف يُداري المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

وفيهما توفي عبد الله بن أحمد، الإمام أبو بكر المروزي القفال شيخ الشافعية بخراسان؛ كان يعمل الأقفال وحذَق في عملها حتّى صنع قفلاً بآلاته ومفتاحه وزن أربع حبات^(١). فلما صار ابن ثلاثين سنة آشتغل بالعلم وتفقّه حتّى برع فيه وفاق أقرانه. ومات في جُمادى الآخرة وله تسعون سنة.

وفيهما توفي عليّ بن أحمد بن عمر بن حفص، أبو الحسن بن الحمّامي؛ كان إماماً محدثاً كبير الشأن؛ سَمِع وحدث؛ ومات في شعبان عن تسع وثمانين سنة. وفيها توفي، في قول الذهبي، عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه، أبو حازم الهذليّ العبّدي^(٢) الحافظ الكبير الرّحال؛ سَمِع الحديث وحدث؛ ورَوَى عنه غير واحد، ومات بنيسابور.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

(١) أي ما يعادل ٢٠/٤ من الغرام، باعتبار أن الحبة الواحدة تساوي نصف عشر الغرام. (معجم متن اللغة).

(٢) في الأصل: «العدوي» وهو تحريف. والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وأنساب السمعاني. والعبدي: نسبة إلى عبدويه. وقيل في هذه النسبة: عبّدي، بضم الدال وياءين في الأخير، على طريقة المحدثين. والصيغة الأولى على طريقة النحويين.

السنة السابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ثمانى عشرة وأربعمائة:

فيها خطب لجلال الدولة على المنابر ببغداد بعد أن منع الأتراك من ذلك وخطبوا لأبي كالجبار.

وفيها ورد كتاب السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين على الخليفة القادر يخبر بما فتح من البلاد من أرض الهند، وكسره الصنم المعروف بسُومَنَات^(١).

وفيها توفي الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم الوزير المغربي؛ وُلِدَ بمصر في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة، وهرب منها لما قتل الحاكم أباه علياً وعمه محمداً. وقيل: إن أباه وُزِّرَ للعزیز بمصر ثم للحاكم أبنه. وهرب الحسين هذا للعراق، وخدم بني بُويه^(٢)، ووقع له بالشرق أمور، ووُزِّرَ لغير واحد من ملوك الشرق. وكان فاضلاً عاقلاً شاعراً شجاعاً كافياً في فنه، حتى قيل: إنه لم يل الوزارة لخليفة ولا ملكٍ أكفى منه. ومن شعره قوله: [المجثَّ]

الدهر سهلٌ وصعبٌ والعيش مرٌّ وعذبٌ
فأكسبَ بمالكِ حمداً فليس للحمد كسبٌ
وما يدوم سرورٌ فأختم وطينك رطبٌ

(وفيها توفي عبد الرحمن بن هشام القرشي الأموي صاحب الأندلس، الذي كان لَقِبَ نفسه في سنة أربع عشرة وأربعمائة بالمستظهر والمستكفي والمعتمد؛ وعاد ملك بني أمية إلى الأندلس بسببه؛ فلما كان في هذه السنة وثب الجند عليه

(١) كذا أيضاً في ابن خلكان وابن الأثير. والصحيح «سومنان» كما جاء في تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن. وكان الهنود يعتبرون هذا الصنم الملاذ الذي يحميهم من غزوات الغزنويين. وفي ابن الأثير وابن خلكان أن ذلك حدث سنة ٤١٦ هـ.

(٢) استوزره مشرف الدولة البويهي ببغداد مدة عشرة أشهر وأياماً، ثم اضطرب أمره فلجأ إلى قرواش، فكتب الخليفة إلى قرواش بإبعاده، ففعل. فسار أبو القاسم المغربي إلى ابن مروان بديار بكر وأقام بميفارقين إلى أن توفي في هذه السنة. (الأعلام: ٢/٢٤٥، وتاريخ ميفارقين: ٤٦، ٤٧).

فقتلوه؛ وأنقطعت ولاية بني أمية عن الأندلس إلى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة^(١).

وكانت ولاية الأندلس من بني أمية أربعة^(٢) عشر على عدد أسلافهم، ومدة سببهم مائتان وثمانون^(٣) سنة، فأولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبوالمطرف الملقب بالداخل، لكونه دخل المغرب؛ ببيع سنة تسع^(٤) وثلاثين ومائة في أيام أبي جعفر المنصور العباسي. ثم ولي بعده أبنة هشام في سنة اثنتين وسبعين. ثم ولي بعده أبنة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن في سنة ثمانين ومائة. ثم ولي بعده أبنة عبد الرحمن بن

(١) هذا الخبر - وضعناه بين هلالين من عندنا - يحتوي على غير خطأ تاريخي:

- أولاً: إن عبد الرحمن بن هشام الأموي توفي سنة ٤١٤ هـ بعد أن حكم اسماً مدة ٤٧ يوماً. والذي توفي هذه السنة هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله (المستكفي).

- ثانياً: إن «المستكفي والمعتمد» ليسا من القاب عبد الرحمن بن هشام، وإنما لقبه «المستظهر». والمستكفي هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله، وهو الذي حكم سنة ٤١٤ هـ، بعد وفاة المستظهر، لمدة ١٦ شهراً. ثم استولى على الحكم بنو حمود إلى سنة ٤١٨ هـ. أما «المعتمد» - وصوابه: «المعتد» - فهو لقب هشام بن محمد الذي حكم سنة ٤١٨ هـ بعد المستكفي، ودام حكمه إلى أن خلع سنة ٤٢٢ هـ؛ وبخلعه انقطعت الدولة الأموية بالأندلس نهائياً. وقد توفي المعتد سنة ٤٢٨ هـ.

- ثالثاً: إن أياً من المؤرخين لم يذكر عودة حكم بني أمية في سنة ٤٤٣ هـ، كما يذكر المؤلف.

ولا ندري كيف تسنى للمؤلف - أوروباً للناسخ - إثبات رواية على هذا النحو، فتأمل!! (انظر في ذلك: البيان المغرب، ونفح الطيب، والحلة السرياء، وأعمال الأعلام، وغيرها من مصادر تاريخ الأندلس والمغرب الموثوقة). راجع أيضاً ص ٢٥٩ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) الصواب أن عددهم ستة عشر. وسوف يذكر منهم اثني عشر فقط. والولاية الأربعة الذين لم يذكرهم المؤلف هم على التوالي، بعد سليمان المستعين بن الحكم: المرتضى عبد الرحمن بن محمد، والمستظهر عبد الرحمن بن هشام، والمستكفي محمد بن عبد الرحمن، والمعتد هشام بن عبد الرحمن، وهو آخرهم: خلع سنة ٤٢٢ هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ. (انظر معجم زامباور: ص ٢، وطبقات سلاطين الإسلام: ص ٢٦).

(٣) أحصى ابن الأثير في الحلة السرياء: ٨/٢ مدة ولايتهم ابتداءً من يوم الأضحى سنة ١٣٨ هـ وهو اليوم الذي حكم فيه عبد الرحمن الداخل إلى مقتل المستعين في المحرم سنة ٤٠٧ هـ فكانت: ٢٦٨ سنة و٤٣ يوماً. أما الولاية الأربعة من الأمويين الذين جاؤوا بعد المستعين (انظر الحاشية أعلاه) فكانت مدة ولايتهم حوالي سبعة سنين. فتكون مدة حكم الأمويين في الأندلس ٢٧٥ سنة وبضعة شهور.

(٤) تذكر المصادر أن الأمر استقر له يوم الجمعة في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ. (الحلة السرياء:

الحكم في سنة ست وثمانين ومائة^(١). ثم ولي بعده أبنه محمد في سنة ثمان وثلاثين ومائتين. ثم ولي بعده أبنه المنذر بن^(٢) محمد سنة ثلاث وسبعين ومائتين ومات سنة خمس وسبعين، ولم يكن له ولد؛ فولّي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل [سنة ٢٧٥هـ]^(٣). ثم ولي بعده أبنه عبد الرحمن سنة ثلاثمائة. ثم ولي بعده الحكم بن عبد الرحمن سنة ثمان^(٤) وخمسين وثلاثمائة. ثم ولي بعده أبنه هشام سنة سبعين^(٥) وثلاثمائة ومات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة^(٦) بعد أن تغلب عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقّب بالناصر لدين الله [سنة ٣٩٩هـ]^(٣) ثم غلب عليه [المستعين]^(٣) سليمان بن الحكم [سنة ٤٠٠هـ]. ثم غلب محمد بن هشام بن عبد الجبار للمرة الثانية في شوال سنة ٤٠٠هـ. ثم هشام بن الحكم للمرة الثانية في ذي الحجة سنة ٤٠٠هـ. ثم ولي سليمان المستعين للمرة الثانية من شوال سنة ٤٠٣هـ إلى المحرم من سنة ٤٠٧هـ. (ثم تغلب علي بن حمود إلى شهر رمضان سنة ٤٠٨هـ). ثم ولي المرتضى عبد الرحمن بن محمد في شهر رمضان سنة ٤٠٨هـ (ثم تغلب القاسم بن محمود في نفس السنة. ثم يحيى بن علي بن حمود في سنة ٤١٢هـ، ثم القاسم بن حمود للمرة الثانية في سنة ٤١٣هـ). ثم ولي المستظهر عبد الرحمن بن هشام في شهر رمضان سنة ٤١٤هـ. ثم ولي المستكفي محمد بن عبد الرحمن في ذي القعدة سنة ٤١٤هـ. (ثم تغلب يحيى بن علي بن حمود للمرة الثانية في ربيع الأول سنة ٤١٦هـ). ثم ولي المعتدّ هشام بن عبد الرحمن من ربيع الأول سنة ٤١٨هـ إلى سنة ٤٢٢هـ. وهو آخرهم.]

(١) الصواب: سنة ٢٠٦هـ.

(٢) في الأصل: «المنذر أبو محمد» وهو تحريف.

(٣) زيادة عن معجم زاباور وطبقات سلاطين الإسلام.

(٤) الصواب: سنة ٣٥٠هـ.

(٥) الصواب: سنة ٣٦٦هـ.

(٦) الصواب: سنة ٤٠٣هـ.

(٧) هذه الفقرة الموضوعية بين معقوفين زدها للتوضيح استناداً إلى المصادر. وعبرة الأصل مكانها كانت:

«ثم ولي هشام بن الحكم بن عبد الرحمن، ثم وقع خباط كبير، على ما يأتي ذكره في محله إن شاء الله».

وما وضعناه بين هلالين ضمن هذه الزيادة إشارة إلى الذين حكموا من بني هود غير الأمويين.

وفيهما توفي الشريف أبو الحسن علي بن طَبَّاطَبَا العلوي. كان فاضلاً شاعراً فصيحاً. مات ببغداد في ذي القعدة، وكان على مذهب القوم.

وفيهما توفي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الأسفرايني الأصولي المتكلم الفقيه الشافعي، إمام أهل خراسان، ركن الدين. وهو أول من لُقِّب من الفقهاء. كان إماماً مفتناً له التصانيف المشهورة، وكانت وفاته يوم عاشوراء بنيسابور. وقد تقدّم أن الألقاب ما تداول تسميتها إلّا من الأعاجم لحبهم للرياسة^(١) والتعظيم كما هي عادتهم.

وفيهما توفي معمر بن أحمد بن محمد بن زياد، أبو منصور الأصبهاني الزاهد؛ كان من كبار المشايخ؛ وله قدم هائلة^(٢) في الفقه والصلاح. أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصباعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصباعاً.

* * *

السنة الثامنة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة تسع عشرة وأربعمئة:

فيها ولّى الظاهر أمر دمشق لأمير الجيوش الدّزبريّ؛ وكان شجاعاً شهماً؛ وأسمه أبو منصور أنوشكين التركي.

وفيهما توفي محمد بن عمر بن يوسف، أبو عبد الله بن الفخار القرطبي المالكي الحافظ عالم الأندلس في عصره؛ سمع الحديث وحَدَّث وحجَّ وجاور بالمدينة وأفتى بها؛ وكان إماماً عالماً زاهداً ورِعاً متقشفاً عارفاً بمذاهب الأئمة وأقوال العلماء، يحفظ «المدونة»^(٣) حفظاً جيداً.

(١) في الأصل: «لحبهم إلى الرياسة».

(٢) في الأصل: «قدم هائل».

(٣) عبارة المقرّي في نفع الطيب: ٦١/٢: «يحفظ (المدونة) و(النوادر) لابن أبي زيد، ويوردها من صدره دون كتاب». وابن أبي زيد هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي المصري المتوفى سنة ١٩١ هـ. وكتابه «المدونة» من أجل كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك.

وفيها^(١) توفي حمزة بن إبراهيم، أبو الخطّاب؛ كان بلغ من بهاء الدولة بن بويه منزلة عظيمة لم يبلغها غيره؛ كان يعلمه النجوم. وكان حاكماً على الدولة والوزراء؛ والقوّاد يخافونه؛ وما كان يقنع من الوزراء بالقليل. ولما فتح فخر الملك قلعة سابور حمل إليه مائة ألف دينار فاستقلّها؛ وما كان بهاء الدولة يخالفه أبداً.

وفيها توفي عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون، أبو محمد الصُّوريّ الشاعر المشهور. كان أبو الفتيان بن حيّوس مُغرّياً بشعره، ويفضله على أبي تمام والبُختريّ والمتنبّي؛ فقال أبو العلاء المعريّ: «الأمراء لا يناظرون» (يعني أنّه ليس في هذا المقام). وكان أبو الفتيان يقول: إن أغزل ما قيل قول جرير: [البسيط]

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَوْضَعَفَ خَلَقَ اللَّهُ إِنْسَانَا

وقال الصوريّ أغزل منهما، وهو قوله: [الرمل مجزوء]

بِالَّذِي أَلْهَمَ تَعْذِيبَ بِي ثَنَائِكَ الْعِذَابَا
مَا الَّذِي قَالَتْهُ عَيْنَا كَ لِقَلْبِي فَأَجَابَا

قلت: وقال غير ابن حيّوس: إن أرقّ ما قيل قول القائل: [الطويل]
عَيُونٌ عَنِ السَّحَرِ الْمَبِينِ تُبَيِّنُ لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الْقُلُوبِ سَكُونُ
إِذَا أَبْصَرْتُ قَلْباً خَلِياً مِنَ الْهَوَى تَقُولُ لَهُ كُنْ مُغْرِماً فَيَكُونُ

ومن شعره أيضاً: [المتقارب]

صَدَدَتْ فَكُنْتُ مَلِيحَ الصَّدُودِ وَأَعْرَضْتَ أَفْدِيكَ مِنْ مُعْرِضِ
وَمَنْ كَانَ فِي سُخْطِهِ مُحْسِناً فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا مَارَضِي

وله أيضاً: [الكامل]

(١) في ابن الأثير أنّه توفي سنة ٤١٨ هـ.

تُريك نفسك في معاندة الوري رَشْداً ولست إذا فعلت براشداً
شغلتك عن أفعالها أفعالهم هلاً أقتصرت على عدو واحد

وفيهما توفي محمد بن محمد بن إبراهيم بن مَخْلَد، الفقيه أبو الحسن البغدادي الحنفي؛ ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وسمع الكثير ورواه؛ وكان يتجر وله مال عظيم؛ صادره ملوك بني بويه حتى أفتقر، ومات فلم يكفن حتى بعث إليه الخليفة كفنًا. ومات ولم يكن في زمانه أعلى سنداً منه. وكان صدوقاً صالحاً ثقة فقيهاً فاضلاً عالماً.

وفيهما توفي أبو الفوارس قَوَام الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي. كان عزم على نقض الصلح بينه وبين أخيه أبي كالجار فعاجلته منيته فمات في ذي القعدة؛ وحمل تابوته إلى شيراز فدفن في تربة عماد الدولة بن بويه.

وفيهما هلك قسطنطين أخو بسيل ملك الروم؛ وبعد موته انتقل الملك إلى بنت له وزوجها^(١)، وهو ابن خالها، يسمى أرمانوس^(٢)، ولم يكن من بيت الملك^(٣)، وجعلت ولاية العهد في أرمانوس المذكور، وليس الخف الأحمر، وتسمى قيصرًا.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

(١) في تاريخ الزمان لابن العبري: «كان قسطنطين أوصى بالملكة حين احتضاره لابن أخيه رومانوس، وفي بعض النسخ صهره زوج ابنته» وقد حكم قسطنطين المذكور ثلاث سنوات. وكانت مدة حكم باسيل خمساً وخمسين سنة.

(٢) في تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ص ١٨٣، أن الذي لم يكن من بيت الملك هو خليفة رومانوس هذا، وليس رومانوس نفسه. قال: وملك بعد رومانوس رجلٌ صيرفي ليس من بيت الملك، وإنما ابنة قسطنطين اختارته وتزوجته. وقال ابن العبري أيضاً في تاريخ الزمان: ص ٨٤: وتوفي رومانوس بغتة، وخلفه ميخائيل، فناهضه قلفاط أحد أنسبائه، وظل خمسة أشهر يعانده حتى قبض عليه وفقت عيناه.

السنة التاسعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة عشرين وأربعمائة:

فيها وقع بالعراق بَرْد في الواحدة مائة وخمسون رطلاً كانت كالشور النائم، ونزلت في الأرض مقدار ذراع؛ قاله أبو المظفر في مرآة الزمان [؟!]

وفيها فسد الأمر بين قِرَوَاش صاحب المَوْصِل وبين أبي نُصْر بن مروان صاحب مِيفَارِقِينَ. وسببه أن قِرَوَاشاً كان تزوّج بنت أبي نصر المذكور فأقامت عنده مدّة، ثم هجرها؛ فطلبها أبو نصر فنقلها إليه، وهذا أول الشر.

وفيها توفي علي بن عيسى بن الفَرَج^(١)، أبو الحسن الرّبْعِيّ صاحب أبي عليّ الفارسيّ؛ قرأ الأدب ببغداد على السّيرافيّ، وخرج إلى شيراز ودرس بها النحو على الفارسيّ عشرين سنة، ثم عاد إلى بغداد وأقام بها باقي عمره. خرج يوماً يمشي على جانب الشطّ، فرأى الشريف الرضي والمرتضى في سفينة ومعهما عثمان بن جنيّ النحويّ، فصاح أبو الحسن: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون «عثمان» جالساً في صدر السفينة «وعلي»^(٢) يمشي على الحافّة؛ فضحكا وقالوا: بأسم الله. قلت: وهذا مما يدل على أن الرضي والمرتضى كانا يصرّحان بالرفض.

وفيها توفي الأستاذ الأمير المختار عزّ الملك، محمد بن أبي القاسم عبيد^(٣) الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز، المعروف بالمُسَبّحِيّ الكاتب، الحرائيّ الأصل المصريّ المولد والمنشأ، صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنّفات. قال ابن خلكان: «كانت فيه فضائل ولديه معارف، ورزق حظوة في التصانيف، وأتصل بخدمة الحاكم العبيديّ. قال: وتاريخه ثلاثة عشر ألف ورقة». انتهى. قلت: وله عدّة تصانيف أخر. مات في شهر ربيع الآخر. والمسبّحي:

(١) في الأصل: «ابن المفرّج» والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب.

(٢) هو اسم الشريف المرتضى.

(٣) في الأصل: «عبد الله». وما أثبتته عن ترجمة المسبّحي في مقدمة «أخبار مصر» للمسبّحي.

بضم^(١) الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وفي آخرها حاء مهملة. قال السمعاني: هذه النسبة إلى الجد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصباعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة العاشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

فيها عملت الرافضة النُّوح في يوم عاشوراء بالكَرْخ، ووقع بينهم وبين أهل السنة وقعة قُتل فيها جماعة من الفريقين.

وفيها خطب للأمير أبي سعيد مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين بعد موت أبيه بأرمينية والأطراف.

وفيها عاد جلال الدولة إلى بغداد من واسط. ولم يحجَّ أحد من العراقيين في هذه السنة؛ وحجَّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الحسن، ويعرف بأبن الدان^(٢)؛ أصله من الجزيرة وسكن دِمَشق؛ وكان يعظ؛ وكان صاحب مقالات وكرامات؛ وهو معدود من المشايخ.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درَّاج، أبو عمر القَسْطَلِيّ الشاعر المشهور. قال ابن حزم: «كان عالماً بنقد الشعر؛ لو قلت إنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن درَّاج لم أبعد».. وهو من مدينة قَسْطَلَة

(١) في الأصل: «بفتح الميم» وهو سبق قلم من الناسخ.

(٢) في الأصل: «ابن المَواز»، وفي عقد الجمان: «ابن الدابي». وما أثبتناه من البداية والنهاية، وطبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

درّاج، وقيل هو آسم ناحية. وكان من كتّاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر. ومن شعره من جملة قصيدة طويلة: [الطويل]

أضاء لها فجر النُّهى فنهاها
عن المُذَنَّف المُضَنَّى بحرَ هواها
وضلّلها صبحُ جلا ليلته الدجى^(١)
وقد كان يَهْدِيها إِلَيّ دُجاها

وفيها توفي السلطان يمين الدولة، أبو القاسم، محمود بن سُبُكْتِكِين [ابن] الأمير ناصر الدولة أبي منصور صاحب غَزنة وغيرها. كان السلطان محمود هذا يلقَّب قبل السلطنة بسيف الدولة، وكان من عظماء ملوك الدنيا، وفتح عدّة بلاد من الهند وغيرها، وأتسعت مملكته (حتّى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية، وأمتلأت خزائنه من أصناف الأموال والجواهر)^(٢)؛ وكان ديناً خيراً متعبداً فقيهاً على مذهب أبي حنيفة.

وما حكاه ابن خلكان من قصّة القفال في صلاة الحنفيّة بين يديّ ابن سُبُكْتِكِين المذكور ليس لها صحّة؛ يعرف ذلك من له أدنى ذوق من وجوه عديدة؛ فإنّ محموداً المذكور كان قد قرأ في ابتداء أمره وبرّع في الفقه والخلاف وصار معدوداً من العلماء، وصنّف كتاباً في فقه الحنفيّة قبل سلطنته بمدة سنين، وذلك قبل أن يشتهر القفال. فمن يكون بهذه المثابة لا يحتاج إلى من يعرفه الصلاة على المذاهب الأربعة بل ولا غيرها؛ وأصاغر الفقهاء من طلبة العلم يعرفون الخلاف في مثل هذه المسألة. وأيضاً حاشا القفال من أن يقع في مثل هذه القبائح من كشف العورة والضراط في الملأ وتحكيم رجل نصرانيّ في قراءة كتب المذهبيين والافتراء على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة؛ وما ثمّ أمر يحتاج إلى ذلك ولا ألجأت الضرورة إلى أن يفعل بعض ما قيل عنه. وإنما محمود بن سبكتكين رجل

(١) الدجى: سواد الليل. وهو هنا وصف وصف به. وهو مصدر، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث. يقال: ليلة دجى، وليال دجى، بالإنفراد والتذكير.

(٢) هذه الجملة التي وضعناها بين هلالين، ذكرها ابن خلكان في وفيات الأعيان (في ترجمة محمود بن سبكتكين) أثناء الكلام على الصنم المعروف بسومنات، وأن هذا الصنم كانت له منزلة عظيمة عند الهنود حتى أوقفوا عليه هذه الأوقاف. والأرجح أن إثباتها هنا جاء على سبيل السهو.

من المسلمين لا يزيد في الحنفية ولا ينقص من الشافعية؛ ولعل بعض الفقهاء يكون أفضل منه عند الله تعالى. وهأنا لم أكن مثل القفال في كثرة علومه بل ولا أصاغر تلامذته، لو قيل لي: أفعل بين يدي السلطان بعض ما قيل عن القفال لا أرضى بذلك، ولا ألتفت إلى السلطان ولا إلى غيره، ولا أهزأ بصلاة مسلم كائن من كان. فهذا كله موضوع على القفال من أهل التحامل والتعصب^(١). فنعوذ بالله من الاستخفاف بالعلماء والوقوع في حقهم، ونسأل الله السلامة في الدين. وكانت وفاة السلطان محمود في جمادى الأولى من هذه السنة، رحمه الله تعالى. وتولى بعده الملك آبنه مسعود بن محمود الآتي ذكره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصباعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وست أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

فيها قُتل أبو [عليّ]^(٢) الحسن [بن]^(٣) عليّ بن مأكولا بالأهواز؛ قتله غلام له يُعرف بعدنان، كان يجتمع مع امرأة في داره، ففطن بهما، فعلما بذلك فخافا منه؛ وساعدهما فرّاش كان في داره، فغموه بشيء وعصروا خُصاه حتى مات، وأظهروا أنه مات فجأة؛ فأخذ الغلام والفرّاش وضربا فأقرا بما وقع من أمره، فُصلبا وحُبست المرأة في دار.

وفيها أخذ ملك الروم^(٣) مدينة الرُّها.

(١) رواية ابن خلكان نقلها عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه «مغيث الخلق في اختيار الأحق».

(٢) زيادة عن عقد الجمان والمتنظم وابن الأثير.

(٣) هو ميخائيل ملك الروم، كما في تاريخ الزمان لابن العبري (راجع أيضاً ص ٢٧٢ من هذا الجزء، =

وفيه ولد بمدينة إسكاف^(١) ولد له رأس وبقية بدنه كالحية، فنطق ساعة مولده وقال: الناس تحت غضب منذ أربع سنين، والواجب أن يخرجوا فيستسقوا ليكشف عنهم البلاء. فكتب قاضي^(٢) إسكاف للخليفة بذلك، فاجتمع الناس وأستسقوا فلم يسقوا^(٣).

وفيهما توفي الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الأمير أبي أحمد إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد أحمد ابن الأمير أبي أحمد طلحة الموفق ابن الخليفة جعفر المتوكل ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي البغدادي. بويع بالخلافة بعد القبض على الطائع عبد الكريم في حادي عشر شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ومولده في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. وأمّه أم ولد تسمى يمني^(٤)، ماتت في خلافته. وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة، ودُفن ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء. وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر؛ وهو أطول الخلفاء العباسية مدة، لا نعلم خليفة أقام في الخلافة هذه المدة من بني العباس ولا غيرهم إلا المستنصر معداً العبيدي الآتي ذكره، فإنه أقام في خلافة مصر ستين سنة. وتخلّف بعد القادر ابنه أحمد ولقب بالقائم بأمر الله. وكان القادر - رحمه الله - أبيض كثر اللحية يخضب؛ وكان ديناً خيراً حسن الاعتقاد أماراً بالمعروف فاضلاً. صنّف كتباً كثيرة في فنون من العلم،

= حاشية (٢). وسمّاه ابن الأثير: أرمانوس. وهو خطأ. وفيما بين روايتي ابن الأثير وابن العبري بخصوص استيلاء الروم على مدينة الرها أكثر من اختلاف، فيستحسن العودة إليهما. ونحن نرى أن رواية ابن العبري أكثر دقة ونماسكاً.

(١) في تاريخ الزمان: «مدينة بغداد». وإسكاف: اسم مدينتين، إحداهما إسكاف العليا من نواحي النهروان بين بغداد وواسط، والأخرى إسكاف السفلى وهي بالنهروان أيضاً. (معجم البلدان).

(٢) هو أبو إسحاق محمد بن عبد المؤمن، كما في المنتظم.

(٣) عبارة ابن العبري في تاريخ الزمان: «فخرج القليلون وظل الكثيرون ممن لم يصدّقوا الخبر».

(٤) كذا أيضاً في تاريخ بغداد. وفي ابن الأثير وتاريخ الخلفاء للسيوطي: «وأمّه أمة اسمها غنى، وقيل: دمنة».

منها كتاب في أصول^(١) الدين، وكتاب في فضائل الصحابة وعمر بن عبد العزيز، وكتاب كفر فيه القائلين بخلق القرآن. وكان كثير الصيام والصدقات، رحمه الله تعالى.

وفيها توفي عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد، القاضي أبو محمد البغدادي المالكي الفقيه؛ سَمِعَ الحديثَ ورَوَى عنه غير واحد؛ وكان شيخ المالكية في عصره وعالمهم؛ وصنّف كتاب «التلقين» وشرح الرسالة وغير ذلك.

وفيها توفي يحيى بن نجّاح، أبو الحسين بن القلاس الأموي مولاهم القرطبي. رحل إلى البلاد وسمع الكثير وحجّ وأستوطن مصر. وكان عالماً ورِعاً ديناً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وست أصابع.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

فيها بعث الظاهر صاحب الترجمة بكسوة الكعبة فكسيت.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق ولا من خراسان وحجّ الناس من مصر.

وفيها رأى رجل من أهل أصبهان في النوم أن شخصاً وقف على منارة أصبهان وقال: «سكت نطق، نطق سكت». فأتته وحكى للناس، فما عرف أحد معناه؛ فقال رجل: يا أهل أصبهان، احذروا فإن أبا العتاهية الشاعر يقول: [الرمل]

(١) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: وقد عدّه الشيخ تقي الدين بن الصلاح من الفقهاء الشافعية، وأورده في طبقاتهم.

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَاناً عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقُوا
فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلٌ، وَدَخَلَ عَسْكَرُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَنِ سُبُكْتِكِينَ
وَنَهَبَ الْبَلَدَ وَقَتَلَ عَالِماً لَا يُحْصَى.

وَفِيهَا تَوَفَّى عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ نُعَيْمٍ، أَبُو الْحَسَنِ
الْبَصْرِيُّ، الْحَافِظُ الشَّاعِرُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصُّورِيُّ: لَمْ أَرِ بَغْدَادَ أَكْمَلَ مِنْهُ.
وَجُمِعَ بَيْنَ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ وَالْأَدَبِ وَالْفَقْهِ وَالشَّعْرِ. وَمِنْ شَعْرِهِ وَأَجَادَ:
[المتقارب]

إِذَا عَطَشْتِكَ أَكْفَ الثَّمَامُ كَفَتْكَ الْقَنَاعَةُ شَبْعاً وَرِيّاً
فَكَنَ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى وَهَمَّةَ هَامَتِهِ فِي الثَّرِيّاً

وَفِيهَا تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ بْنِ سَعِيدٍ^(١) بَنِ مُوسَى، أَبُو بَكْرٍ الصَّبَّاحُ
الْبَغْدَادِيُّ؛ وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةً، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ:
كَتَبْتُ عَنْهُ، وَكَانَ صَدُوقاً ثِقَةً. وَقَالَ رَئِيسُ الرُّسَاءِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ: تَزَوَّجَ
مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ زِيَادَةَ عَلَى تِسْعِمَائَةِ أَمْرَأَةٍ.

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، قَالَ: وَفِيهَا تَوَفَّى أَبُو الْقَاسِمِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَبِيُّ الْحُرْفِيُّ فِي شَوَّالٍ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً،
وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النُّعَيْمِيُّ الْمُحَدِّثُ الْأَدِيبُ، وَأَبُو الْفَضْلِ مَنصُورُ بْنُ
مَنصُورِ بْنِ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ابْنِ بَنَتِ السَّمَرْقَنْدِيِّ الْكَاغِدِيِّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَقَدْ
قَارَبَ الْمِائَةَ. انْتَهَى كَلَامُ الذَّهَبِيِّ.

وَفِيهَا كَانَ الطَّاعُونَ بِلَادَ الْهِنْدِ وَالْعَجَمِ وَعَظُمَ إِلَى الْغَايَةِ؛ وَكَانَ أَكْثَرُهُ بَغْزَنَةً
وَحُرَّاسَانَ وَجُرْجَانَ وَالرِّيَّ وَأَصْبَهَانَ وَنَوَاحِيَ الْجَبَلِ إِلَى حُلْوَانَ، وَأَمْتَدَّ إِلَى الْمَوْصِلِ
وَالْجَزِيرَةِ وَبَغْدَادَ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ أَصْبَهَانَ وَحَدَّهَا أَرْبَعُونَ أَلْفَ جَنَازَةٍ، ثُمَّ
أَمْتَدَّ إِلَى شِيرَازَ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «ابْنُ سَعْدٍ». وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ تَارِيخِ بَغْدَادِ وَالْمُنْتَظَمِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً
وأربع أصابع.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة أربع وعشرين وأربعمائة.

فيها عَمِلَت الرافضة المأتم ببغداد في يوم عاشوراء على العادة، فأقام^(١) بذلك
العيّارون، أعني عن^(٢) الزعران الذين كانوا غلبوا على بغداد، وعجزت الحكّام
عنهم^(٣).

وفيها توفي أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو الحسين المعروف بآبن السّمّاك
الواعظ البغداديّ، مولده سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة؛ وكان يعظ بجامع المنصور
والمهديّ ويتكلم على طريق الصوفية، وكان لكلامه رونق، غير أنهم تكلموا فيه؛
وكانت وفاته ببغداد في ذي الحجة من السنة.

وفيها في المحرم خرجوا ببغداد للاستسقاء بسبب القحط.

(١) عبارة المنتظم وعقد الجمان: «وتولى ذلك العيّارون».

(٢) كذا في الأصل. ولعله يريد: «أعني الزعران». والزعران والزغار والزعر: جمع أزعر، وهو اللص
الخاطف المارد. والزغارة: شراسة الخلق. والمواد: زعر، ودعر، وذعر. تؤدي نفس المعنى. وهذه التعابير
(الزعران - الزغار - الزعر) إلى جانب تعابير أخرى (الشطّار - العيارون - الفتيان - الخرافيش -
العيّاق...) أطلقت في النصوص التاريخية والأدبية التراثية على مجموعات من الناس يتسمون إلى دائرة
اجتماعية منبوذة طبقاً واجتماعياً من الفئات الأعلى والسلطات الحاكمة، ويتخذون من اللصوصية
والشغب وسيلة لإظهار غردهم. وكان مسرح حركتهم ببغداد - الشام - القاهرة. (انظر حكايات الشطار
والعيّارين في التراث العربي للدكتور محمد رجب النجار - سلسلة عالم المعرفة).

(٣) ومن أمثلة ذلك ما حكاه ابن الأثير في حوادث هذه السنة من أن بعض القوّاد الكبار أخذ أربعة من
العيّارين، فجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة، وحضر باب داره ودق عليه الباب، فكلّمه
من داخل، فقال العقيد: قد أخذت من أصحابك أربعة، فإن أطلقت من عندك أطلقت أنا من عندي،
ولا قتلته وأحرقت دارك، فأطلقهم القائد.

وفيهما ثار أهل الكرخ بالعيّارين فهربوا، وكبسوا دورهم ونهبوا سلاحهم، وطلبوا من السلطان المعاونة. وسبب ذلك أن العيّارين نهبوا تاجراً فغضب له أهل سوقه، فرد العيّارون بعض ما أخذوا؛ ثم كبسوا دار آبن العلواء^(١) الواعظ وأخذوا ماله، ثم فعلوا ذلك بجماعة كثيرة، حتّى قام عليهم أهل الكرخ، ووقع بينهم بسبب ذلك قتال وحروب يطول شرحها.

وفيهما توفي أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الأردستاني^(٢)؛ كان إماماً زاهداً فاضلاً معدوداً من كبار المشايخ؛ وله كرامات وأحوال.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

فيها هبّت بنصيبين ريح سوداء قلعت معظم شجرها؛ وكان بين البساتين قصر عظيم فرمته من أصله.

وفيهما زُلزِلَت الرملة زلزلة هدمت ثلث مدينة الرملة، ونزل البحر مقدار ثلاثة فراسخ، فنزل الناس يصيدون السمك، فرجع عليهم فغرق من لم يحسن السباحة.

وفيهما توفي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو العباس القاضي الأبيوردي؛ وُلد سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وتولّى القضاء بالجانبين ببغداد، وسمع الحديث

(١) في المنتظم والذهبي: «ابن الغلواء» بالغين المعجمة.

(٢) الأردستاني: نسبة إلى أردستان، مدينة بين قاشان وأصبهان. وضبطها صاحباً الأنساب والشذرات بفتح الهمة والدال. وفي معجم البلدان بفتح الهمة وكسر الدال. وقال السمعاني: ورأيت بخط والذي رحمه الله وكان ضبطها عن الحافظ الدقاق بكسر الالف والدال.

ورواه؛ وكان عالماً ورعاً مُفتناً، يصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح؛ وكان فقيراً ويظهر الثروة^(١)، ومات في جمادى الأولى، ودفن بباب^(٢) حرب.

وفيها توفي أحمد بن محمد [بن أحمد]^(٣) بن غالب، الحافظ أبو بكر الخوارزمي؛ وُلد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ورحل [إلى] البلاد وسمع الكثير وحَدَّث؛ وكان إماماً في اللغة والفقه والحديث؛ ومات في يوم الأربعاء غرة شهر رجب.

وفيها توفي عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث، أبو الفرج التميمي الفقيه الحنبلي الواعظ؛ وُلد سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وسمع الحديث ورواه؛ وكان فقيهاً محدثاً واعظاً؛ وكانت وفاته في شهر ربيع الأول ببغداد؛ ودفن عند قبر^(٤) الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

وفيها توفي محمد بن عبد الله، أبو عبد الله بن باكوئه الشيرازي، أحد مشايخ الصوفية؛ كان أُوحد زمانه، وله كرامات وإشارات؛ ولقي خلقاً من المشايخ وحكى عنهم وسمع الحديث الكثير وروى عنه خلق كثير.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقاني الحافظ في رجب وله تسع وثمانون سنة، وأبو علي الحسن بن أبي بكر أحمد^(٥) بن إبراهيم بن شاذان البزاز^(٦) في آخر يوم

(١) في عقد الجمان والمنتظم: «ويظهر المروءة».

(٢) مقبرة باب حرب: خارج مدينة بغداد وراء الخندق مما يلي طريق قطربل. وهي مقبرة للحنايبة منذ أواسط القرن الثالث للهجرة. (انظر معجم البلدان في الكلام على الحربية، وفي التراث العربي لمصطفى

جواد: ٢٤٥/١).

(٣) زيادة عن المنتظم وما سيأتي للمؤلف.

(٤) أي في مقبرة باب حرب.

(٥) كذا أيضاً في شذرات الذهب والبداية والنهاية والمنتظم. وفي تاريخ بغداد: «الحسن بن إبراهيم بن أحمد».

(٦) كذا أيضاً في الذهبي والبداية والنهاية وتاريخ بغداد. وفي المنتظم والشذرات: «البزاز» بالراء المهملة في آخره.

من السنة، وولد في ربيع الأول عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة، وأبو سعيد عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن بندار بن شبانة^(١) الهمداني وأبو الحسن عبد الله بن عمر المُرِّي الدمشقي، وأبو الفضل عمر بن أبي سعد إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الجوبري^(٢) في صفر، وأبونصر عبد الوهاب بن إسماعيل الهَرَوِّي الزاهد، وأبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم بن مصعب الأصبهاني التاجر. انتهى كلام الذهبي.

وفيها وقع الطاعون بشيراز، فكانت الأبواب تسدّ على الموتى؛ ثم انتقل إلى واسط وبغداد والبصرة والأهواز وغيرها.
أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ست وعشرين وأربعمائة.

فيها استولى العيارون على بغداد وملكوا الجانبين (أعني الحرامية)^(٣) قال: ولم يبق للخليفة ولا لجلال الدولة معهم حكم. وكان العيارون في دور الأتراك والحواشي يُقيمون نهراً ويخرجون ليلاً، والأتراك والحواشي تقوم معهم في الباطن؛ فكانوا يخرجون ليلاً ويعملون العملات، وأفسدوا وفعلوا أفعالاً قبيحة، وأظهروا الإفطار في شهر رمضان نهراً، وكان ذلك كله بمواطاة الأتراك.

وفيها ورد كتاب مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين على الخليفة أنه أفتتح جُرجان وطَبْرستان، وغزا الهند وأفتتح بلاداً كثيرة.

(١) في الأصل: «شبابة». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمشتبه للذهبي.

(٢) في الأصل: «الجوهري». وما أثبتناه عن معجم البلدان والمشتبه وشذرات الذهب. والجوبري: نسبة إلى «جوبر» قرية بالغوطة من دمشق.

(٣) هذه العبارة كان يجب وضعها بعد كلمة «العيارون».

وفيهما توفي أحمد بن كليب الشاعر المغربي. قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي^(١) في تاريخه «كان أحمد هذا يهوى أسلم بن حمد^(٢) بن سعيد قاضي قضاة^(٣) الأندلس؛ وكان أسلم من أحسن أهل زمانه؛ فافتن به وقال فيه الأشعار الرائقة». ثم سكت الحميدي ولم يذكر ما قاله في أسلم المذكور من الأشعار^(٤).

وفيهما توفي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، أبو علي البراز^(٥)؛ إمام محدث مشهور من أهل بغداد؛ وُلد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة؛ سَمِعَ خلقاً كثيراً؛ وكان صالحاً ثقة صدوقاً.

وفيهما توفي الحسن بن عثمان بن أحمد بن الحسين بن سَوْرَة، أبو عمر الواعظ البغدادي؛ سَمِعَ الحديث وتفقه؛ وكان شيخاً، له لسان حلو في الوعظ؛ وكان له شعر على طريق القوم؛ فمنه قوله: [الطويل]

دخلتُ على السلطان في دار عِزِّه بفقرٍ ولم أجلب بخيلٍ ولا رَجُلٍ
فقلتُ أنظروا ما بين فقري وملِككم بمقدار ما بين الولاية والعزل

أمر النيل في هذه السنة:

(١) في الأصل: «الجندي» وهو تحريف.

(٢) في ابن الأثير: «أسلم بن أحمد بن سعيد». وفي البداية والنهاية: «أسلم بن أبي الجعد».

(٣) في البداية والنهاية أن أسلم هذا كان غلاماً يطلب العلم في مجالس الشيوخ. وكان من بني خلد، وكانوا وزراء للملوك وحجاباً.

(٤) روى ابن الأثير (حوادث سنة ٤٢٦هـ) شعره فيه كما يلي:

أسلمني في هوى أسلم هذا الرُّشَا
غزالاً له مقلّة يصيب بها من يَشَا
وشى بيننا حاسدٌ سُيَّالٌ عما وشى
ولو شاء أن يرتشئ على الوصل رُوحِي ارتشئ

وروى له ابن كثير في البداية والنهاية، في نفس الموضوع:

أسلمُ يَنا راحةَ العليلِ رفقاً على الهائم النحيلِ
وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليلِ

(٥) في الأصل هنا: «الرازي» وهو تحريف. وقد ذكره المؤلف عن وفيات الذهبي في السنة الماضية.

الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السادسة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

وفيهما كانت وفاته، حسب ما تقدّم في ترجمته.

فيها (أعني سنة سبع وعشرين) أرسل الظاهر قبل موته خمسة آلاف دينار، فضلّح بها نهر يتّهي إلى الكوفة ويرد إليه ماء الفرات؛ وجاء أهل الكوفة يستأذنون القائم بأمر الله في ذلك، فثقل عليه وسأل الفقهاء؛ فقالوا: هذا مال تغلب عليه من فيء المسلمين، فصرفه في هذا الوجه؛ فأذن لهم القائم في ذلك.

وفيهما لم يحجّ أحد من العراق، وحجّوا من الشام ومصر.

وفيهما توفي أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي صاحب التفسير المشهور. قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: «ليس فيه ما يُعاب به إلا ما ضمّنه من الأحاديث الواهية، التي هي في الضعف متناهية، خصوصاً في أوائل السور».

وفيهما توفي الحسن بن وهب، أبو عليّ الكاتب المجود؛ كان فاضلاً إماماً مجوداً؛ وخطّه معروف مشهور بالحسن.

وفيهما توفي حمزة بن يوسف بن إبراهيم الجرجاني الحافظ؛ هو من ولد هشام بن العاص بن وائل السهمي؛ وكان عالماً فاضلاً؛ رحل في طلب العلم، وسمع الحديث الكثير، وقال أنبأنا الحسين بن عمر الضراب، أنشدنا شعبان الصيرفي: [مخلّع البسيط]

أشدّ من فاقة الزمان وقوف حُرّ على هوان
فأسترزق الله وأستعنه فإنّه خير مستعان

وإن نأى منزلٌ بحر^(١) فمَن مكان إلى مكان

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

انتهى الجزء الرابع من النجوم الزاهرة

ويليه الجزء الخامس

وأوله: ذكر ولاية المستنصر بالله على مصر

(١) في الأصل: «بجد». والتصحيح من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

ثبت المصادر والمراجع المستعملة في حواشي الجزء الرابع

- ١- الإبانة عن سرقات المتنبي، للعميدي - تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي - دار المعارف بمصر ١٩٦١.
- ٢- أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، للمقريري - تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد - القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧ - ١٩٧٣.
- ٣- أخبار الدول المنقطعة، لابن ظافر الأزدي - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٢.
- ٤- أخبار مصر، لابن المأمون - تحقيق أيمن فؤاد سيد - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٣.
- ٥- أخبار مصر، للمسبّحي - تحقيق أيمن فؤاد سيد وتياري بيانكي - المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٨.
- ٦- أخبار مصر، لابن ميسر - تحقيق أيمن فؤاد سيد - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨١.
- ٧- الإشارة إلى من نال الوزارة، لابن منجب الصيرفي - تحقيق عبد الله غلص - المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ١٩٢٤.
- ٨- أعمال الأعلام، للسان الدين ابن الخطيب. تحقيق ليفي بروفنسال - دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦.
- ٩- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شدّاد. تحقيق يحيى عبّارة - وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٨.
- ١٠- الأعلام، لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦.
- ١١- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي - دار التعارف، بيروت ١٩٨٦.
- ١٢- إغاثة الأمة بكشف الغمة، للمقريري - مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.
- ١٣- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦ - وطبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - وطبعة المؤسسة المصرية العامة، مصورة عن طبعة دار الكتب.
- ١٤- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسن الباشا - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.

- ١٥ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق - دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ١٦ - الأنساب، للسمعاني - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
- ١٧ - بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس - سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، فيسبادن ١٩٦٠ - ١٩٦٣.
- ١٨ - البداية والنهاية، لابن كثير - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
- ١٩ - بلدان الخلافة الشرقية، لسترانج - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤.
- ٢٠ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي - تحقيق كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣.
- ٢١ - تاج العروس، للزبيدي - مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦١.
- ٢٢ - تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- ٢٣ - تاريخ الإسلام، للذهبي (١-٦) - مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٦٧ - ١٣٦٩ هـ.
- ٢٤ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧.
- ٢٥ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٦ - تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر) - نسخة مصورة عن طبعة بولاق.
- ٢٧ - تاريخ الخلفاء، للسيوطي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٩.
- ٢٨ - تاريخ دمشق، لابن عساكر - تحقيق صلاح الدين المنجد - دمشق ١٩٥١ - ١٩٥٤.
- ٢٩ - تاريخ دول الإسلام، لرزق الله منقريوس - الدار العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- ٣٠ - تاريخ الدولة الفاطمية، لحسن إبراهيم حسن - القاهرة ١٩٦٤.
- ٣١ - تاريخ الزمان، لابن العبري - نقله إلى العربية الأب إسحاق أرملة، دار المشرق ١٩٨٦.
- ٣٢ - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٣ - تاريخ مختصر الدول، لابن العبري - طبعة مصورة عن طبعة بيروت ١٨٩٠.
- ٣٤ - تاريخ يحيى الأنطاكي - نشره لويس شيخو، بيروت ١٩٠٩.
- ٣٥ - تاريخ ميفارقين، لابن الأزرقي الفارقي - دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٨.
- ٣٦ - تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، لأحمد السعيد سليمان - دار المعارف بمصر، ١٩٧٩.
- ٣٧ - تجارب الأمم، لمسكويه - تحقيق آمدروز، القاهرة ١٩١٤.
- ٣٨ - تذكرة الحفاظ، للذهبي - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٩ - تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، لمحيي الدين بن عبد الظاهر - تحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار - وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة، القاهرة.

- ٤٠- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، لمحمد قنديل البقلي - الهيئة المصرية العامة ١٩٨٤.
- ٤١- التعريف بالمصطلح الشريف، لابن فضل الله العمري - تحقيق محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
- ٤٢- تقويم البلدان، لأبي الفداء إسماعيل صاحب حماة - باريس ١٨٤٠.
- ٤٣- التنبيه والإشراف، للمسعودي - طبعة مصورة عن الطبعة الأوروبية، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥.
- ٤٤- تهذيب تاريخ ابن عساكر، للشيخ عبد القادر بدران - دمشق ١٣٥١ هـ.
- ٤٥- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني - دار صادر، بيروت.
- ٤٦- الحاكم بأمر الله الخليفة المقتري عليه، لعبد المنعم ماجد - مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٩.
- ٤٧- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية؛ محمد عبد الله عنان؛ القاهرة ١٩٣٧.
- ٤٨- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي - مطبعة إدارة الوطن، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
- ٤٩- حكايات الشطار والعيّارين في التراث العربي، للدكتور محمد رجب النجار - سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٥، الكويت.
- ٥٠- الحلة السيرة، لابن الأبار - تحقيق الدكتور حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.
- ٥١- الخطط التوفيقية الجديدة، لعلي باشا مبارك - الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- ٥٢- الخطط المقرزية (المواعظ والاعتبار)، للمقرزي - دار صادر، بيروت.
- ٥٣- دائرة المعارف الإسلامية (النسخة العربية) - إصدار كتاب الشعب، القاهرة.
- ٥٤- دراسات في التاريخ الإسلامي؛ جمال الدين الشيال؛ دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤.
- ٥٥- الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لابن الشحنة - دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤.
- ٥٦- ديوان ابن هاني الأندلسي؛ تحقيق كرم البستاني؛ بيروت ١٩٥٢.
- ٥٧- ديوان السري الرفاء؛ طبعة القدسي، القاهرة.
- ٥٨- ديوان المتنبي؛ تحقيق عبد الوهاب عزام؛ القاهرة ١٩٤٤.
- ٥٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري - تحقيق إحسان عباس - مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤.
- ٦٠- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك؛ خليل بن شاهين الظاهري؛ باريس ١٨٩٤ م.
- ٦١- سفرنامه، لناصر خسرو - تحقيق يحيى الخشاب - دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٢.
- ٦٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي - المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣ - ودار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

- ٦٤- الصبح المنبي عن حيشة المتنبي، للشيخ يوسف البديعي - تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبد زينة عبده - دار المعارف بمصر ١٩٦٣.
- ٦٥- طبقات الأطباء (عيون الأنباء) لابن أبي أصيبعة - تحقيق نزار رضا - دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥.
- ٦٦- طبقات سلاطين الإسلام، ستانلي لين بول - ترجمه إلى الفارسية عباس إقبال، وترجمه عن الفارسية إلى العربية مكى طاهر الكعبي - تحقيق علي البصري - بغداد ١٩٦٨.
- ٦٧- طبقات القراء (غاية النهاية)، لابن الجزري - تحقيق برجشتراسر، القاهرة ١٩٣٣.
- ٦٨- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية، لحسن إبراهيم حسن وطه شرف - القاهرة ١٩٤٧.
- ٦٩- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني - الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- ٧٠- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لابن الطقطقي - دار صادر، بيروت.
- ٧١- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي - دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.
- ٧٢- فوات الوفيات، لابن شاکر الکتبي - تحقيق إحسان عباس - دار صادر، بيروت ١٩٧٣.
- ٧٣- في التراث العربي، للدكتور مصطفى جواد - وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧٥.
- ٧٤- قوانين الدواوين، لابن ممتي - تحقيق عزيز سوريال عطية - القاهرة ١٩٤٣.
- ٧٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة - دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.
- ٧٦- كنز الدرر وجامع الغرر (ج ٦)، لابن أبيك الدواداري - تحقيق صلاح الدين المنجد - المعهد الألماني للآثار، القاهرة ١٩٦١.
- ٧٧- اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري - القاهرة ١٣٥٦ - ١٣٦٩ هـ.
- ٧٨- لسان العرب، لابن منظور - دار صادر، بيروت.
- ٧٩- مآثر الإنافة في عالم الخلافة، للقلقشندي - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - عالم الكتب، بيروت.
- ٨٠- محيط المحيط، لبطرس البستاني؛ مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٧.
- ٨١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن البغدادي - تحقيق علي محمد البجاوي - دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤.
- ٨٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار المعرفة، بيروت.
- ٨٣- المسالك والممالك، لابن خرداذبة؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨.
- ٨٤- المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم، للذهبي - تحقيق علي البجاوي - دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢.
- ٨٥- المشترك وضعاً والمفترق صقاً، لياقوت الحموي - تحقيق وستفيلد - جوتنجن ١٨٤٦.
- ٨٦- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم - دار الفكر العربي، القاهرة.

- ٨٧- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، للمستشرق زامباور- أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود- مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥١.
- ٨٨- معجم البلدان، لياقوت الحموي- دار صادر بيروت ١٩٨٤.
- ٨٩- معجم دوزي؛ انظر المراجع الأجنبية.
- ٩٠- معجم متن اللغة، للشيخ أحمد رضا- دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨.
- ٩١- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- ٩٢- المعز لدين الله؛ حسن إبراهيم حسن وطه شرف؛ القاهرة ١٩٤٧.
- ٩٣- المغرب في حلّ المغرب، لابن سعيد الأندلسي- قسم مصر- تحقيق زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف- جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٣.
- ٩٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي- (١٠-٥)- مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩ هـ.
- ٩٥- الموسوعة العربية الميسرة؛ بإشراف محمد شفيق غريال؛ دار الشعب ومؤسسة فرنكلين، القاهرة.
- ٩٦- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام؛ أحمد المرعشلي- عبد الهادي هاشم- أنيس صايغ؛ دمشق ١٩٨٤.
- ٩٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي:
(أ) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨-١٩٧٢ م.
(ب) طبعة ليدن ١٨٥٢-١٨٥٧ م (منذ الفتح إلى سنة ١٣٦٥ هـ).
(ج) طبعة كاليفورنيا للمستشرق وليم بوير.
- ٩٨- نظم الفاطميين ورسومهم بمصر، لعبد المنعم ماجد- القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٥، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٩٩- نفح الطيب، للمقري- تحقيق إحسان عباس- دار صادر، بيروت.
- ١٠٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري- دار الكتب المصرية ١٩٥٥.
- ١٠١- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي؛ محمد حمدي المناوي؛ دار المعارف بمصر ١٩٧٠.
- ١٠٢- وفيات الأعيان، لابن خلكان- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.
- ١٠٣- ولاة مصر، للكندي- تحقيق حسين نصار- دار صادر، بيروت.
- ١٠٤- يتيمة الدهر، للثعالبي- دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

Gaudefroy Demombynes: La Syrie à L'époque des

Mamlouks, Paris 1923

Dozy: Supplément aux Dictionnaires arabes

Leyden 1881

فهرس الموضوعات

الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
ولاية كافور الإخشيدي. (ترجمته وحوادث ولايته)	٣
السنة الأولى من ولايته وهي سنة ٣٥٥ هـ. (حوادث عامة - وفيات)	١٢
السنة الثانية من ولايته وهي سنة ٣٥٦ هـ. (حوادث عامة - وفيات)	١٥
السنة الثالثة من ولايته وهي سنة ٣٥٧ هـ. (حوادث عامة - وفيات)	١٩
ولاية أحمد بن علي بن الإخشيدي. (ترجمته وحوادث ولايته)	٢٢
السنة التي حكم فيها وهي سنة ٣٥٨ هـ. (حوادث عامة - وفيات)	٢٦
ولاية جوهر الرومي المعزّي. (ترجمته وحوادث ولايته)	٢٩
ذكر بناء القاهرة وحاراتها	٣٥
السنة الأولى من ولاية جوهر وهي سنة ٣٥٩ هـ.	٥٨
السنة الثانية من ولايته وهي سنة ٣٦٠ هـ.	٦١
السنة الثالثة من ولايته وهي سنة ٣٦١ هـ.	٦٦
السنة الرابعة من ولايته وهي سنة ٣٦٢ هـ.	٦٩
خلافة المعز لدين الله العبيدي. (ترجمته وحوادث خلافته)	٧٤
ذكر ركوب الخلفاء الفاطميين في أول العام من كل سنة	٨٣
ذكر ركوب الخليفة في يومي عيد الفطر وعيد النحر	٩٨
ذكر سماء العيدين	١٠١
ذكر الركوب لتخليق المقياس عند وفاة النيل	١٠٣
ذكر خزانة الكتب	١٠٥
ذكر خطبة شهر رمضان	١٠٦
السنة الأولى من خلافة المعز وهي سنة ٣٦٣ هـ.	١٠٩
السنة الثانية من خلافته وهي سنة ٣٦٤ هـ.	١١١

١١٣	السنة الثالثة من خلافته وهي سنة ٣٦٥ هـ.
١١٦	خلافة العزيز بالله نزار العبيدي. (ترجمته وحوادث خلافته)
١٢٩	السنة الأولى من خلافته وهي سنة ٣٦٦ هـ.
١٣٣	السنة الثانية من خلافته وهي سنة ٣٦٧ هـ.
١٣٦	السنة الثالثة من خلافته وهي سنة ٣٦٨ هـ.
١٣٩	السنة الرابعة من خلافته وهي سنة ٣٦٩ هـ.
١٤٢	السنة الخامسة من خلافته وهي سنة ٣٧٠ هـ.
١٤٣	السنة السادسة من خلافته وهي سنة ٣٧١ هـ.
١٤٥	السنة السابعة من خلافته وهي سنة ٣٧٢ هـ.
١٤٧	السنة الثامنة من خلافته وهي سنة ٣٧٣ هـ.
١٤٩	السنة التاسعة من خلافته وهي سنة ٣٧٤ هـ.
١٥١	السنة العاشرة من خلافته وهي سنة ٣٧٥ هـ.
١٥٢	السنة الحادية عشرة من خلافته وهي سنة ٣٧٦ هـ.
١٥٤	السنة الثانية عشرة من خلافته وهي سنة ٣٧٧ هـ.
١٥٦	السنة الثالثة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٧٨ هـ.
١٥٨	السنة الرابعة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٧٩ هـ.
١٦٠	السنة الخامسة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٨٠ هـ.
١٦٢	السنة السادسة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٨١ هـ.
١٦٥	السنة السابعة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٨٢ هـ.
١٦٦	السنة الثامنة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٨٣ هـ.
١٦٨	السنة التاسعة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٨٤ هـ.
١٧١	السنة العشرون من خلافته وهي سنة ٣٨٥ هـ.
١٧٥	السنة الحادية والعشرون من خلافته وهي سنة ٣٨٦ هـ.
١٧٧	خلافة الحاكم بأمر الله العبيدي. (ترجمته وحوادث خلافته)
١٩٨	السنة الأولى من خلافته وهي سنة ٣٨٧ هـ.
٢٠١	السنة الثانية من خلافته وهي سنة ٣٨٨ هـ.
٢٠٢	السنة الثالثة من خلافته وهي سنة ٣٨٩ هـ.
٢٠٣	السنة الرابعة من خلافته وهي سنة ٣٩٠ هـ.
٢٠٤	السنة الخامسة من خلافته وهي سنة ٣٩١ هـ.
٢٠٦	السنة السادسة من خلافته وهي سنة ٣٩٢ هـ.

السنة السابعة من خلافته وهي سنة ٣٩٣ هـ	٢٠٨
السنة الثامنة من خلافته وهي سنة ٣٩٤ هـ	٢١١
السنة التاسعة من خلافته وهي سنة ٣٩٥ هـ	٢١٢
السنة العاشرة من خلافته وهي سنة ٣٩٦ هـ	٢١٤
السنة الحادية عشرة من خلافته وهي سنة ٣٩٧ هـ	٢١٦
السنة الثانية عشرة من خلافته وهي سنة ٣٩٨ هـ	٢١٩
السنة الثالثة عشرة من خلافته وهي سنة ٣٩٩ هـ	٢٢١
السنة الرابعة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٠٠ هـ	٢٢٣
السنة الخامسة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٠١ هـ	٢٢٥
السنة السادسة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٠٢ هـ	٢٢٩
السنة السابعة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٠٣ هـ	٢٣٢
السنة الثامنة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٠٤ هـ	٢٣٥
السنة التاسعة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٠٥ هـ	٢٣٦
السنة العشرون من خلافته وهي سنة ٤٠٦ هـ	٢٣٩
السنة الحادية والعشرون من خلافته وهي سنة ٤٠٧ هـ	٢٤٠
السنة الثانية والعشرون من خلافته وهي سنة ٤٠٨ هـ	٢٤٢
السنة الثالثة والعشرون من خلافته وهي سنة ٤٠٩ هـ	٢٤٣
السنة الرابعة والعشرون من خلافته وهي سنة ٤١٠ هـ	٢٤٤
السنة الخامسة والعشرون من خلافته وهي سنة ٤١١ هـ	٢٤٥
خلافة الظاهر لإعزاز دين الله العبيدي. (ترجمته وحوادث ولايته)	٢٤٧
السنة الأولى من خلافته وهي سنة ٤١٢ هـ	٢٥٥
السنة الثانية من خلافته وهي سنة ٤١٣ هـ	٢٥٧
السنة الثالثة من خلافته وهي سنة ٤١٤ هـ	٢٥٨
السنة الرابعة من خلافته وهي سنة ٤١٥ هـ	٢٦٠
السنة الخامسة من خلافته وهي سنة ٤١٦ هـ	٢٦٢
السنة السادسة من خلافته وهي سنة ٤١٧ هـ	٢٦٥
السنة السابعة من خلافته وهي سنة ٤١٨ هـ	٢٦٧
السنة الثامنة من خلافته وهي سنة ٤١٩ هـ	٢٧٠
السنة التاسعة من خلافته وهي سنة ٤٢٠ هـ	٢٧٣
السنة العاشرة من خلافته وهي سنة ٤٢١ هـ	٢٧٤

السنة الحادية عشرة من خلافته وهي سنة ٤٢٢ هـ .	٢٧٦
السنة الثانية عشرة من خلافته وهي سنة ٤٢٣ هـ .	٢٧٨
السنة الثالثة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٢٤ هـ .	٢٨٠
السنة الرابعة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٢٥ هـ .	٢٨١
السنة الخامسة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٢٦ هـ .	٢٨٣
السنة السادسة عشرة من خلافته وهي سنة ٤٢٧ هـ .	٢٨٥